أمبرتو إيكو

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

كيفية السفر مع سَلْمون

مُعارَضات ومستَعارات جديدة

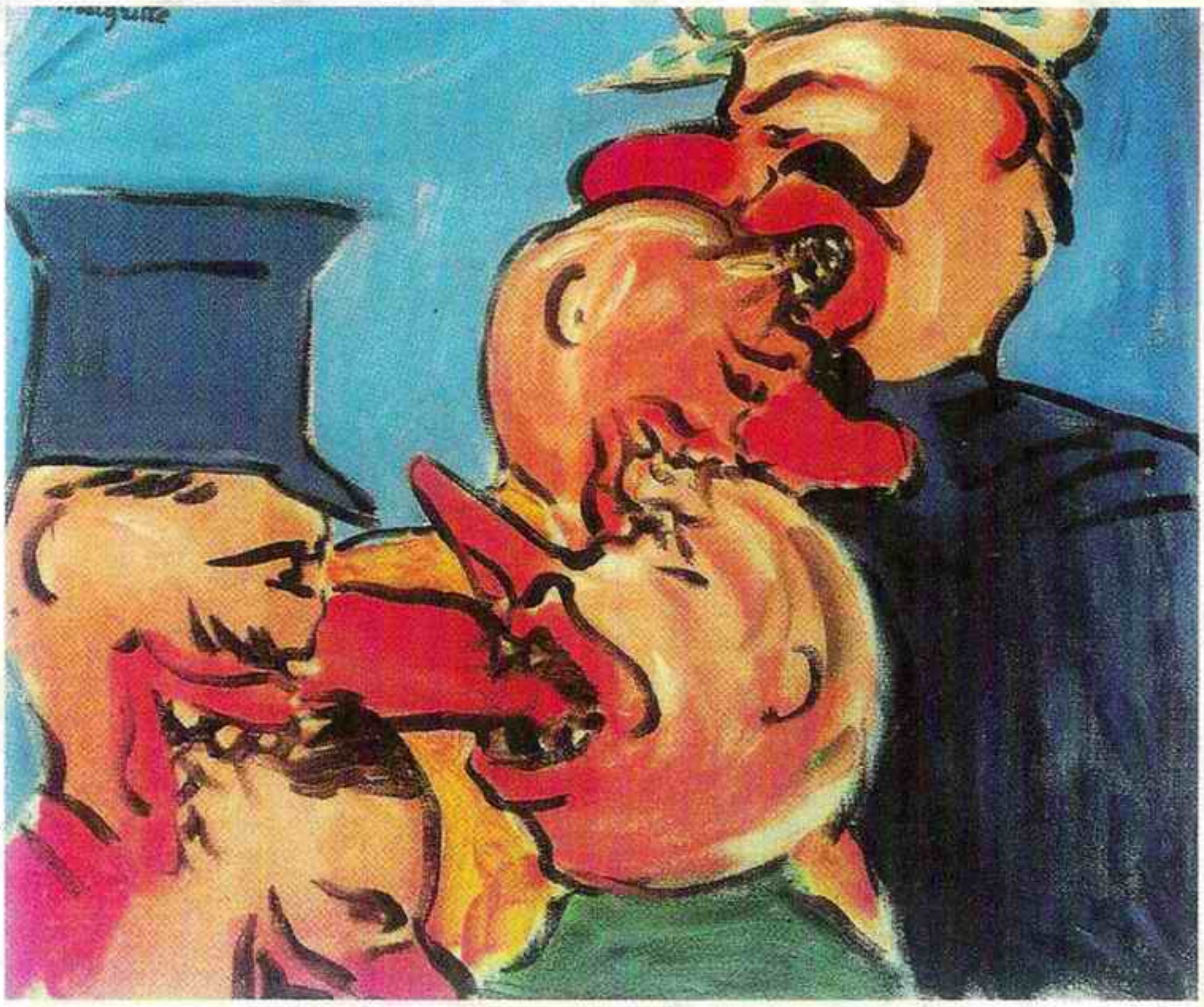

المركز الثقافي العربي

www.books4all.net
مشتريات سوق الأزبكية

أمبرتو إيكو

كيفية السفر مع سَلْمون

www.books4all.net
مشتريات سوق الأزبكية

أمبرتو إيكو

كيفية السفر مع سَلْمون

مُعارَضات ومستَعارات جديدة

ترجمة : حسين عمر

مراجعة: سعيد بنكراد

المركز الثقافي العربي

الكتاب

كيفية السفر مع سَلْمون

تأليف

أمبرتو إيكو

ترجمة

حسين عمر

الطبعة

الأولى، 2007

الترقيم الدولي:

ISBN: 9953-68-143-0

جميع الحقوق محفوظة

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 2303339 ـ 2307651

فاكس: 2305726 ـ 2 212+

www.ccaedition.com

Email: markaz@wanadoo.net.ma

بيروت ـ لبنان

ص.ب: 5158 ـ 113 الحمراء

شارع جاندارك ـ بناية المقدسي

هاتف: 01750507 ـ 01352826

فاكس: 01343701 ـ 961+

هذه ترجمة لكتاب:

Umberto Eco

Comment voyager avec un saumon

Nouveaux pastiches et postiches

العنوان الأصلي للكتاب (بالإيطالية):

IL SOCONDO DIARIO MINIMO

الترجمة من الإيطالية إلى الفرنسية:

مريم بوظاهر

إلى

جاندا، مرّة أخرى.

وإلى

ايڤا ومالڤا.

حسين

وُلِد **أمبرتو ايكو**، في **أليساندريا** (بييمونت) عام 1932، وهو، حالياً، أستاذ السميائيات في جامعة بولونيا (Bologne، وقد سبق له أنْ درّس في جامعات كولومبيا ويال ونيويورك ونورث ويستيرن في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي باريس، في المجمع الفرنسي وكذلك في دار المعلمين العليا في (rue d'Ulm).

له العديد من الدراسات من بينها «**القارئ في الحكاية**» (غراسيه 1985)، «**حدود التأويل**» (غراسيه 1990)، «**من سوبرمان إلى سورهوم**» (غراسيه 1993)، «**ست نزهات في السردية**» (غراسيه 1996)، «**الفن والجمال في علم الجمال القروسطي**» (1997).

نالت روايته الأولى «**اسم الوردة**» جائزة **ستريغا** (Strega) في إيطاليا عام 1980 (التي تعادل جائزة غونكور)، وكذلك جائزة ميديسيس الأجنبية (Médicis) في فرنسا عام 1982، ثم أصدر «**بندول فوكو**» و«**جزيرة اليوم السابق**» و«**باودولينو**».

ويعتبر اليوم، أمبرتو إيكو من أبرز الكتّاب في العالم أجمع.

7

المقدمة

النصوص التي كنت قد نشرتها في فرنسا تحت عنوان «**معارَضات ومستعارات**»[1] كانت أساساً عبارة عن صور ساخرة، ومن هنا تأتي الكلمة الأولى من العنوان (الكلمة الثانية تعبيراً عن التواضع، لأنني لم أكن لأستطع كتابة «**ومتفرقات**»).

لم يفارقني قَطْ طعم الصور الساخرة، والعديد من النصوص التي كُتِبت خلال العقود الأخيرة، في مناسبات مختلفة تنتمي إلى هذا النوع، ليس فقط لمجلة ثقافية- كتلك التي احتواها المؤلف الأول ـ بل وأيضاً لمجلة أسبوعية .

وتشترك هذه الصور الساخرة مع سابقاتها في المبدأ الذي كنتُ قد عبّرتُ عنه كالتالي:

«[هي] تتنبأ بما سيكتبه آخرون فعلياً، في وقت لاحقٍ. تلك هي رسالة الصورة الساخرة : عليها ألاّ تخشى المبالغة أبداً، وإذا ما أصابت الهدف، فهي لا تقوم سوى بتجسيد ما سيحقّقه آخرون دون خجلٍ وبهدوء أعصاب ووقار رجولّيٍ.»

---

(1) المُعارَضَة (Pastiche): أثر أدبيّ او فنيّ اوموسيقيّ يحاكي فيه صاحبه أسلوب أثر سابق.
المُستعار (postiche): ما هو غير حقيقي كالشعر المستعار، والأطراف الاصطناعية، ونعتقد بأنّ المقصود هنا هو الإقتباس.- المترجم-

البعض من نصوص «كاكوبيديا» تنتمي إلى هذا النمط، حتى يبدو لي وكأنّ بعض هذه النصوص قد أدركها الواقع، بل وتجاوزها.

فلنتفاهم جيداً: لقد كُتِبَت هذه الصور الساخرة (مع امتلاك كل منها لوظيفة أخلاقية خاصّة بها) بغرض التسلية والمتعة، وقد وُلِدت النصوص المقدّمة هنا بهذا الغرض الوحيد نفسه. لا أقول هذا لأختلق الأعذار : فأنا أدافع عن الحق في التسلية، لاسيما إذا كانت مفيدة لممارسة اللغة.

غير أنّ هذه «المستَعارات» الجديدة ليست، في مجملها، مجرّد صور ساخرة، أو عبارة عن فصول كُتبت للتسلية فحسب. وإذا كان يمكن لها أن تبدو مسلّية، كما آمل، فإنّها كُتِبَت، بمجملها تقريباً، بدافع من الاشمئزاز.

هل بوسع المرء أن يشمئز مبتسماً؟ نقول: كلاّ، إذا كان السخط وليدَ الخبث والرعب، ونعم، إذا كان وليد الغباء والحماقة. وبخلاف ما كان ديكارت يقول به، فإنّ الشيء الأعدل توزيعاً على وجه البسيطة، هو ليس الحس السليم وإنّما الحماقة: إذ يعتقد كلَّ واحدٍ بأنّه مجرّدٌ من الحماقةِ حتى أنّ نفس أولئك الذين عادة لا يشبعون من أيِّ شيءٍ آخرٍ، لايدأبون قط على الرغبة فيها أقلّ ممّا لديهم منها.

ولذلك ينبغي أن تُقرأ النصوص التي كُتِبت تحت عنوان «طرائق الاستخدام» على أنّها مساهمة في تحليل الحماقة التي تغمرنا في ثقافتنا وحياتنا اليومية.

وهي، بهذا المعنى، كتابات واقعية، إذا ما كانت الواقعية تعني وصف ما هو موجود وما هو منظور ـ حتى حينما يكون الإسلوب إسلوب قصة خيال علمي. إنّ غباء الآخرين يغيظنا، ولكن الطريقة الوحيدة لعدم الاستجابة له بغباء مقابل، هي أن نصفه ونحن نستمتع بالدقّة البالغة لحبكته.

إنّ محاكاةَ نصوصٍ أخرى بطريقة ساخرة وإقامة إحالات تناصيّة وإستعادة الطريقة التي يتكلّم الناس بها، ويفكّرون بها، تطرح مشاكل لغوية لا يمكن تجاهلها حينما ننتقل من لغة إلى أخرى ومن ثقافة إلى أخرى.

إذا كانت هذه النصوص قد كُتبت بغاية التسلية، فيجب أن أعترف أنني تسلّيت كثيراً مع مترجمتي ونحن نعيد صياغة كل ما لا يمكن ترجمته حرفياً. ومن جهتها، كانت تعيد صياغة الأشياء بطريقتها الخاصة مسكونة بروح المعارضة والبديل الزائف. أما أنا فكنت أضحك بالفرنسية.

www.books4all.net
مشتريات سوق الأزبكية

I

رُتَبٌ وكواكب

www.books4all.net
مشتريات سوق الأزبكية

برقية
من القيادة العامة للجسم المجرّي، الأرض 3
إلى المقرّ العام، المنطقة 4، أورانوس

تؤكّد القيادة، بعد التحقيق حول الكتيبة الأولى الهجومية، بأنّ البوس Boos متورّطون في فضيحة لواطة حوّل. قائمة المسؤولين تتبع حوّل. نتوقّع العقاب الفوري والصارم حوّل

التوقيع
الجنرال ساباجو
القائد العام، من الكازينو

برقيه
من المقر العام، المنطقة 4، أورانوس
إلى القيادة العامة للجسم المجرّي، الأرض 3، الكازينو، مونت كارلو

نُعْلم القيادة بأنّ بوس أورانوس من أصلٍ خنثوي (الرقم 30015 السجل الإثني الكواكبي) حوّل. الحالة التي تدعى اللواطة، هي مثل ممارسة

طبيعية، فالممارسات الجنسية مباحة وفق قوانين أورانوس والدستور الكواكبي حوّل

التوقيع
الكولونيل ZBZZSGDG S/C
القائد العام AGWSS
الذي يقضي حالياً إجازة أمومة

برقية
من القيادة العامة للجسم المجرّي، الأرض 3
إلى المقر العام، المنطقة 5، بلوتون

تؤكّد القيادة بأنّها تأكّدت من فضيحة استمناء عامّة في كتيبة المعيّنين[1] Carottiers في بلوتون حوّل، وبأنّها قضت بمعاقبة الفاعلين المباشرين والضباط المسؤولين عن التّساهل حيال النظام حوّل

التوقيع
الجنرال ساباجو
القائد العام، من الكازينو

برقية
من المقر العام، المنطقة 5، بلوتون
إلى القيادة العامة للجسم المجرّي، الأرض 3، الكازينو، مونت كارلو

عند استلام البرقية نُعْلِم القيادة بأنّ المعيّنين في بلوتون من أصلٍ دوديّ (ومن هنا تأتي قدرتهم التنقيبية، وأخذهم عيّنات من التُربة بهدف إجراء

---

(1) المكلّفين بأخذ العيّنات - المترجم -.

الدراسات الجيولوجية على منطقة بلوتون)، وقد توالدوا عذرياً حوّل إن هيئة المعيّن الذي يمتصُّ بطرفيه الأمامي والخلفي هي من أعراض عملية الانقسام وهي مقبولة طبيعياً وفق قوانين الجيش المحلي حوّل كذلك نوضّح بأنّها الطريقة الوحيدة لإجراء العمليات الإعتيادية وتجنيد متطوعين جدد حوّل

التوقيع
الجنرال بوزاميت
والجنرال بوزاميت

(الرجاء إعطاء الأولوية للقيادة نظراً للانقسام الحديث بهدف التوالد العذري الأقصى)

برقية
من القيادة العامة للجسم المجرّي، الأرض 3
إلى المقر العام، المنطقة 4 أورانوس
إلى المقر العام، المنطقة 5 بلوتون

ترفض القيادة الشبهات والتبريرات المبيحة التي تنال، جهاراً، من التقاليد الأخلاقية والذهن الحادّ للجيش المجرّي وصحته والتقاليد الأبيّة لرماة الرمّانات الساردينيين وجنود المدفعية الميتزيين والقنّاصة الألبيين حوّل. يُقَال الموقّعون على البرقيات فوراً حوّل المواقع محظورة حوّل

التوقيع
الجنرال ساباجو
القائد العام، من الكازينو

اللجنة الكواكبية[1] تدافع عن الأقلّيات الإثنية فومالو (سمكة جنوبية)

صاحب السعادة، أسمح لنفسي أن أُطلع سعادتكم على المسائل الموثّقة بالمستندات في التوثيق طيّه، الذي يفيد بأنّ الجنرال ساباجو (أظنّ أنّه أحد سكان الأرض) يطبّق في الإدارة العسكرية المجرّية وجهة نظرٍ، سأسمح لنفسي بأنّ أقول إنّها بالية، على الأقلّ منذ عهد الرئيس فلاناغان (الذي اغتيل بشكل مأساوي بيد أفريقي متعصب)، الذي كان قد دافع بنجاح فائق عن حق الأعراق التي تعيش على أطراف المركز في المساواة المطلقة في الحقوق. ولا تجهلون أنّ عقيدة فلاناغان تنصّ على أنّ «جميع كائنات كلّ المجرّات متساوية أمام (الرحم العظيم) La Grande Matrice بغضّ النظر عن شكلهم أو عدد حراشفهم أو أذرعهم، أو حالتهم الفيزيائية (صلبة كانت أم سائلة أم غازية)». وليس من قبيل الصدفة أنّ حكومة الاتحاد الكواكبي قد أنشأت المفوضية العليا للنسبية الثقافية والبيولوجية التي تسود السجل الإثني الكواكبي، وأنَّ محكمة العدل العليا عرضت التعديلات والملحقات المشروعة للقوانين الكواكبية أولاً بأوّل، لكي تمتدّ الحضارة الأرضية إلى أقاصي الكون.

عندما استولت شعوب الحوض المتوسطي، بعد سقوط الإمبراطوريتين النوويتين العظميين (الاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة الأمريكية) بفضل اكتشافها للمزايا الفعّالة لحمض الليمونيك acide citrique على الأرض أوّلاً، ومن ثمّ على الكون الذي جالوا فيه بالمركبات الفضائية المدفوعة بالقوّة المستمدّة من هذه الثمرة التي سبق وتغنىّ بها الشاعر، اعتقد الناس جميعاً بأنّه فأل خيرٍ أن تدين السيطرة

---

(1) الكراكبي Intergalactique: قائم بين كوكبين أو أكثر، على غرار (دولي).

على الكون لشعوبٍ سبق وتعرّضت في كوكبها الخاص لأشكال قاسية من التمييز العنصري. ولم تنسوا الترحيب الحماسي بالقانون هفنر Hefner الذي أجاز الزواج بين نساء الأرض وخماسيي الأحاليل Pentapenidés من سكان المشتري (وان كنّا نعرف ضريبة الدم التي كلّفتها هذه التجربة الرائدة التعِسة التي أرغمت البرجيسيين المَهَرة والنشطاء على إشباع خمس شهوات متزامنة مع إمرأة واحدة وحيدة الفَرْج). ومهما يكن، فإنّ القوانين الكواكبية التي لا تزال مصدر فخرٍ لاتحادنا، قد وُلِدت من تجربة الفَرْج الوحيد هذه.

إننا سعداء بأن تتقيّد القوانين العسكرية الكواكبية بمبدأ الاندماج وأن تُلزم تأدية الخدمة العسكرية في كوكب غير كوكب المولد. وبالتالي فإنَّ الأمر يُعتبر بمثابة إخفاق خاص إذ عاينّا منذ أمد طويل، خرقاً لهذا القانون تمثّل في أن يؤدي المعيّنون في بلوتون والبوس الهجوميون في أورانوس خدمتهم في كوكبهم. وبذلك نفهم سبب كون الجنرال ساباجو، الذي لا تُنكَر كفاءاته العسكرية والإدارية، لايزال يجهل خصوصياتهم التشريحية وطرائق تكاثرهم.

ولكن لاشكَّ أن سعادتكم قد استطعتم أن تتيقّنوا بنفسكم من خطورة الحادث الدبلوماسي الناجم عن هذا الأمر، ردَّدت النشرات التلفزيونية أصداء الفتن على هذين الكوكبين المعنيين بالأمر.

كذلك ألتمس من فخامتكم، وبإلحاح، السماح بإتخاذ إجراءات تعيد إلى مبدأ الدمج الكواكبي كامل ثقله العملياتي، متمنّياً أن يصدر من الصروح المشرقة للإفريز الأوسط والقصر الرئاسي الذي منه تطّللون على الرؤية الساحرة للبحر الأبيض المتوسط، إيعازٌ عاجلُ وأبويٌّ موجّهٌ إلى القيادات العسكرية التي تشرف، من الكازينو القديم في مونت كارلو، على الألعاب المجرّية للمهرجان الحربي.

تقبّلوا مني فائق الإحترام والتقدير والوفاء للرحم العظيم مدبّر الكون، راكعاً أمامكم على ركَبي الثلاثين .

التوقيع

افرام بوند ـ صعب

إلى الخنشار الشهير افرام بوند ـ صعب
فومالو (سمكة جنوبية)

يعمُّ السلام صليب الجنوب[1] أيها الخنشار الطيب. اسمحوا لي أن أقدّم نفسي إليكم باسم رئيسنا الكواكبي المحبوب جداً، بصفتي مكلّفاً بالعلاقات العامة في ضياء الرحم العظيم لأعطي لرسالتكم النتيجة والرضى اللذين تستحقهما .

لم ينسَ فخامته الواجبات الملقاة على عاتقه بصفته الضامن لمبدأ الإندماج، ولكن أيضاً ينبغي الأخذ بالحسبان ما يترتّب عليه بصفته القائد الأعلى للعبة المهرجان الحربي العظمى.

فإذا كانت قيادة الجيوش مهمة صعبة منذ الأزل، وكان العبرانيون القدماء قد أوكلوا هذه المهمة لـ دوس سابوث Deus Sabaoth، فالأحرى أن هذه المهمّة غير موزونة، إن لم تكن مستحيلة في ظلِّ السلام الكواكبي. وتعلمون أن الزعماء ورجال الدولة العظماءرجالات الإنقلابات قد أقرُّوا، منذ القرن الثاني والعشرين من التقويم المسيحي، بمدى صعوبة وعناد جيشٍ مكوّن من بضعة آلاف من الرجال، في مرحلة سلميّة انتقالية.

إن الإنقلابات الكبيرة في القرن العشرين كانت تُعزى بالضبط إلى

---

(1) صليب الجنوب Croix du sud: مجموعة نجوم جنوبية تشكّل النجوم الاربعة الأساسية منها صليباً يساعد البحّارة في وجهتهم. – المترجم –

المغالاة في السلام . (كان المرحوم الرئيس فلاناغان يقول بأن الحروب وحدها هي مهد الديمقراطية) . تصوّروا إذاً (وأنتم تعرفون، تماماً، كلَّ هذا) كم هي شاقّة قيادة جيش مكوّن من مليار من الكائنات المنتمية إلى شتى الإثنيات الكواكبية، في ظروف السلام الدائم، وفي ظل غياب حدودٍ ينبغي الدفاع عنها، وغياب أعداءٍ يهددوننا. ولا تجهلون أن الجيش في هذه الحالة يكلِّف نفقات أكثر، ولكنه أيضاً يميل إلى مضاعفة عدده تبعاً لقانون باركنسون الشهير . وبالتالي يمكنكم تصوُّر الأضرار الأخرى الناجمة عن ذلك.

لنأخذ بالتحديد الحالة الواضحة للمعيّنين في بلوتون وللبوس في أورانوس. فمنذ البداية كان التفكير في دمجهم بالفرقة القمرية المختلطة التي تتكوّن، تنظيمياً، من دوريات ذات محركات على جرارة، تتشكّل من اثنين من سكان الأرض (جنديٌّ قنّاصٌ وحارسٌ ملكِّيٌ من شرطة الفرسان الكندية) واثنان من غير سكان الأرض: ضيق فسحة القسم الأمامي المُؤَكسَج من الجرّارة جعل من المستحيل التعايش بين العسكريين اللذين كانا يعتمران قبعات ذات حواش عريضة. إضافةً إلى أنّه اتضح بأنَّ ريَشَ القنّاصة تثير حساسية الأحصنة أشدَّ حساسية، ولا شكَّ أن ذلك كان السبب الذي جعل الحكمة العسكرية الأسطورية تمتنع عن تأسيس أفواج من القنّاصة الخيالة . ولكنكم تعرفون أيضاً مدى تعلّق الحَرَس الملكي الكندي بمطيته، لدرجة أنه لا يستطيع الافتراق عنها حتى وإن كان على جرّارة (وقد فشلت محاولة جعل ذوي السترات الحمراء يستخدمون درّاجة هوائية فشلاً ذريعاً، ومن الخطأ عدم احترام تقاليد مختلف الفيالق العسكرية).

في كل الأحوال لا يشكّل هذا شيئاً يُذكَر مقارنةً بما أعقب إدخال البلوتونيين والأورانوسيين في القسم الخلفي من الجرّارة. أولاً، لأن

للبوس الهجوميين، كما هو معروف، ذيلٌ لا يمكنهم استبقاؤه في الجرّارة، وبالتالي يُجَرُّ على الأرض، ويُصابُ بجروحٍ تصعب معالجتها. ثم لأنَّ البوس يعيشون في جو من غازات غير قابلة للاشتعال، ولأن معيِّني بلوتون لا يعيشون إلا في درجة حرارة 2000 درجة فهرنهايت، ولأنَّه لا يمكن لأيِّ حاجزٍ عازلٍ أن يضمن عزلاً متبادلاً كافياً. يضاف إلى ذلك واقع ـ الأكثر خطورة ـ أنَّ معيِّني بلوتون مدفوعون قسراً على الغوص في التراب لاستخراج بعض العيّنات (بالمعنى النفطي للعبارة). الأمر الذي لايقود، على سطح بلوتون، إلى نتائج غير قابلة للتعويض، نظراً لقدرة التُربة المحلية على التجدُّد، في حين أنّها أدَّت، على سطح القمر، إلى هذه العملية السريعة، التي سمّاها التقنيون بطريقة مثيرة بـ«التجبين»[1] gruyérisation، (العملية التي عرَّضت استقرار الجاذبية، بما فيه استقرار القمر الصناعي، للخطر). وباختصار ينبغي التخلي عن مشروع الدمج . فإلى هذا اليوم تتألف الدوريات القمرية ذات المحركات والمحمولة على جرّارة، حصراً، من أقزام باندار(الأدغال البنغالية) الذين جرى تكييفهم بشكل خاص لهذه المهمة. وقد تغلّب المعيار الوظيفي على معيار الدمج. وتجدر الإشارة إلى أن الحل مخالف لغايات القانون وهو مستوحى رسمياً من مرسوم اشتراعي مؤقَّت.

إذا أُنتم تدركون أيّ مشاكل عديدة واجهتها السلطة المركزية، ولا أخفي عنكم بأن حلاً كالذي ذُكِرَ أعلاه كان قد اعْتُمِد دون موافقة القيادة العليا للكازينو، وصحيح أيضاً أنّ المسؤولين العسكريين ليسوا جميعاً في مستوى المشاكل اللامتناهية التي تثيرها إدارة جيشٍ كواكبيٍّ .

---

(1) غُرويير gruyère: نوع من الأجبان. – المترجم –

على كل حال، فيما يخص المسألة المطروحة للبحث هنا، فقد كلّفني صاحب السعادة أن أنقل إليكم بأنه سيعالج عملية التناوب الطبيعية للقيادات العليا : سيُبْعد الجنرال **ساباجو**، اعتباراً من يوم غد، إلى محطة التموين على بيتيلجوز، وستُعْهد قيادة الجسم المجرّي إلى الجنرال **بيلبيتش** القائد السابق لرمّاحي بينوديت، أمّا القيادة العامّة لهيئة الأركان الكواكبية فستُعْهد إلى الرئيس السابق للاستخبارات، وضابط سلالة شهيرة من جنود ليشتنشتاين، الجنرال **فيديل مانتري ـ تريكون** الذي سيكون في مستوى مهماته الشّاقة والمتعددة.

نتمنى أن ترى اللجنة الكواكبية للدفاع عن الأقليات الإثنية في هذه الإجراءات ضمانات كافية، وقد قدِّم إليها تعهّد خاص بألاّ يُختار، لمهمة فائقة الحساسية كهذه، عسكريٌّ يتحدّر من مناطق تتَّسم، تقليدياً، بالعنصرية، مثل أفريقيا وسيسيليا وإقليم باكا. وصاحب الفخامة شخصياً يعتقد بأنّه آن الآوان لخرق التقليد الرسمي، الذي تُعهد، بموجبه المناصب القيادية العليا، دائماً، إلى عسكري من أصل متوسطي. وتعلمون أكثر منّي كم لا يزال سحر الحضارة الليمونية عظيماً. فكلنا أطفالٌ وُلدْنا من تكنولوجيا الحامض الليموني. كيف لنا، أن ننسى ذلك؟

المخلص لكم أبداً.

ايميه ديبيداس
المكلَّف بالعلاقات العامة لصاحب السعادة
رئيس الاتحاد الكواكبي
قصر توربيا، البحر الأبيض المتوسط

تقرير خاصّ إلى رئيس الاتحاد
دائرة تنسيق الإستخبارات / روما

لقد استجابت دائرتنا، بشيء من التّردد، لطلب سعادتكم بتوضيح وضع العميل Wwwsp Gggrs نظراً لأن من شروط وجود دائرة مكلفة بتنسيق نشاط الاستخبارات السرّية في حالة النزاع المتبادل هو السرّية المطلقة لمعلوماته. إننا نخضعه بشكل عام وبهدف تجنّب أي تسرّب للمعلومات، لهذا المبدأ الذي يقضي بأنّ نطّلع على نشاط الدوائر الذي تنسّقه دائرتنا .

وإذا ما حدث أحياناً وأخذنا علماً بحدث ما فذلك يكون فقط بهدف تأمين تدريب موظفينا البالغ عددهم 26 ألفاً . وذلك بموجب «نظرية الدوران في الفراغ» Tour à Vide ، والتي تتحكم بوجود القوات المسلحة الكواكبية ذاته.

ولفهم مرقع العميل Wwwsp Gggrs ذي الصدفتين المصغَّر الذي يعود في أصوله إلى كاسوبيه، ينبغي معرفة حالة الاستخبارات السرّية السبعة والثلاثين للكواكب المتحدة. هذا الوضع، الذي سأشرحه لسعادتكم، ينطلق من مبدأ مفاده: إذا ما أُريد للاستخبارات المذكورة آنفاً أن تُحسن عملها، ولمخابراتنا أن تمتثل لواجبها اللااستخباري المسَيْطَر عليه، فينبغي أن تجهل الحكومة أيَّ شيءٍ عنه.

وتعرفون جيداً بأن الكواكب المتحدة تعاني من حقيقة كونها كياناً دولياً بلا حدود، وبالتالي بلا أعداء محتملين محكوماً بالسلام الدائم . بالتأكيد عقّد هذا الوضع عملية تشكيل جيش من دون أن تستطيع الكواكب الأخرى تشكيل جيش خاص بها، لأنها ستفقد في هذه الحالة إحدى السلطات الرئيسية لدولة ذات سيادة، ولذا فقد لجأت إلى النظرية المُمَأْسسة الرائعة «الدوران في الفراغ» التي تجيز لجيش لا يمكن تصوّر حجمه بأن يكرّس وقته لتموينه الذاتي فقط ـ تداركاً

لضرورة تجديده بفضل مؤسسة المهرجان الحربي أو لعبة الحرب .

لم يكن هذا الحل عصيّاً على التطبيق نظراً لأنه منذ زمن طويل (حتى قبل باكس ميديتيرانا La pax Mediterranea السلم المتوسطي، وتوحيد الكواكب) كانت جيوش العصر السوقي تكاد تهتم فقط بأمر تموينها الذاتي . ومع ذلك كان لديها صمّامان للأمان :

أولاً، إثارة سلسلة متواصلة من الحروب المحلية، بضغط من مراكز النفوذ الاقتصادي للحفاظ على اقتصاد حربي مربح للغاية. ومن ثم التجسّس المتبادل بين الدول مع حفظ التوترات والانقلابات والحروب الباردة المثارة.. .إلخ .

وتعلمون سعادتكم، بفطنتكم، بأن اكتشاف القدرة الفعّالة لحامض الليمونيك لم يقم سوى بمنح القيادة المجرّية للبلدان النامية المنتجة للأحماض، كما أنها غيّرت جذرياً القوانين الإقتصادية، واضعة حداً لعصر التكنولوجيا الصناعية والاستهلاك. وكانت النتيجة تفضي إلى أن تكون الإمكانية في التسبّب بالنزاعات المحلية، بل وحتى المصلحة في ذلك، باطلتين.

هناك واقعة معروفة، أثارت المشكلتين الأكثر أهمية لانتظام العمل الداخلي للجيش، أي عملية إبدال الأفواج (بفضل المتوفّين في القتال)، وترقية الضباط (بسبب الجدارة القتالية). وقد موّه المهرجان الحربي هذه العواقب الوخيمة، واليوم تنعم ملاعبنا الفضائية، كلّ يوم أحدٍ، بالمواجهة الدموية بين وحدات من جيشنا المجيد، تبدي الواحدة منها حيال الأخرى، البسالة والشجاعة، مدعومة بالصداقة وروح التعاون والاستهانة بالمخاطر. فلم يعرف في تاريخ الانسانية أبداً شباناً من كل الأعراق والمراتب الإجتماعية يموتون والابتسامة تعلو شفاههم، دون أي حقد على «العدو» الذي يُعرف كصديق وكأخ أوقعته القرعة، لأتفه الأسباب، ليقاتل في معسكر الخصم.

واسمحوا لي أن أنوّه بالموقف البطولي لفرقة الحِرْباء الرابعة السريعة الانتقال، التي راحت، وقد دفعتها أُسود سيربانتير، الأحد الماضي، أثناء ديربي[1] القطب الجنوبي، إلى أقاصي نصف الكرة الأرضية العلوي تجنباً للانسحاق الجماعي على المنابر الحكومية المنصوبة على فومالو، راحت تتحطّم على الفا Alpha، مثْرية المهرجان الحربي بإبادة 50000 ألف مدنياً، ومستعيدةً، بجرأة، تضحية الضحايا غير المنخرطين في الممارسة الحربية، في حدث لم يقع منذ عصر النابالم الغابر.

ولكن لنَعُدْ إلى مشكلتنا، فإذا كان المهرجان الحربي قد حلَّ مسألة إبدال بعض وثائق التسجيل وبعض الحِرَف في سبيل الأعمال الحربية الباهرة، فبالتأكيد لم يحلّ مشكلة التّجسس.

وقد يكون عبثاً أن تتجسّس وحدة على الوحدة التي ستجابهها في المهرجان، لأنّ تحالفات القوى المتجابهة وأهميتها، كما هو معروف، في متناول الجميع وهي موجودة في شتّى الصحف العسكرية ـ الرياضية.

فضلاً عن أن غياب أعداءٍ خارجيين سيجازف بإفراغ الاستخبارات السرية من معناها. ولكن مثلما لا يمكن لدولة أن تعيش بدون قوات مسلّحة، فلا يمكن للقوات المسلحة أن تعيش بدون استخبارات، لسببٍ واحدٍ على الأقل: فإدارة المخابرات السرية، مثلما تُعلّم عقيدة هونكي ـ هنكي Honki - henki ، ضرورة بيولوجية لأيّ جيش، ليتمّ بها (شَيْ) هذا الفائض من الجنرالات والأميرالات الذين لن يكون بمقدورهم أبداً أن يترقّوا إلى المراتب العليا.

ولذلك فوجود الاستخبارات السرّية أمر ضروري، وعليها بذل

---

(1) ديربي: مباراة بين فريقين من المدينة نفسها – المترجم–.

نشاط كبير، وإن كان هذا النشاط بكامله غير فعّال وخطرٍ على التموين الذاتي للدولة. إنّها عقدة عصيّة للمشاكل تتطلّب حلاً.

والحال أنّ لعقيدة هونكي ـ هنكي الفضل في ابتعاث نموذج قيمٍ قدّمته لنا أونوتريا Œnotrie (إيطاليا سابقاً) نهاية القرن العشرين من العصر المسمّى بالعصر السوقي: نموذج التجسّس المتبادل بين الأجرام المنفصلة.

ولكن لكي تتمكّن الأجرام المنفصلة للدولة من التجسّس المتبادل لابدّ من شرطين ضروريين :

أوّلاً، ينبغي على كل جُرْم منفصل أن يقوم بنشاطٍ سريٍّ كبير، يرغب الآخرون في معرفته، وبالتّالي على الجواسيس أن يصلوا بسهولة إلى المعلومات.

أمّا الشرط الثاني، فيتحقّق من خلال مبدأ الجاسوس الوحيد، أي مخبرٌ وحيد خبير في اللعب المزدوج، يتجسّس لصالح العديد من الأجرام في آن واحد. ولديه دائماً أخبار طازجة من مصدر موثوق.

لكن ماذا لو أنّ الأجرام المنفصلة، لم تفعل شيئاً، لا علانية ولا سرّاً، بموجب المبدأ المُمأْسس: الدوران في الفراغ؟ حينها يكون من الضروري أن يفي الجاسوس المستَخدَم بشرطٍ ثالث : أن يكون قادراً على تجميع وتقديم أخبار مختَلَقة. وفي هذه الحالة، لا يعود الجاسوس مجرّدَ وسيطٍ وإنّما مصدراً للأخبار أيضاً.

وبمعنى ما، يمكن القول إنّه ليس الجرم المنفصل من يخلق الجاسوس بقدر ما أنّ الجاسوس هو الذي يخلق الجرم المنفَصل.

من هذا المنظور، كان العميل Wwwsp Gggrs يبدو أفضل المرشّحين، وذلك لأسباب عديدة: فهو أوّلاً من فصيلة ذوي الصدَفتين من كاسيوبيه، وهو صنف يقيم البرهان انطلاقاً من المناهج المتعددة المعاني المترافقة دوماً بكثافة مرجعية عالية. والدمج المدهش بين

هاتين الميزتين يجعله قادراً على الكذب والتناقض المنهجي مع الذات والتلاعب السريع بالمترادفات الظاهرية والخلط النقدي لعبارات «دو ري و دو ديكتو» *de re et de dicto*(*) من نوع : «إذا كان ستاجيريت هو آرسطو، وستاجيريت كلمة من تسعة أحرف، فإذاً آرسطو كلمة من تسعة أحرف.»

إنّه نمط من المنطق الذي يبدو رائجاً حتى في أكثر حاميات الضاحية المجرّية بعداً، وذلك ببسب السّوية الرفيعة التي بلغها ضبّاطنا في عملية وضع قواعد الاستنباط المنطقي.

ثمّ إنّ Wwwsp Gggrs هو ذو صَدفتين مصغّر (مثل سواه من السواد الأعظم لمواليد كاسيوبيه)، وبالتالي يسهل عليه الولوج إلى أكثر الأمكنة استعصاء على الولوج، متداركاً الصعوبات الحركية بالتّنكر التقليدي في هيئة منفضة سجائر أو علبة مسحوقٍ، ليندسّ عميقاً في جيوب وحقائب العملاء ـ الوسطاء. وعلى العموم يخصّص لهذه المهمّة متسلّلو كلّ جرم منفَصل، الذين بما هم عليه، يتنقّلون بين الأجرام دون أن يخضعوا لأدنى مراقبة.

أمّا وقد شرحنا أسباب تجنيد العميل Wwwsp Gggrs من قبل ثلاثة فيالق على الأقلّ، لم يبق لنا سوى تبرير الحادث الذي جعل فخامتكم ترسلون لنا طلب المعلومات.

إذاً يبدو أنّ العميل المجنّد من قبل القيادة العليا لبرج الجدي ومركز شرطة قلب العقرب والإدارة العسكرية للدبّ الأكبر، بدل أن يتقاضى من برج الجدي للتجسّس على قلب العقرب والدبّ الأكبر، ومن قلب العقرب للتجسّس على الدبّ الأكبر وبرج الجدي، ومن الدبّ الأكبر للتجسّس على قلب العقرب وبرج الجدي ـ الأمر الذي

(*) مصطلح فلسفي ومنطقي: de re حكم الواقع، de dicto الحكم الكلّي.

سيجلب له ستّة رواتب ـ كان على النقيض من ذلك، وبسبب ميلٍ فطريٍّ إلى المكيدة، يتقاضى من قلب العقرب ليتجسّس على قلب العقرب، ومن الدب الأكبر ليتجسّس على الدب الأكبر، ومن برج الجدي ليتجسّس على برج الجدي. ولا يمكن غضّ الطرف عن خطأ الحركة التي استدرجت كل جرم إلى صرف مبالغ طائلة، بغية الحصول على معلومات عن نفسه.

الجدير بالملاحظة هو أنّ الخديعة سوف لن تنكشف أبداً، وبما أنّ المعلومات التي يقدّمها العميل خاطئة، يتلقّى كلُّ مسؤولٍ عن جرمٍ منفصلٍ، باستمرار معلومات لم يكن يعرفها من قبل، حتى أنّه كانَ يعتقد بأنّها تخصّ جرماً آخر.

اكتُشف أصيص الورد حينما قرّر الجنرال بروزام من القيادة العليا لبرج الجدي تجنيد Wwwsp Gggrs رغبةً منه في الحصول على معلومات سريّة للغاية عن نائبه الخاصّ، واستدعى الكابتن كوبولا الذي كان يسافر شهرياً إلى بلوتون ليحمل إلى العميل راتبه (والذي كان ـ لنقل ذلك تجاوزاً ـ ملاحَقاً من سلطات أخرى لبرج الجدي بسبب جُنَحٍ أصغر)، تأكّد الجنرال بنفسه، فقط عندما تحدّث مع الكابتن كوبولا، من الوضع الغامض، وشكّ ببعض المخالفات في هيئة استخبارات برج الجدي، كما خاطب دائرة التنسيق التي صرّحت، مثلما يملي عليها واجبها ذلك، بأنّها لم تكن على علم بأيّ شيءٍ. وكان ذلك كافياً ليظنّ الجنرال بروزام بأنّ شكوكه كانت في محلّها ، إذ نعلم بأنّ أصحاب برج الجدي هم من التخاطريين [أو الذين يملكون القدرة على التواصل عن بُعد] Télépathiques.

ولا مفرّ من أنّ شكوك الجنرال بروزام قد استهوت مجلة بروسيون Gazette de Procyon المعروفة بولعها الشديد بالأخبار الفضائحية. مما جعل الحدثَ جماهيرياً.

وبالنتيجة يمكننا التأكيد لفخامتكم بأنّه تم عزل العميل المذنب بشكلٍ سريع لئلا يمارس أبداً نشاطاته التجسسية. وبالفعل تمّ تعيينه أميناً عاماً للجنة الكواكبية لتهذيب الاستخبارات. ونُقِلَ الجنرال بروزام إلى وظيفة أُخرى في قيادة الرمال المتحركة في بيتلجوز، حيث بلغَنا، في هذا الصباح بالذات، نبأ وفاته إثر حادثٍ بينما كان يراقب المستنقع 26.

أمّا بخصوص مجلّة بروسيون فقد اشترتها القيادة العليا لحامض الليمونيك، التي أكّدت بأنّها ستبقى، كما كانت، صوتاً حرّاً وديمقراطياً.

أرجو من فخامتكم الثقة بإخلاصي وإجلالي لكم.

التوقيع
الأميرال الفضائي للفرقة الرابعة
(الاسم مغْفَل ـ سرّي للغاية)
رئيس دائرة تنسيق الاستخبارات السرّية

ملاحظة: أرجو أن تدوّنوا ـ بموجب نظام دائرة التنسيق هذه ـ بأنّ المعلومات المتضمَّنة في هذه الرسالة مغلوطة بمجملها لدواعي الأمن العسكري.

قيادة هيئة الأركان الكواكبية
الكازينو، مونت كارلو
من الجنرال فيدل مانتري ـ تريكون
إلى جميع هيئات المجرّة

أيّها الضباط وضباط صف والجنود، لقد تسلّمت اليوم القيادة

العامة العليا لجيشنا المجيد، فلتكن ذكرى المعارك البطولية لـ **اوسترليتز وسولفيرينو وبياڤ ومارن** بشير خيرٍ لانتصاراتنا القادمة.

عاش الكون !

ملاحظة: احتفالاً بعيد 2 حزيران المجرّي سيقام، يوم الأحد القادم في منطقة برج الجوزاء مهرجانٌ (بوتلاتش)[1] حربيٌّ ضخم. إذ ستقابل مفرزة غشائيات الأجنحة من سيريوس كتيبة الصاعقة من فيغا.

التوقيع
فيدل مانتري ـ تريكون

برقية عاجلة
من مركز قيادة سيريوس
إلى هيئة الأركان، الكازينو

نُعلم القيادة الموّقرة بأنّ طول غشائيات الأجنحة في سيريوس 6 ستّة مليميترات، ومحيطها مليميتران، في حين أنّ جنود فيغا المتطوعين في كتيبة الصاعقة هم من الجسْميّات، يزن الواحد منهم 8 (ثمانية) أطنان حوّل. نعتقد أنّ اللقاء لا يُمكن أن يتمّ لانّ المفرزة الثالثة لغشائيات الأجنحة، ولضعف الكثافة السكانية في سيريوس، تضمّ 500 (خمسمائة) وحدة، في حين أنّ كتيبة الصاعقة في فيغا تضمّ 25000 (خمسة وعشرون ألف) وحدة حوّل.

التوقيع
الجنرال بوهل

---

(1) بوتلاتش Potlatch: مهرجان ديني عند هُنود امريكاالحُمر، تُتَبادل فيه الهدايا، ولذلك سنترجم هذه الكلمة من الآن فصاعداً بـ مهرجان. - المترجم -

برقية من
هيئة الأركان إلى
مركز قيادة سيريوس

كلمة مستحيل غير موجودة في مفردات الجندي الكواكبي حوّل التنفيذ
حوّل

التوقيع
الجنرال فيدل مانتري ـ تريكون

ملاحظة خاصّة للجنرال فيدل مانتري ـ تريكون

نسمح لأنفسنا أن نلفت أنظار سيادتكم بأنّه تمَّ، هذا الشهر، خلال عملية إبدال الفرق الكواكبية الاعتيادية لحرس الشرف العائد لرئيس الاتحاد، استدعاء حملة لواء موت الفرس الأعظم Pégase. والإدارة لا تستخفُّ بالإعداد العسكري الفخم، وانّما تلفت النظر بأنّ لسكان الفرس الأعظم طولاً وسطياً يبلغ عشرة أمتار وقدماً تبلغ ثلاثة أمتار بمترين. وحقيقة أنّهم بقدم وحيدة لا تخفّف القلق نظراً لكون الجنود المذكورون مرغمين على التّقدّم قفزاً.

وقد داس أحد حرّاس الرئيس، خطأً، رئيس أساقفة بوي Pouilles، أثناء الحفل الافتتاحي لمعرض الشرق. ولذا نرجو من سيادتكم اتّخاذ الإجراءات الكفيلة بتسريع عملية استبدال الفرق، وإقصاء الجنود المنتمين إلى الإثنيات التي لا تتناسب في مقاساتها مع المقاس الأرضي من الخدمة.

بالإضافة إلى ذلك، فإنّ رئيس الاتحاد يحذّر من مقاتلة عدّائي أوريون Orion، أثناء المهرجانات الحربية. فقد طوّرت هذه الحضارة

شكلاً من أشكال تناسخ الأرواح من خلال التقمّص métempsycose، بحيث يقدِم الأوريونيون على الموت بمنتهى اللامبالاة، حتى أنّ أية مبارزة، قد يضطّرون للانخراط فيها، تبدو لهم بتسامحٍ وكأنّها مخادِعة.

يُنصح بأنّه من الأجدر جعلهم يقاتلون وحدات أخرى طوّرت معنى واسعاً للخلود بعد الموت، الحرس السويسري للفاتيكان والمشاة الايرلنديون والجحافل الإسبانية وسلاح الطيران الياباني.

من سكرتارية القصر الاتحادي
توربيا

قيادة هيئة الأركان
إلى رئيس الاتّحاد الكواكبي
توربيا

سيادة الرئيس، سوف لن آخذ في الاعتبار النصائح التي ارْسلتموها لنا بواسطة سكرتاريتكم، فجميع الجنود الكواكبيين متساوون أمام هذه القيادة ولا يمكنني القبول بأيّ نوع من أنواع التّعامل التفضيلي أو التمييزي.

فطوال تاريخي العسكري المجيد، لم أمارس قط أيّ نوع من أنواع التفرقة بين الأغنياء والفقراء، الكالابريين والفينيسيين، الكبار والصغار. وأتذكّر الآن في عام 2482، بأنني قاومت لمدّة طويلة ضغوطاً من صحافة تقوّية عنصرية في سرّها، وأرسلت صيّادي الاسكيمو من بلاد الأمير جوزيف إلى الصحراء الرابعة، في مهمّة دورية، فمات جميع أولئك الجنود المهَرة أثناء تأدية واجبهم.

حينما يرتدي أحد الجنود الزّي العسكري لا أبالي بحجم العبْء. يؤسفني ما حدث للجنرال الشهير **بريلا بويو**، بيد أنه ليس بمقدور الجيش الانحراف عن مبادئه.

في الأزمنة الغابرة من القرن العشرين، أُرسِل مئات الألوف من الجنود الإيطاليين، وهم ينتعلون أحذية التنس، إلى ميادين القتال في روسيا، دون أن يبدو لي أنّ هيبة القيادة العليا قد مسّت بذلك. إنّ تصميم القيادة هو ما يصنع بطولة الجندي.

عاش الكون !

التوقيع

الجنرال فيدل مانتري ـ تريكون

برقيه

من قيادة هيئة الأركان

إلى مركز التموين

بيتيلجوز

إذ يتمالكني الغضب من نوع الجرايات التموينية وتقلقني إجازة العاملين في المطبخ، في انحرافٍ عن تقاليد انضباط جيشنا المجيد حوّل. أطلب، اعتباراً من اليوم توحيد الجرايات الغذائية لجميع جنود الكواكب المتّحدة بمعيارٍ موحّدٍ حوّل، بمقدار خمسمائة غرام لكلّ جرايةٍ تحتوي على بسكويتةٍ واحدةٍ وعلبة من اللحم المجمّد وأربعة ألواحٍ من الشوكولا وديسيليترٍ واحدٍ من ماء ـ الحياة (مشروب كحولي) حوّل.

التوقيع

الجنرال مانتري ـ تريكون

برقية
من مركز التموين، بيتيلجوز
إلى قيادة هيئة الاركان، الكازينو

نذكّر بالتنوّع البيولوجي لفرق الجيش الكواكبي حوّل فمثلاً جنود آلتايَر معتادون على أن يتناولوا يومياً 360 (ثلاثمائة وستون) كيلو غراماً من لحم نو آلتايَر حوّل، بينما نقّابو أوريغا ذوو الطبيعة السائلة فيتكوّنون حصراً من الكحول الأتيلية وقد تبدو لهم جراية ماء ـ الحياة تحريضاً وحثّاً على التوحّش cannibalisme حوّل، أمّا جنود بيلاتريكس الهوكس فهم نباتيّون بالمطلق، في حين أنّ صيّادي الضَّفيرة يتغذّون على طريدة محلية ذات قدمين عديمة الريش الأمر الذي يسبّب مواقف محرجة خطأً مثلما التهمت مفرزة الصيادين، خطأً، كتيبة ألبية كانت قد دُعيَت بقصد دمجها فمُزجت مع رِزَم الجراية حوّل، وننتهز الفرصة لنعيد طرح مشكلة توحيد قياسات الأزياء العسكرية المفروض من قبل القيادة حوّل، فمن المستحيل ملائَمة زيّ عسكري موحّد القياس كالسترة ـ الظَهْرية لجنود بطول ثمانية أمتار ولهم خمسة أذرعٍ حوّل وسراويل بنماذج غير ملائمة تماماً لجنود لهم شكل الديدان حوّل. الرجاء اتّخاذ الإجراءات السريعة في سبيل تكييف مرن يستجيب لمختلف المقتضيات البيولوجية حوّل.

التوقيع
الجنرال ساباجو

برقية
من قيادة هيئة الأركان، الكازينو
إلى الجنرال ساباجو
مركز التموين، بيتيلجوز

تدبَّر أمرك حوّل

التوقيع
الجنرال مانتري ـ تريكون

تقرير سريّ
إلى القيادة العسكرية في بلد الوليد، أوروبا
وعبرها إلى قيادة الجسم المجرّي، الأرض 3

لقد اكتشفت القيادة المالية الكواكبية بأنّ السائقين العسكريين في بلد الوليد Valladolid قد زوّروا قسائم البنزين لإدخال الوقود المسروق من الجيش إلى السوق السوداء الكواكبية.

واليوم تبيّن إختفاء تسعة براميل من البنزين وفق بيانات مجلس الانضباط الذي دعيناه للاجتماع، والذي دقّق، على مدى ثمانية أعوام، كلَّ أمرٍ إداري وكلَّ قسيمة من قسائم التحميل والتفريغ العائدة لقيادة السائقين العسكريين في بلد الوليد. وقد أُنجز هذا العمل التدقيقي من قبل استخباريي بوت Bootes الصادقين، الذين لو كانوا على الأرض لوجب عليهم الاعتزال الدائم في غرفة إزالة الضغط التي يوفّرها سترونتيوم 90.

أوقفنا التحقيق لانّه قد كلّفنا، لغاية هذا اليوم، ثمانين ألف قرضاً كواكبياً أي ثلاثة ملايين دولاراً كندياً قديماً. نرجو من القيادات المعنية تعميق التحقيق المذكور وكشف النقاب عن المسؤولين.

التوقيع
القيادة المالية الكواكبية
آركتوروس (بوت)

تقرير سريّ
إلى القيادة المالية الكواكبية
آركتوروس (بوت)

بتكليفٍ من القيادة المحلية للسائقين العسكريين، أجريتُ تحقيقاً رصيناً حول إختفاء تسعة براميل من البنزين، وقد توصّلت إلى الخلاصات التالية: لقد شُحِن الوقود إلى بلباو بطائرات ـ صواريخ من قبل مهرّبي ساتورن، ومن ثمّ نُقِل إلى سطح آلغول (بيرسيه) حيث اعتبر ذلك السائل كمشروبٍ فائق الدرجة الكحولية (أي مرتفع درجة أوكتان). ولم استطع رفع سلسلة المسؤولين بسبب تنازعٍ في الاختصاصات حدث فجأة أثناء مرور الارض بِبيرسي. إذ إنّ المشكلة، على الأرض 3، تتبع لإدارة المَحْرَكة motorisation، بينما تكون، على بيرسيه، من اختصاص إدارة التموين. وبالتالي أُحيلت القضية برمّتها إلى الإدارة العامة للمواصلات العسكرية البَيْفلكية الكائن مقرّها في بروسيون، بالكتاب المرقّم 367/00/C.112 تحت عنوان «تهريبٌ داخلي».

التوقيع
قيادة الحرس المدني
بلد الوليد

برقية
من الإدارة العامة للمواصلات العسكرية البَيْفلكية
إلى القيادة المالية الكواكبية
آركتوروس (بوت)

إنّ قضية براميل البنزين المشار إليها في الكتاب المرقّم 367/00/C.112 ليست من اختصاص هذه الإدارة، لأنّ الطائرات ـ الصواريخ أجرت، لدى مغادرتها بلباو إلى بروسيون، عملية نَسْبَنة متعددة الأبعاد فوصلت إلى وجهتها قبل انطلاقها بثلاثمائة عام حوّل. إذاً فالمشكلة تتبع دار المحفوظات التاريخية العسكرية فيلليتري Velletri حوّل. القضية مشار إليها بالكتاب المرقم 50/SS/99/P حوّل.

التوقيع
إدارة المواصلات العسكرية البَيْفلكية

برقية
من دار المحفوظات التاريخية العسكرية، فيلليتري
إلى القيادة المالية الكواكبية
آركتوروس (بوت)

لا يمكن متابعة القضية المشار إليها بالكتاب المرقّم 50/SS/99/P لأنّ دار المحفوظات التاريخية العسكرية ـ ولعدم كفاية المعدّات ـ لا تزال عاكفة على تصنيف وثائق الحقبة الواقعة بين معركة ليبانت وحرب 14 ـ 18 حوّل.

التوقيع
دار المحفوظات التاريخية العسكرية

ملاحظة الجنرال فيدل مانتري ـ تريكون
للقيادة المالية الكواكبية
آركتوروس (بوت)

ما هي قصة براميل البنزين هذه؟ فالبنزين لم يعُد يُستَخدَم من قبل الجيش منذ عام 1999 من العصر المسمّى بالعصر السوقي! وما معنى قيادة السائقين العسكريين في بلد الوليد؟

التوقيع

مانتري ـ تريكون

القيادة المالية الكواكبية
آركتوروس (بوت)

سيدي الجنرال! إنّنا نتفّهم دهشتكم، إلاّ أنّه على هذه الإدارة الوفية لشعار المالية: «لا تراخيَ أبداً»، الاستمرار في انجاز ملفّات موروثة من الإدارات العسكرية السابقة، ومودَعة بكاملها عندنا في سجلات بوت.

تعود القضية مثار البحث إلى بضعة مئات من السنين، إلاّ أنّه بإمكاننا، على أيّ حال، أن نشهد بأن قيادة السائقين العسكريين في بلد الوليد كانت موجودة. أمّا واقع أنّ هذه الأخيرة لا تدير مركبات ذات محرّكات فذلك ليس من اختصاصنا. ومع ذلك، يبدو أنّ المكتب الوطني للهيدروكربورات الموجود، إلى الآن، في أونوتريا ينتج بنزيناً شديد النقاء لهذه القيادة، وذلك ممّا لا شكّ فيه بفضل التدابير القديمة التي لم تُلغ بعد. نتساءل لماذا لا يزال المكتب الوطني للهيدروكربورات موجوداً، ولكن يبقى أنّه موجودٌ، وأنّ مقرّه في روما،

في المبنى ذاته الذي يضمّ مكتب تصفية تقاعدات مرحّلي المستعمرات، ولجنة تخصيص الأوسمة العسكرية لقتلى حرب الاستقلال الثالثة.

التوقيع

القائد العام

آركتوروس آركتوروس الآركتوروس، آركتوروس (بوت)

ملاحظة خاصّة

من قيادة هيئة الأركان، الكازينو

إلى القيادة المالية الكواكبية

إلى الحرس المدني في بلد الوليد

إلى دار المحفوظات التاريخية العسكرية ـ فيلليتري

إلى قيادة الجسم المجرّي، الأرض 3

وفاءً لشعار فَوْجي الأصلي («كيتا نو موفيري، موتا كيتاري» Quieta non movere, mota quietare) أنصح بتوثيق كامل الملف المذكور في الرسائل السابقة . بما أنّ القوة الاسنادية لجيشنا المجيد تكمن في احترامه للتقاليد، فإنّي أرى من غير المناسب ومن المهين التشكيك في المهمّة التاريخية لفرقة السائقين العسكريين المجيدة لبلد الوليد وولائها للدستور، والتي سبق لها أن تكلّلت بالمجد المبين في كلّ مكان وتحت أيّ ظرف.

فإذا شعر الجيش بانعدام الثقة به من قبل الرأي العام ورؤسائه الذين لم يتردّدوا في التشكيك بمهام واحدة من وحداته المجيدة، لأدّى ذلك، كنتيجة حتمية، إلى خلق عقد نفسية تضعف الإحساس بالواجب وروح التضحية وحدّة الذهن وقوّة الروح عند الجُند وضباط الصفّ والضباط.

أوقفوا البحث في الأمر.

التوقيع

الجنرال فيدل مانتري ـ تريكون

مركز دراسات النسبية الإثنية
آلفا السنتور (Centaure)

سيادة الجنرال مانتري ـ تريكون! أمّا وقد علمت، مصادفة، بأمر «بنزين بلد الوليد» الذي أُستُهلكَ على سطح آلْغول على أنّه مشروب فائق الدرجة الكحولية، فسأسمح لنفسي أن أُبيّن بأنَّ هذه الحالة ليست الوحيدة من نوعها، إذ ينبغي عدم نسيان الأضرار الناجمة عن العادات والأعراف المعمول بها في الجيش الكواكبي، ففي أعقاب سماع نبأ وباء الرمد بين البرباريين في روغولوس، أرسلت القيادة التموينية لـ بيتيلجوز مائة ألف هكتوليتراً من الماء المُبَوْرَق إلى هناك، بهدف علاجيٍّ، وهي تجهل بأنّ الحامض البوريقي قد استُخْدِم على ذلك الكوكب (بطريقة لا شرعية) كمخدّر. كان ينبغي إذن أن تصنّف شتّى المواد المقدّمة من الجيش تبعاً لاستخداماتها الممكنة.

ننصح بمطابقة الصيّغ مع أصول كونيغ ـ ستانف - Koenig Stumpf التي تتيح 83000^{10} تركيبة مختلفة.

التوقيع

مدير المركز

دكتور مالينوڤسكي

(*) كوكبة تمثّل حيوان أسطوري نصفه إنسان ونصفه فرس.

مركز دراسات النسبية الإثنية
آلفا سنتور

سيادة الجنرال مانتري ـ تريكون! نشكركم على حسن اتّباعكم نصيحتنا، بيد أنّنا نسمح لأنفسنا أن نسترعي انتباهكم إلى أنّه ربّما يكون من التهوّر الطلب من مركز الكتابة الآلية في آلتايَر مَلءَ الصيّغ على أصول كونيغ ـ ستانف. ففي الواقع، هذه الصيغ تستلزم هندسة غير أقليدية مصدرها ريماني[1] وتقضي بمنطقٍ موجّهٍ، على عكس السكان المحليين لآلتايَر الذين يفكّرون بمنطقٍ أُحادي التكافؤ univalente (إنّ شيئاً ما، بالنسبة لهم، إمّا هو موجود أو هو موجود)، ويقيسون الحيّز وفق هندسة أقليدية إفتراضية أو آبوتية Abbott تقضي بوجود بُعْدٍ وحيدٍ. كما أنّكم تتذكّرون الحادث الذي وقع على آلتايَر من جراء ادخال الشارات المميِّزة بهدف تمييز مختلف الفرق، في حين أنّ الآلتايريين لا يميّزون سوى لون واحدٍ. نتساءل، بصراحة، كيف يمكن لمركزٍ للكتابة الآلية أن يتواجد على آلتايَر، نظراً لانّ السكان الأصليين غير قادرين على إدراك الأشياء الثلاثية الأبعاد.

بل نتساءل، في لحظات الشكّ، كيف يحصل أن يوجد شيءٌ ما على آلتايَر، وإذا ما كان هذا الشيء موجوداً حقاً.

حتى هذه اللحظة، العلائم الوحيدة على وجود شكل من أشكال الحياة على الكوكب المذكور زوّدتنا بها بيانات مركز PSI لـ مون ويلسون الذي يدّعي بأنّه على اتّصال تخاطريٍّ مع السكان المحليين المذكورين آنفاً.

---

(1) نسبة إلى عالِم الرياضيلت الألماني جورج ريمان Georges Riemann الذي تُعتَبر أعماله مصدر الهندسة اللاأقليدية. - المترجم -

مع فائق الاحترام

التوقيع
مدير المركز، دكتور مالينوفسكي
برقية
من قيادة هيئة الأركان
إلى قيادة شرطة مجموعة النجوم سنتور
وقيادة الشرطة الكوكبية، الأرض 3

آمر بالاعتقال الفوري للدكتور مالينوفسكي والاحتفاظ به كرهينة للقوات العسكرية المجيدة لآلتايَر حوّل كما آمُر باغلاق مركز مون ويلسون PSI حوّل من غير المقبول أن يمضي بعض الملتحقين بالمركز العسكري يومَهم بأكمله في التفكير حوّل، لن يكون هناك أيُّ تسامحٍ مع أيِّ كسولٍ حوّل، سيُعَاد فتح المركز حينما يكون من الممكن تدوين الاتصال التخاطري في كتابٍ على نسختين حوّل

التوقيع
الجُنرال فيدل مانتري ـ تُريكون

برقية
من المركز الأمامي
من سحابة ماجلان الصغيرة
إلى قيادة هيئة الأركان الكواكبية
الكازينو، مونت كارلو
إلى الرئاسة الاتحادية
توربيا

من أقصى حدود الكون هناك إشارة إلى أشياء طائرة مجهولة الهوية

حوّل دورية للنقّابين الطائرين دُمِّرت من قبل الوحدات الغازية حوّل، الغزاة المفترضون قادمون من مناطق متعدّدة من الكون حوّل، قدرتهم التدميرية المعتمدة على طاقة مجهولة تهدّد البقاء على الاتحاد الكواكبي حوّل، نطلب التعليمات حوّل نعتقد بأنّ . . .

(رسالة مقطوعة)

برقية
من الرئاسة الاتحادية
إلى هيئة الأركان الكواكبية

للمرّة الأولى في تاريخه، سيكون على الاتحاد أن يواجه عدوّاً خارجياً حوّل، تنظيم الدفاع المباشر حوّل، لدينا الثقة بالتقاليد العسكرية الرفيعة لجيشنا، وبالخبرة العميقة لقياداته في مواجهة الوضع المأساوي والتاريخي حوّل، الجنرال مانتري ـ تريكون سيتسلّم قيادة العمليات بشكلٍ مباشرٍ حوّل

التوقيع
الرئيس بيكبول دو بينه

برقية
من قيادة هيئة الأركان الكواكبية، الكازينو
إلى جميع الوحدات العملياتية في الكون

أيّها الضباط وضباط الصف والجنود! لقد دقّت ساعة المصير أبواب الكواكب المتّحدة! يتوقّف مصير بلدنا على سرعتنا وتضحيتنا وفعاليتنا التكتيكية والاستراتيجية، أيّها الجنود! كلٌّ إلى موقعه، وموقعٌ لكلٍّ

واحدٍ! بصفتي القائد المباشر للعمليات آمُر بما يلي : جميع الوحدات المتحركة للنظام الشمسي تكون على أُهبة الاستعداد بين غادالاجارا والدانوب، الفيلق الرابع الرابض على بوت سيستولي على باستون ومالميدي ومون كاسان ورونسيفو، الفيلق الخامس الخاصّ بالرصد في الثريّا والمفارز الخبيرة باخطبوطيات سيربانتير ستأخذ مواقعها على طول نهري بياف وتاغليامنتو وستشيّد جسور المراكب. الفصائل المدرّعة من الشعرانيين المائعين في أوريغا ستحرس موقع مون غرابا (حماية لغرفة إبطال الضغط وأجهزة التصليب بعلو 118). بينما ستأخذ مذنّبات موت آلْغول موقعها على الضفّة اليسرى لـ مارن وستضع، قيادة سائقي بلد الوليد تاكسياتها تحت التصرّف. والحرس السويسريون للفاتيكان سيستعدون لدعم الكرسي الصخري، وسيصل معيِّنو بلوتون مباشرة إلى مالطا التي سيستولون عليها بأيّ ثمن. الكتائب الأخرى ستبقى في سهل واترلو، في انتظار الأوامر. ستكون صدورنا سدّاً للعدو الغازي الذي سيكون عليه صعود هذه الهاوية المتعددة الأبعاد التي نزلها بثقة وعجرفة بالغتين. الخلود للتقاليد العسكرية العظيمة لجيشنا المجيد! ولنستجيب، بطريقة ملائمة وفاعلة وحازمة وبطولية، لهذه الفرصة التاريخية التي منحها لنا التاريخ!

أيها الجنود! فلتحيا تريست وميتز وتول وفيردان وكلُّ الأقاليم المجرّية! سننتصر!

(1976)

www.books4all.net
مشتريات سوق الأزبكية

II

طرائق الاستعمال

www.books4all.net
مشتريات سوق الأزبكية

ملاحظة

لقد جمعتُ، في هذا القسم، نصوصاً سبق ونشرتها تحت عنوان «التمثال النصفي لمينيرڤا» La Bustina di Minerva في مجلة L'Espresso عام 1985 – البعض منها عبارة عن إعادة صب لعدّة نصفيات ـ إضافة إلى مقالات صدرت في الأسبوعية نفسها.

وقد ذكرت، في كلّ مرة، تاريخ صدورها لجعل بعض الإحالات على الواقع مفهومة ومقبولة (ولذلك ركّزت، بإسهاب، على شرح ما كان عليه الفاكس في حقبة كان فيها هذا الجهاز أقلّ انتشاراً ممّا هو عليه الآن[1])

«ما بوسع الهندي أن يفعله؟» لم يسبقْ لها أن نُشرَت، وكنْت قد كتبتها بطريقة تربوية لأطفالي الذين كانوا فتياناً بعد، وهذا ما يفسِّر سبب أنّها تقول أشياءً يفهمها أي مشاهد راشد.

---

(1) بينما كنت أراجع المُسودات، كنت أشاهد حلقة من مسلسل كولومبو الجديد، حيث كان ضابطنا الداهية يبدي الدهشة والتعُّجب والاستفهام أمام جهاز فاكس.

www.books4all.net
مشتريات سوق الأزبكية

كيفية السفر مع سلْمون

تعصف بعصرنا، على ما تقول الصحف، مشكلتان كبيرتان : نتشار الحواسب والتوسّع المقلق للعالم الثالث. وهذا صحيح وأعرفه مام المعرفة.

فقد قمت، مؤخراً، برحلة قصيرة، قضيت منها يوماً في ستوكهولم وثلاثة أيام في لندن. وقد أُتيحت لي، في ستوكهولم، رصة شراء سلمون مدخَّن ضخم بثمن بخس، وقد لُفّ بعناية بغلاف لاستيكي جذّاب، وبما أنني كنتُ على سفرٍ، فقد نُصحْت بأن أحفظه ي جوٍ بارد. وهذا كلام يسهلُ قوله. ولحسن الحظ، كان ناشر عمالي قد حجز لي، في لندن، غرفة فاخرةً باذخة فيها ثلاّجة شروبات. لدى بلوغي الفندق انتابني شعور وكأنني في إحدى ضافات بكين أثناء تمرّد الملاّكين.

كانت عائلات تخيّم في بهو الفندق، ومسافرون نائمون يفترشون متعتهم ويتلحفّون أغطية. استعلمت عن الأمر من الموظفين الذين كانوا في معظمهم من الهنود، وبعض الماليزيين، فأجابوا بأنّ الفندق لكبير كان قد زوِّد، عشية أمس، بنظام معلوماتي، تعرض لعطل قبل ساعتين لعدم التدرُّب الوافي عليه. ولذا ما عاد ممكناً معرفة ما إذا كانت الغرف شاغرة أم مشغولة، ولذا يجب الانتظار.

كان الحاسوب قد أُصلح، بعد الظهيرة، وتمكنت من استلام

www.books4all.net
مشتريات سوق الأزبكية

السفر

كيفية السفر مع سَلْمون

تعصف بعصرنا، على ما تقول الصحف، مشكلتان كبيرتان : إنتشار الحواسب والتوسّع المقلق للعالم الثالث. وهذا صحيح وأعرفه تمام المعرفة.

فقد قمت، مؤخراً، برحلة قصيرة، قضيت منها يوماً في ستوكهولم وثلاثة أيام في لندن. وقد أُتيحت لي، في ستوكهولم، فرصة شراء سلمون مدخَّن ضخم بثمن بخس، وقد لُفّ بعناية بغلاف بلاستيكي جذّاب، وبما أنني كنتُ على سفرٍ، فقد نُصحْت بأن أحفظه في جوٍ بارد. وهذا كلام يسهلُ قوله. ولحسن الحظ، كان ناشر أعمالي قد حجز لي، في لندن، غرفة فاخرةً باذخة فيها ثلاّجة مشروبات. لدى بلوغي الفندق انتابني شعور وكأنني في إحدى مضافات بكين أثناء تمرّد الملاّكين.

كانت عائلات تخيّم في بهو الفندق، ومسافرون نائمون يفترشون أمتعتهم ويتلحفّون أغطية. استعلمت عن الأمر من الموظفين الذين كانوا في معظمهم من الهنود، وبعض الماليزيين، فأجابوا بأنّ الفندق الكبير كان قد زوِّد، عشية أمس، بنظام معلوماتي، تعرض لعطل قبل ساعتين لعدم التدرُّب الوافي عليه. ولذا ما عاد ممكناً معرفة ما إذا كانت الغرف شاغرة أم مشغولة، ولذا يجب الانتظار.

كان الحاسوب قد أُصلح، بعد الظهيرة، وتمكنت من استلام

غرفتي، ولشدة قلقي على سمكتي، شرعت في البحث عن ثلاّجة المشروبات.

عادة ما تحتوي ثلاّجات المشروبات في الفنادق العادية على زجاجتين من الجعة ومثلها من المياه المعدنية وبعض الزجاجات الصغيرة من الخمر وتشكيلة صغيرة من عصائر الفاكهة وجرابين صغيرين من الفول السوداني. أمّا الثلاجة العملاقة لفندقي، فكانت تضم خمسين زجاجة صغيرة من ويسكي وجين ودرامبوي وكورفوازيه وغران مارنيه، وأصناف أخرى من كالفادوس وثمانية ربعيات من مياه بيريه واثنتان من بادوا واثنتان من إيفيان وثلاث زجاجات من الشامبانيا وقواريرعديدة من جعة ستوت و بال- آل الإنكليزية، وزجاجات من الجعة الهولندية والألمانية والنبيذ الأبيض الإيطالي والفرنسي إضافة إلى الفول السوداني والبسكويت المملّح واللوز والشوكولا وألكا- سيلتزر. فلم يعد هناك أي مكان لسمكتي. كان دُرجان كبيران ينفتحان أمامي، فألقيت كامل محتويات الثلاّجة فيهما وأودعت سمكتي في المبرّدة، ولم أعد أشغل بالي بها.

في الساعة الرابعة من اليوم التالي، كان حيوانيَ يتربّع على الطاولة، بينما مُلئَتْ الثلاّجة بكاملها من جديد، بمنتوجات ذات نوعية رفيعة فاخرة. فتحتُ الدرجين وتيقّنتُ من أنّ كل ما أودعته فيهما، في العشية، لا زال موجوداً. هاتفتُ مكتب الاستقبال وطلبت إعلام طاقم موظّفي الطابق بأنّه لو وجدوا الثلاّجة خاوية، فذلك ليس لأنّني استهلكتُ كلَّ ما فيها، وإنّما بسبب سمكة السلمون. فتلقّيتُ الردّ بأنه ينبغي إعطاء هذه المعلومة إلى الحاسب المركزي، لأن موظّفي الخدمة لا يتكلمون الإنكليزية، ويتعذّر عليهم تلقي أوامر شفهية، وإنما فقط تعليمات عبر بيزك Basic. فتحتُ درجين آخرين لأنقل إليهما المحتويات الجديدة للثلاّجة التي أودعتها سمكتي لاحقاً.

في الساعة الرابعة من اليوم التالي، كان الحيوان يرقد على الطاولة وقد بدأت تفوح منه رائحة مريبة.

وكانت الثلاجة تغصُّ بالقوارير والزجاجات الصغيرة، أما الأدراج الأربعة فكانت تُذكر بخزنة Speak- easy إبّان قانون حظر تناول الخمر في أمريكا. هاتفت مكتب الاستقبال وعَلمتُ بأن ثمّة عطل جديد في الحاسب.

قرعت الجرس وحاولت شرح حالتي لشخص بضفائر مربوطة بشريط ومسدلة على رقبته، ولكنّه، للأسف، كان يتكلّم لهجةً لم تكن تستخدَم إلاّ في خيفيريستان Khéfiristan في العصر الذي كان الاسكندر العظيم يحتفل، فيه، بعرسه وروكسان، وفق ما ذكره لي لاحقاً أحد الزملاء الأنثربولوجيين.

في الصباح التالي ذهبت لأسدِّد قائمة حسابي، وإذ بها فلكيّة، تُظهر بأنني، خلال يومين ونصف، قد استهلكت عدداً من الهيكتوليترات من ڤوڤ كليكوت وعشرة ليترات من الوسكي المتنوع والمختلف من بينها بعض الأصناف المالطية النادرة جداً، وثمانية ليترات من مشروب الجين وخمسة وعشرون ليتراً من مياه بيريه وإيڤيان، إضافة إلى بعض الزجاجات من سان بيلليفرينو، والمزيد من عصير الفاكهة، الضروري لإبقاء كل أطفال اليونيسيف على قيد الحياة. وكمية من اللوز والجوز والفول السوداني، كافية لجعل الطبيب الشرعي، المكلّف بتشريح جثث شخصيات «لاغراند بوڤ» La Grande bouffe ليتقيّأ.

حاولت أن استفهم، ولكن الموظف، وبابتسامة كشفت كل أسنانه المسودّة بفعل التنبول، أكّد لي بأنّ الحاسب كان قيّد كل هذا. طلبت الإستعانة بمحامٍ ، فأُعطيتُ ثمرة (آڤوكا)[1].

---

(1) avocat تعني في اللغة الفرنسية مُحامٍ ، وتعني ثمرة المحامي أي منجاة وهو يستخدمها للسخرية-المترجم-

سخط ناشر أعمالي عليّ، واعتبرني طفيلياً شرهاً، وفَسَد السلمون وبات غير قابل للاستهلاك البشريّ، وعاتبني أطفالي وطالبوني بالتقليل من تعاطي الكحول.

(1986)

كيفية إسقاط حقيبة ذات عجلات

«لا شيء يتقدم في هذا البلد» كنا نتبارى في ترداد ذلك، يدفعنا ميلنا الطبيعي لجلد الذات إلى أن نضيف بأنَّ كلَّ شيءٍ أفضل في الخارج ممّا لدينا. أحياناً، يكون هذا صحيحاً. ولكن، أحياناً، أقول في نفسي بأن العجز ـ أو الغباء ـ صفة فطرية عند الكائن البشري، موزّعةٌ بعدلٍ وإنصاف، على منوال العقل الديكارتي، بين جميع الأعراق والقوميات، أيّاً كان المستوى الاجتماعي.

قبل بضعة سنوات، ظهرت، في الأسواق، حقيبة ذات عجلات صغيرة ومقبض يتيحُ جرّها، وقد صُممت خصيصاً للسفر بالطائرة، يجرّها المرء خلفه دون عناء ودون الحاجة إلى تسجيلها، ويتيح حجمها وضعها في مقصورة الأمتعة. وهذا النموذج من الحقائب، مناسبٌ تماماً للسفر بالقطار أيضاً. لقد كان الأمر يتعلق بإختراعٍ مدهشٍ، وبما أنني غالباً ما أضطرُّ إلى السفر، ابتعتُ واحدة من تلك الحقائب.

ولكن سرعان ما اكتشفت اكتشافاً مؤلماً، فقد كان لها شكل متوازي المستطيلات بستّة أوجه أجزاؤها المتقابلة متساوية و- كأيّ حقيبة - كان لها جانبان واسعان، وتشكل حوافها أربعة جوانب ضيقة، وكان مقبض جرّها وعجلاتها الصغيرة موجودة على الجانب العمودي الأكثر ضيقاً، وإذا ما صدف وكانت تلك الحقيبة حقيبتك، لاستولت عليك فكرة وضع شيء ثقيل (كُتب أو حاسب) في قعرها أو على وجهها، وعندما

ستجرّها، وأنت تجري بدون شك، خشية أن تفوتك الطائرة أو القطار، فلابدّ من أن الحقيبة ستفقد توازنها وتسقط على جنبها، فيكون عليك تعديلها من جديد، ومن ثمّ استئناف جَرْيك، فتسقط من جديد. إذاً، عليك أن تسير بخطى وئيدة للحفاظ على توازنها، وبذلك تكون قد فوّتت طائرتك أو قطارك. أجزم بأن هذا كان سيحصل بكلّ تبعاته.

اعتقدت طويلاً (وأنا الذي افتقر للخبرة) بأن الخطأ خطأي، كوني قد رتّبت أمتعتي بطريقة غير صحيحة.

وجاء بعد ذلك الجيل الجديد من الحقائب، بمقبض وعجلات لا تقع على الجانب الضيّق، وإنما العريض. وكانت تلك عجيبة العجائب! . لم تعد الحقيبة تسقط، وبإمكانك أن تملأها كيفما شئت ولن يعود قطارك يفوتك (أو طائرتك). لقد كانت بيضة كولومبوس. فسارعت إلى بيع القديمة كيفما اتّفق، لأشتري (وبثمن مرتفع) الجديدة. ولكنني لم استطع الامتناع عن سؤال البائع: «قل لي: كيف لهذه المصانع العالمية الفائقة الخبرة بالحقائب، والتي تتمتّع مكاتب دراساتها بأفضل المهندسين والمصمّمين، أن تمضي سنتين أو ثلاث لتتدارك المشكلة. أو بالأحرى، لماذا لم تفكّر بالمشكلة فوراً؟» [1]

فأبدى البائع جهله بالأمر بإشارة من ذراعيه. واليوم، نفعل أنا وإياكم ما فعلَه.

أرى تفسيراً وحيداً لذلك: تأتي المهارة بالمران، وللوصول إلى اختراع ناجز، كان من الضروري المرور بمراجل وسيطة وعمليات تُدعى : التجارب والأخطاء.

ولكن في نهاية المطاف، نحن المرغَمون على إجراء التجارب على مدى سنتين أو ثلاث، وعلى دفع الأموال لقاء أخطاء مصمّمي الحقائب، ويبدو لي أن هذا هو البرهان على الغباء الموزّع بالعدل والقسطاس.

قصة أخرى أرويها لكم. اليوم، وفي كل أنحاء العالم، يضع كل فندق لا يكون ماخوراً، تحت تصرّفك، على مغسلة الحمام، قوارير صغيرة، كلّها شديدة التّشابه، تحتوي على شامبو وبلسم وحليب للجسم وغيرها من مساحيق لاستعمالات غير محدّدة؛ وثمّة أيضاً، علبٌ صغيرة شديدة التشابه تحوي قوالب صغيرة من الصابون، واسفنجات مكعبة مبلّلة بحمض السلفوريك لتنظيف الأحذية، وغطاء رأس لتجنّب رشّاش الماء. ويحمل كل غلاف من أغلفة تلك العبوات اسم الفندق أو علامة المنتج، بحروف كبيرة، في حين أن اسم المحتوى مدوّن، بشكل عام، بأحرف جد ناعمة لا يكاد المرءُ يتبيّنها على جوانبها.

وعندما يُعلم بأنّه غالباً ما نلتقط تلك العبوات، ونحن عُراةٌ ومبلّلين وبدون نظّارات، وعندما يُعرف بأنّه كلّما زاد غلاء الفندق، كلّما قلّت فرص أن يكون من يستعملها من فتيان في ريعان العمر، بل هم من البالغين الموغلين في سنين عمر الشيخوخة المشؤوم، فيغدو من المستحيل تماماً، أن تعرف، في اللحظة الحاسمة، ما إذا كنت تُمسك بالشامبو أم بحليب الجسم، بدهان الأحذية أم بغطاء الرأس.

وهنا، لا أرى أيَّ عذرٍ مقبول، فهذه المواد دارجة منذ سنوات، ومن غير الممكن ألاّ يكون مصمّموها قد مسّدوا، ذات مرّةٍ، جسدهم بدهان الأحذية. فلماذا نستمرّ في هذا الخلط المأسوي؟ إنّه للغزٌ يستعصي على الحلّ.

بالإضافة إلى ذلك، لاحظوا أن المنتوجات الأخرى الموضوعة تحت تصرفك، ما عدا الشامبو والبلسم، ليست مستعملة أبداً، سوى من قبل بعض السُكارى المهابيل الخارجين من عربدة نيرونية. في حين لا يوضع قط على مغسلتك (إلا في الفنادق اليابانية والصينية) الشيئان الوحيدان اللذان ستكون، حتماً، قد نسيتهما: فرشاة شعر وفرشاة

أسنان، المصنوعتان من البلاستيك، الصالحتان ليوم أو يومين، واللتان لا تكلفان غالياً، ففي كل الأحوال، هي أقلّ كلفة من قارورة صغيرة من حليب الجسم.

أن يكون ثمّة حمقى، فهذا أمر محتّم، الشيء الوحيد الذي أودُّ معرفته هو مقدار راتب الحمقى الذين يهتمون بتلك الأشياء.

(1996)

كيفية تناول الطعام في الطائرة

قبل بضع سنوات، كلّفتني رحلة بالطائرة (أمستردام، ذهاباً وإياباً) ربطتي عنق بروكس براذر وقميصين بوربيري، وبنطالين آرماني وسترة تويد، كنت قد أشتريتها من بوند ستريت، وصدرية كريزيا[1].

سأشرح لكم الأمر. يدأب الطيران العالمي على تقديم وجبة طعام، وهذا دأبٌ حسن. والكلُّ يعلم أن المقاعد ضيقة وكذلك الطاولة، ويحدث أن تهتز الطائرة أحياناً. يضاف إلى هذا أن الفُوط صغيرة جداً، فتكشف عن البطن إذا ما رفعناها إلى العنق، أو عن الصدر إذا ما فرشناها على المعدة. والعقل يقضي بأن تُقدّم أغذية متماسكة، لا تسبّب الاتّساخ، وليس بالضرورة قبضات من الحبوب.

وأعرف من الأغذية المتماسكة، اسكالوب بانيه وستيك مشوي والجبن والبطاطا المقلية والدجاج المشوي، ومن الأغذية الموسِخَة، هناك سباغيتي بولونيز، والغولاش والغراتينيه، الخارج للتو من الفرن، أو شوربة كونسوميه المغلية، والمقدّمة في وعاءٍ بلا مقابض.

---

(1) ماركات لألبسة. -المترجم-

والحال أن الوجبة النموذجية على متن الطائرة تتضمن لحماً مشوياً مغمّساً في صلصة الكستناء وخضاراً مفرومة على شكل رقائق، منقّعة بالنبيذ الأحمر، وأرزّاً بصلصة الطماطم والبازيلاء المطبوخة بالبخار. والبازيلاء، كما هو معروف، لا يمكن الإمساك بها ـ وإن كان كبار الطباخين قد كفّوا عن إعداد البازيلاء المحشوّة ـ لاسيما إذا ما أصرّ المرء، على ما تفرضه آداب الطعام، أن يتناولها بالشوكة وليس بالملعقة.

لا تقولوا لي بأنّ الصينيين مغبونون أكثر منّا، أوكّد لكم بأن إلتقاط حبة بازيلاء بالعيدان أهين من شكّها بشوكة، ولا جدوى من القول بأن الشوكة لا تستخدَم لشكِّ البازيلاء، وإنما لالتقاطها، فطالما جرى تصوير الأشواك على أنّ لها غرض وحيد هو قلب البازيلاء التي تتظاهر بالتقاطها.

www.books4all.net

نضيف أن البازيلاء تقدّم، على متن الطائرات، دائماً، لحظة مرورها في منطقة اضطرابات جوية، عندما ينصح القبطان الركاب بربط الأحزمة.

وبالمحصلة، وبحساب ارغونوميٍّ معقّد جداً، لا يكون للبازيلاء سوى خيار واحد: أن تنسلَّ إلى الياقة أو تنزل إلى منافذ فتحات السروال.

لقد أخبرَنا مؤلّفو الأساطير القدماء بأنّه لمنع ثعلبٍ من أن يشرب في إناء ما، يكفي أن يكون الإناء المذكور ضيقَ الفتحة عالي الارتفاع. آنية الطائرات خفيضة الأطراف، واسعة الفوهات، إنّها أحواض حقيقية، وبديهي أنّه لابدّ لأيِّ سائل، حسب قانون فيزيائيٍّ، أن يطفح عنها، حتى دون مساعدة من الارتجاجات. الخبز ليس من الباغيت الفرنسي الذي ينبغي عضّه وشدّه بقوّة، حتى وإن كان طازجاً، إنّه نموذج خاص من خليط السميد الذي ما أن يمسك المرءُ به، حتى

يتطاير غيمة من مسحوق دقيق. ووفق نظرية لافوازيه، فإن هذا المسحوق لا يختفي إلا ظاهرياً: فعند وصولكم ستكتشفون بأنه قد تجمّع تحت قفاكم، والتصق بمؤخرة سراويلكم.

أما الكاتو، فإما إنه يشبه، بشكل غامض، كعكة مَرَنغ وسيصبح عجينة مع الخبز، وإمّا سيسيل على أصابعك، حينما تكون فوطتك الورقية قد تبللت بصلصة الطماطم، وبالتالي لا يمكنك استعمالها.

وصحيحٌ أنّه توجد الفوطة المعطّرة المغلّفة، ولكن المشكلة هي أنّها، بغلافها، لا يمكن تمييزها عن جُريبات الملح والتوابل والسكر، بحيث أنّه بعد أن يُرشّ السكر فوق السلطة، تُنزل الفوطة المعطّرة في القهوة المغلية والمقدّمة في إناء مصنوع من مادة ناقلة للحرارة ، ومملوءة حتى حوافها، لتفلت، بسهولة، من بين يديك المحترقتين بحروق من الدرجة الثانية، ولتمتزج بالصلصات المتجمّدة حول حزامك.

وفي درجة «بيزنز كلاس» تنسكب القهوة على بطنك مباشرة من قبل المضيفة شخصياً، التي تعتذر منك بـ اسبرانتو.

ممّا لا ريب فيه، أن بائع المؤن لشرْكة طيران، متواطئٌ مع خبراء الضيافة المختصين في اعتماد النموذج الوحيد للإناء الذي، وبدل أن يسكب القهوة في الفنجان، يصبّ 80 % منها فوق أغطية الطاولات. ولكن لماذا؟ الفرضية الأرجح هي الرغبة في إعطاء المسافر شعوراً بالبذخ، على أساس أنّه يتخيّل تلك الأفلام الهوليودية التي يشرب فيها نيرون بكؤوس واسعة مبللاً لحيته ودثاره الاغريقي، ويلتهم السادة الإقطاعيون، بشراهة، أفخاذاً ضخمة، ويسكبون العصير على قمصانهم المخرّمة، وهم يحتضنون عاهرة.

ولكن لماذا تقدّم، في الدرجة الأولى حيث المقاعد فسيحة، أغذية متماسكة مثل أحد أنواع الكافيار الروسي العذب على خبز مقمّر

مدهون بالزبدة، وسلمون مدخّن وأذناب الجراد البحري بالزيت والليمون؟ هل لأنّ الأرستقراطيين النازيين في أفلام فيسكونتي كانوا يصرخون (اقتله) وهم يبتلعون حبّة عنبٍ بسيطة؟ ربّما..

(1987)

كيفية استعمال تلك الفناجين الرديئة

ثمّة قهوة طيبة، هناك القهوة النابولية والاسبريسو والقهوة التركية وكافيتشينو البرازيلية و«الزنجي الصغير» الفرنسية، وهناك القهوة الأمريكية. كلٌّ هذه الأصناف تختلف عن بعضها، ولكن لكلٍّ واحد منها ميزة يمتاز بها بطريقته. فأحياناً، تكون القهوة الأمريكية مزيجاً مغليّاً بشكل مفرط، تقدّم في كؤوس بلاستيكية تشبه التيرموس الذي تستخدمه، عموماً، مقاصف المحطات في أعقاب الإبادة الجَماعية. وبذلك، تكون القهوة المصفّاة مع البيض بالقديد، عند الأفراد والمطاعم المتواضعة، المتخصّصة بالوجبات الخفيفة، لذيذة وذات رائحة طيبة، وتُشرب كالماء، وتسبّب لكم أزمة قلبية لأن الفنجان الواحد منها يحتوي على الكافيين بمقدارٍ يفوق أربعة أضعاف ما في قهوتنا الاسبريسو.

ما عدا ذلك، هناك اللافاسا، المكوّنة، عموماً، من الهندباء المتعفّنة، وعظام الجثث وبعض حبيبات البن الملتقطة من بين نفايات أحد مشافي السفلس (الزهري) وهي معروفة بالنكهة الفريدة للأرجل المملّحة في ماء الآنية. وهو يقدَّم في السجون ودور الإصلاح وعربات المنامة في القطارات والفنادق الفخمة. وفي الحقيقة، إذا ما نزلتم في بلازا ماجستيك أو ماريا جولاندا وبرابانت أو في فندق آلب وبان يمكنكم، باستمرار، أن تطلبوا فنجاناً من قهوة إكسبريس، ولكن حينما

تصل إلى غرفتك تكاد تكون مغطاة بطبقة من الجليد.

ولتجنّب هذا الهمّ ستختارون إفطار كونتنتال، وستستمتعون بلذة تناول الإفطار في السرير. إذ يتضمن إفطار الكونتيننتال بريكفاست رغيفين صغيرين من الخبز وقطعة كرواسان واحدة، وعصير برتقال ذات جرعات متماثلة، وقطعة من الزبدة وملعقة صغيرة من مربّى الآس، وآخر من العسل وثالث من مربّى المشمش وفنجان من الحليب البارد وفاتورة بقيمة 5 فرنكات وقهوة لافاسا الشيطانية.

يستخدم الأُناس العاديون آنية تُسهّل نزول السائل بفضل مقدمة رفيعة على شكل قَرْنٍ تدعى المنقار بينما يوفر القسم العلوي جهاز أمان للآنية لحظة إغلاقها - لا أتحدّث هنا عن الكافتريا(*) القديمة الممتازة التي يسكب المرء الشراب المعطر منها مباشرة في فنجانه - في الفندق الكبير (لوغران أوتيل) وفي عربات المنامة، تقدَّم لكم قهوة اللافاسا، في إناء ذي منقار عريض جداً - طراز البَجع المشوّه - وغطاء كثير الحركة، مدروس بحيث ينزلق فوراً إلى الأسفل، حالما نميل الإناء - منجذباً بفعل هول الفراغ الذي لا يمكن ردعه - هاتان الحيلتان تتيحان لأن ينسكب نصف كمية القهوة على الكرواسان والمربّى أولاً، ومن ثم ينسكب النصف الآخر على أغطية السرير وذلك جرّاء انزلاق الغطاء.

في عربات المنامة تكون أباريق القهوة عادية، إذ إن حركة القطار هي ما يساعد على انسكاب القهوة. بينما يكون الأمر في الفنادق على العكس من ذلك، يكون الإبريق من البورسلين لكي يتم انزلاق الغطاء بلطف دون صدمات، على أن يكون ذلك محتوماً.

حول أصول وتبريرات سوء إناء القهوة الرديء هذا، هناك تياران فكريان:

(*) ماكنة صغيرة تستخدم في إيطاليا لصنع القهوة الإيطالية في المنازل.

فحسب مدرسة فريبورغ، تجيز هذه الحيلة للفندق أن يبرهن على أن أغطية السرير التي كنت تندسُّ بينها مساءً قد جرى استبدالها كاملة.

وعلى رأي مدرسة براتيسلافا (راجع ماكس فيبر، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية)، فإن هذا الإناء الشيطاني يمنع التجذّر في السرير، إذ يكون من المزعج جداً تناول فطيرة حلوى منقوعة على الأغطية المبلّلة بالقهوة نفسها.

ومن العبث البحث عن هذه الآنية الرديئة في الأماكن التجارية، إذ تحتكرها سلاسل الفنادق الضخمة وعربات المنامة. وتقدّم السجون من جهتها اللافاسا في ربعيات معدنية لأن الأغطية المبلّلة بالقهوة والمعقودة بهدف استخدامها في الفرار تُموّه في الظلام بشكل أسهل.

تقترح مدرسة فريبورغ التوسّل إلى عامل خدمة الطابق، أن يضع الفطور على المنضدة وليس على السرير. فيما تردّ مدرسة براتيسلافا بأن ذلك سيمنع القهوة من أن تلوّث الأغطية، إلا أنه بالتأكيد لن يمنعها من أن تنضح من الصينية لتلطّخ منامتك (التي ليس للفندق أن يبدلها يومياً)، ومهما يكن الأمر سواء كانت المنامة أم لم تكن، فإن القهوة المقدمة على طاولة ستهبط مباشرة على بطنك وعانتك مسبِّبة حروقاً في أماكن التي تجدر النصيحة بتحاشيها.

وتردُّ مدرسة فريبورغ على هذا الاعتراض بهزِّ الكتفين، وهذه، بصراحة، أساليب سيئة.

(1988)

كيفية استخدام سائق سيارة اجرة

ما إن نصعد إلى سيارة أجرة، حتى تطرح مسألة حسن التفاعل مع السائق نفسها. فسائق سيارة الأجرة يقضي نهاره منخرطاً في حركة

السير المدينية وفي الصراع مع السائقين البشريين الآخرين - وهو نشاط يؤدي إمّا إلى السُداد[1] وإما إلى الذهان الهذياني-. وبالتالي يكون نزقاً مشمئزّاً من كل مخلوق بشريّ الشكل. وهذا ما يعني بالنسبة للمتطرفين "radical chic" بأنّ سائقي سيارات الأجرة بأجمعهم من الفاشيّين. وهذا حكمٌ خاطئٌ. يسخر سائق سيارة الأجرة من المشاكل الإيديولوجية: فهو يمقت مواكب المتظاهرين النقابية، ليس للونها السياسي، وإنّما لأنها تشلُّ حركة المرور. وقد يُهين منشوراً من منشورات كاغول[2].

كل ما يطلبه هو حكومة قوية تُسند مجموع سائقي السيارات الخاصّة إلى الحائط وتقيم منعاً للتجوّل معقولاً من الساعة السادسة صباحاً حتى الثانية عشرة، وهو يبغض النساء اللواتي يخرجن من البيت في حين أنه يستحسن اللواتي يلزمن البيت لتقشير البطاطا.

ينقسم سائقو سيارات الأجرة الإيطاليون إلى ثلاث فئات: منهم من يتجشّأ هذا النوع من الأفكار طوال الجولة، ومنهم من هو متوتر جداً، فيصمت ويكشف عن سلوكٍ فظٍّ، ومنهم من يزيل توتراته بفضل الحكائية الفصيحة التي يتمتّع بها، مفضّلاً للمسافر الذي يقلّه كل ما جرى له مع بقية الزبائن الآخرين. وهي فصول حياتية مجرّدة من أدنى مدلول رمزي، لأنها إذا رُويت في المقهى التجاري، قد تدفع بصاحب المقهى إلى أن يرمي الراوي خارجاً قائلاً له: لقد آن أوان النوم. ولكن السائق يراها طريفة ومدهشة، ولابدّ من أن تثير اهتمامكم بإبداء تعليقات مثل «كلاّ، هذا مستحيل، الناس يتشابهون، ليست لدي فكرة، هذا غير مقبول، هل حقاً جرى هذا معك؟» وإن لم تحرّر هذه

---

(1) نوع من الأمراض. -المترجم-

(2) منظمة ثورية سرية تعتمد الأساليب الإرهابية في تحقيق أهدافها. -المترجم-

المشاركة السائق من انطوائه التخييلي، فإنها على الأقل ستجعلكم تشعرون بأنّكم أفضل حالاً.

في نيويورك، يجازف الإيطالي كثيراً، حينما يكشف عن أصله، وهو يقرأ بلكنة غريبة شبه جزيرية اسماً على اللوحة الشخصية، فيبدأ السائق بالترطين بلغة مزيجة غامضة، ويشتاط غضباً ما لم تفهم عليه، فيكون عليك القول على الفور بأنك لا تتكلم سوى لهجة قريتك.

ففي كل الأحوال، هو مقتنع بأن اللغة الوطنية في إيطاليا هي الإنكليزية. وعلى العموم فلسائقي سيارات الأجرة في نيويورك إمّا اسمٌ يهودي أو اسم غير يهودي. أولئك الذين لهم اسم يهودي هم صهاينة رجعيون، والذين لهم اسم غير يهودي هم رجعيون معادون للسامية.

وهم لا يؤكدون وإنما يطالبون بعصيان وتمرد. ومن الصعب معرفة كيفية التصرُّف مع أولئك الذين أسماؤهم شرق أوسطية أو روسية على نحو غامض، والذين لا نعرف ما إذا كانوا يهوداً أم لا. وتجنّباً لأي عارض، من الأفضل القول بأننا غيّرنا رأينا وبأننا لم نعد نودّ الذهاب إلى الشارع السابع، في زاوية الشارع الرابع عشر، وإنّما إلى شارلتون ستريت.

فيُصاب السائق في الحال بغضبٍ مفاجئ ويتوقف ويرميك من سيارته، لأن سائقي الأجرة في نيويورك يعرفون الشوارع ذات الأرقام فقط وليس تلك التي لها أسماء.

وعلى العكس من ذلك، لا يعرف سائق الأجرة الباريسي أي شارع، فإذا ما طلبت منه أن يقودك إلى ساحة سان سولبيس، يُنزلك في اوديون، قائلاً إنه لا يعرف كيف يذهب إليها انطلاقاً من هنا. ولكن في السابق، كان لك الحق في مرثية طويلة تخصُّ حاجتك مؤلّفة من (آه، هذا، سيدي، إذاً...) ولكن لا تعرض عليه أن ينظر إلى مخطّطه، فإنّه إمّا سيمتنع عن إجابتك، وإما سيفهمك بأنه إذا ما كنت

تريد استشارة بيبلوغرافية، ليس لك سوى الذهاب إلى موظف في الأرشيف البيبلوغرافي في السوربون. الآسيويون يمثّلون نموذجاً مستقلاً: فهم يأخذونك، بمنتهى المودّة، في ثلاث دورات في الجادات العريضة، قبل أن يسألوك عن الفرق بالنسبة إليك، إن هم نقلوك إلى محطة الشرق بدلاً من محطة الشمال، طالما أن المقصود هو دائماً القطارات.

في نيويورك، من المستحيل طلب سيارات الأجرة عبر الهاتف، بسعر أقلُّ كلفة من كلفة الانتساب إلى نادٍ ما. وهذا ممكن في باريس، ولكن المضجر في الأمر هو أنّها لن تأتي. في ستوكهولم لا يمكن طلبها إلاّ بالهاتف، لأنهم لا يؤمنون بطريقة التجوال في الشارع. ولمعرفة رقم الهاتف عليك، فقط، إيقاف سيارة متجولة، إلا أنهم، كما ذكرت، لا يؤمنون بطريقة التجوال.

سائقو سيارات الأجرة الألمان ظرفاء ودقيقون، لا يتحدثون، ويكتفون بالضغط على دوّاسة التسارع. حينما تترجّل مخطوف اللون، تدرك سبب قدومهم للإستجمام في إيطاليا، وهم يسيرون من أمامك بسرعة 60 كم في الساعة على الطريق المُخصّص لمرور المشاة.

إذا ما أُجري سباقٌ بين سيارة أجرة من فرانكفورت ماركة بورش، وأخرى من ريو ماركة فولكسفاغن المحدّبة، فالغلبة ستكون للسيارة البرازيلية، لأنها، بالإضافة إلى أسباب أخرى، لا تتوقف عند إشارات المرور. وإذا فعلت ذلك، فإنها ستجد نفسها إلى جانب فولكسفاغن محدّبة، مليئة بصبية يمدّون أذرعهم ويسرقون ساعتك.

في العالم أجمع ثمة وسيلة ناجعة للتعرُّف إلى سائق سيارة أجرة: إنّه ذاك الذي ليس بحوزته أبداً فئات نقدية صغيرة يعيدها تتمّة للأجرة.

(1988)

كيفية تجاوز الجمرك

في الليلة الماضية، وعقب موعد غرامي من مواعيدي العديدة، قتلت آخر عشيقة من عشيقاتي، مهشّماً رأسها بمملحة عزيزة على قلبي من ماركة سيلليني. أولاً، باسم التربية الأخلاقية الصارمة أشدّ الصرامة، التي تلقيتها في طفولتي - امرأة تميل للذّة هي غير جديرة بالرحمة- ومن ثمّ لأسباب جمالية فنية، لتجريب رعشة الجريمة الكاملة.

وعلى الأنغام الرنانة للموسيقى الإنكليزية الباروكية، المنبعثة كخرير المياه من قرص CD، انتظرت إلى أن همدت الجثة وتخثّر الدم، ثم شرعت في تقطيع أوصال الجثّة بواسطة منشار كهربائي، مرغماً ذاتي على إحترام المبادئ التشريحية الأساسية، احتراماً للثقافة التي من دونها لما وُجِدَ لا الأدب ولا العقد الاجتماعي. ثم وضعت الأشلاء في حقيبتين مصنوعتين من جلد خُلْدِ الماء، ثم ارتديت بذلةً رمادية، واستقَللتُ عربة منامة إلى باريس.

بعد أن سلّمت للمراقب جواز سفري وكتاباً، أصرّح فيه، بدقة، عن مئات الألوف من الفرنكات التي بحوزتي، استسلمت للنوم الهادئ، لأنّ لا شيء يسهّل النعاس أكثر من الشعور بإنجاز العمل.

أما بالنسبة لموظفي الجمرك، فسوف لن يكون من المسموح لهم قط أن يزعجوا مواطناً كان يُعلن من خلال سفره في الدرجة الممتازة، وفي غرفة منفردة، انتماءه إلى الطبقة السائدة، وبالتالي، يكون فوق أي شبهة. وضعٌ يمكن تقديره، لاسيما وأنني كنت قد ذهبت حاملاً قليلاً من المورفين، وثمان مائة أو تسع مائة غرام من الكوكائين، وقطعة من قماشة تيتيان، اجتناباً لأزمات النقص في هذه المواد.

سوف لن أقول شيئاً، عن الأسلوب الذي تخلّصت به، في باريس، من باقي البؤساء، لثقتي بخيالكم.

يمكن الذهاب إلى بوبورغ، ونقل الحقيبتين على أحد السلالم الآلية، دون أن يتبيّنها أحد، قبل مضيّ زمن طويل. كذلك يمكن إخفاؤهما في المستودع الآلي لمحطة ليون. فآلية إعادة فتحها، باستخدام كلمة السر، معقّدة جداً، حيث فيها آلاف الطرود، التي لم تسلّم لأصحابها، دون أن يجازف أحد بالإقدام على التحقق منها. ببساطة أكثر، يكفي أن يفترش المرء شرفة دو ماكو، بعد أن يترك الحقيبة أمام مكتبة لاهون، لتُسرق واحدة منها على الأقل وتقع في يدي من سرقها منك، وبهذا، سيكون من العسير عليّ نكران الحدث الذي أثار في نفسي التوتر الشديد الذي دائماً ما يترافق مع تحقيق عمل محكم فنّياً ومعقّد.

لدى عودتي إلى إيطاليا، وقد شعرت بالنزقِ، عزمت على أن أستمتع ببضعة أيام من العطلة، أقضيها في لوكارنو. وجراء شعور غامض بالذنب، وخشية غير محسوسة، بأنّ أحداً ما تعرّف إليّ، قررت السفر على متن الدرجة الثانية، مرتدياً بنطال جينز، وقميصاً رياضياً من ماركة التمساح. على الحدود، أرهقني موظفو الجمارك الطافحين بالحماس، فقد فتشوا في أمتعتي، بما فيها الأكثر شخصية، وكتبوا محضراً، لجلبي، إلى سويسرا، رزمة علب سجائر إيطالية، ثم أعلموني بأن صلاحية جواز سفري منتهية منذ خمسة عشر يوماً، وأخيراً عثروا، في قعر صُرري، على خمسين فرنكاً سويسرياً من مصدر غير معلوم، لم أكن قادراً على إبراز وثيقة رسمية لشرائها بشكل قانوني من إحدى المؤسسات المصرفية. وقد استجوبتُ، تحت نور مصباح بقوة 1000 واط، وضُربتُ بمنشفة حمام مبلّلة، واعتقلتُ، بشكل مؤقت، في حجرة معزولة، على سرير مثبّتٍ.

ولحسن الحظ، قلت ببداهة إنني كنت أنتمي إلى المحفل P2، ذ تأسيسه، وبأنني قد ألقيت قنبلتين أو ثلاث، على القطارات سريعة، لغايات إيديولوجية، وبأنني أعتبر نفسي سجيناً سياسياً. وفي حال، خصّصوا لي غرفة شخصية، في «مركز الرفاهية» في الفندق كبير لجزر بورومیه. وقد نصحني أحد أخصائيّ الحمية بإهمال بعض وجبات، بهدف استعادة وزني النموذجي، بينما فتح طبيب للأمراض عقلية ملفاً بهدف الحصول على قرار بالحجز المنزلي، نظراً لفقد مهية الواضح. وبانتظار ذلك كتبت رسائل مجهولة إلى قضاة المحاكم كلفة بمقاضاتي، ملمّحاً بأنهم يتبادلونها فيما بينهم، واتّهمت الأم يزا بأن لها صلات وثيقة بالجماعات الشيوعية المقاتلة.

إذا ما جرى كل شيءٍ على ما يرام، فسأكون في بيتي في غضون بوع واحد.

(1989)

كيفية السفر بالقطارات الأمريكية

يمكنك السفر، بالطائرة، وأنت مصاب بقرحة، وبالجرب، وداء الرُكب الصدفاء، وتنس ـ الباو، ورقصة القديس غي، والسيدا، والسل الحاد، والجذام، ولكن ليس وأنت مصابٌ بالزكام.

أولئك الذين جرّبوا ذلك، يعرفون بأنّه، حينما تنزل الطائرة، دفعة واحدة، من ارتفاع 10 آلاف قدم، نشعر بآلام في الأذنين، ويتملكنا الشعور بأن رأسنا سينفجر، فنلطم النوافذ، ونصرخ بأننا نريد أن نقفز من الطائرة، حتى بدون مظلّة.

ومع أني أعرف ذلك، قرّرت السفر إلى نيويورك، وأنا مصاب بالزكام، مزوّداً ببخاخة أنفية ذات مفعول مدمرٍ، وقد جرت تلك الرحلة بشكل سيّئ.

لدى وصولي، كنت أشعر بأنني في قاع حفرة الفليبين، فكنت أرى الناس تحرّك شفاهها، ولكن لم أكن أسمع أي شيء على الإطلاق. شرح لي الطبيب بالإشارات بأنني أعاني من إلتهاب طبلة الأذن، ولقّمني بعض المضادات الحيوية، ومنعني من استقلال الطائرة لمدة عشرين يوماً. ولما كان عليّ أن أذهب إلى ثلاثة نواحٍ من الساحل الشرقي، سافرت بالقطار.

الخطوط الحديدية الأمريكية هي صورة لما يمكن أن تكون عليه الأرض بعد حرب نووية.

أوه.. بالتأكيد القطارات تنطلق! لكن المشكلة أنها تصل، غالباً، متأخرة لست أو سبع ساعات عن مواعيدها، ما لم تتعرّض لعطلٍ في أرضٍ مكشوفة.

أما المحطات، فهي فسيحة وقارسة البرودة وفارغة، لا خمّارة فيها، يرتادها أشخاصٌ ذوو وجوه شاحبة، وتشقُّها سراديب تذكِّر بالمترو النيويوركي لـ«العودة إلى كوكب الإشارات».

يأتي خط نيويورك - واشنطن، الذي ينقل الصحافيين والشيوخ (السيناتورات) في الطليعة، ويقدّم ـ في الدرجة الأولى ـ الراحة التي تتوفّر في درجة رجال الأعمال، وتُقدّم فيها وجبة ساخنة بمستوى وجبات مطعم اتحادي.

أما على بقية خطوط النقليات، فالعربات تبعث على التقزّز، ومقاعدها الجلدية ممزقة، والحانة تقدم طعاماً يجعلك تتحسر على النشارة المتحلقة من حول قطاراتنا المحلية (وبالكاد أبالغ).

عُرضت علينا أفلام بالألوان، تُظهر لنا جرائم شنيعة تُقترف في عربات المنامة الضخمة، حيث تحتسي سيدات جليلات ذوات بشرة بيضاء، الشامبانيا المقدّمة من قبل خَدَم سود خارجين،للتو، من «ذهب مع الريح»[1]. هذا خطأ، هذا في منتهى الخطأ. ففي الواقع يخرج المسافرون، على متن القطارات، السود مباشرة من «ليلة الأموات-الأحياء»[2]، ويمسح المراقبون الممرات بتقزّز ويتعثّرون بعلب الكوكا والأمتعة المرمية والجرائد المدهونة بالمرق المنبجس من الفطائر الملفوفة بلفائف بلاستيكية، تُشع بموجات جد خطيرة على الإرث العلمي الوراثي.

في أمريكا، القطار ليس خياراً، إنه عقابٌ على الجهل بدراسة فيبر حول «الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية»، وعلى ارتكاب خطأ البقاء فقيراً، ومع ذلك يبقى الشعار الأخير، لليبراليين، هو ضرورة أن يكون الأمر صحيحاً من الناحية السياسية (لا ينبغي للّغة أن تعرّف بالفوارق) لذلك فإن المراقبين لطفاء جداً، حتى مع المشرّدين. (قد ينبغي القول «ليس حليقاً بابتذال»).

ويوجد في محطة بنسيلفانيا فئة من «غير المسافرين» الهائمين على وجوههم. يلقون نظرات شاردة على أمتعة الناس، ولكن لم ينس أحد المجادلة حول فظاظات رجال شرطة لوس أنجلس، بينما نيويورك مدينة سليمة سياسياً.

اقترب رجل شرطة من طراز إيرلدني من متسكِّع مفترض، وانشق عن ابتسامة وسأله عما يصنعه في الأنحاء، فادّعى هذا بأنه يعمل في مجال حقوق الإنسان.

---

(1) فيلمٌ سينمائيٌ شهير. -المترجم-
(2) فيلم سينمائي. -المترجم-

لاحظ المخبر الملائكي بأن النهار جميل جداً في الخارج، فابتعد جاعلاً دبّوسه الطويل ينوس (وليس يحوم). بالإضافة إلى ذلك أحصينا الكثير من المدخّنين بين الفقراء الذين يمتنعون عن التنازل عن الرمز الوحيد لتهميشهم، وهكذا وجدت نفسي وقد خاطرت بالصعود إلى عربة المدخّنين الوحيدة، في قلب «أوبرا دو كاتسو». كنت الوحيد الذي يرتدي بزّة وربطة عنق، أما البقية فكان معظمهم من الوحوش الفصاميين، والمتسكّعين النائمين، بأفواه فاغرة، يردّد المكان صدى شخيرهم، ومن الزومبيين في حالة غيبوبة. كانت العربة في آخر القطار، لدرجة أنه، عند الوصول، كان على لمامة المنبوذين هذه، أن تجري ما يقارب المائة متر بخطوات كخطوات جيري لويس.

بعد أن نجوت من ذلك الجحيم الحديدي، وبعد أن ارتديت الألبسة غير الملّوثة، ذهبت إلى عشاءٍ مقدّم في الصالون الخاص بأحد أعضاء Faculty Club (نادي المتميزين)، برفقة الأساتذة الأنيقين، متحدثاً بلغة جد مهذبة. في أعقاب تناول الوجبة، سألت فيما إذا كان بامكاني التنحّي جانباً للتدخين. فساد صمت وابتسامات تنمُّ عن ضيق، ثم أغلق أحدُهم الأبواب، وأخرجت سيدة من حقيبتها علبة سجائر، وسلب آخرون علبتي، وسط نظرات متواطئة وضحكات خفيفة خافتة، مثلما يحدث في ظلمة ملهى ستريب- تيز. وكانت تلك عشر دقائق من المخالفة اللذيذة والمرعشة.

لقد كنت الشيطان وقد وصلت من عالم الظُلمات، فكنت أهديهم بمشعل الخطيئة.

(1991)

كيفية زيارة خُلجان الغد

لم أتمتع، صيف هذا العام، بعطلة حقيقية، فقد أحاطت بي ظروف مزعجة. عذراً لهذا التفصيل غير المفيد من سيرتي الذاتية، ولكن عليَّ أن أذكره لأني نزلت في غراند كايمان مع أني لست رجل أعمال مهمّ. وإليكم الحكاية: في تشرين الثاني، وعلى مدى عدة أسابيع، قادني عملي لأن أجوب الأمريكتين طولاً وعرضاً، وعندما اكتشفت - ويا لروعة المفاجأة - بأنّ لدي خمسة أيام شاغرة، مع عطلتي الإسبوعية، بحثت عن أول جزيرة من جزر الكاريبي، يمكنني السفر إليها دون تعقيدات، فلجأت إليها. كانت واحدة من جزر كايمان الثلاث، تقع إلى جنوب كوبا بقليل، ليست بعيدة عن جامايكا، وهي دولة صغيرة تشكّل جزءاً من الكومنولث البريطاني، حيث يدفع المرء فيها بالدولار الكايماني، وصدّقوني بأن الدفع بالدولار الكايماني، يجعلك تظهر وكأنك في ديزني لاند.

تتوفّر جزر كايمان على ثلاث ميزات: أولاها، وسأعود إليها، هي أنّها جنّة ضريبية شهيرة.

ثانيتها: البحر فيها هادئ وصاف وفاتر، ويمكننا، عند السباحة فيه، أن نلاقي سلاحف بحرية سريعة جداً، أو أن نمسّ سلالات لا يمكن تصوّر هيئتها، على أنها ليست مرعبة على الإطلاق، بل حتى أنها جذابة إلى درجة أنني أفكر في بيان جديد «للدفاع عن السلالة».

ثالثاً: تستند السياحة المحلية، في جزء كبير منها، إلى ميثولوجيا القَرْصنة.

وتأتي هذه النقطة الأخيرة، من كون أن موقع الجزر وانعدام السكان فيها، جعلا منها محطّة رسوٍ وقاعدة عمليات للسفن المقرصِنة. ولا شكّ أن المكتب المحلي للسياحة استغلّ الأسطورة تماماً: فقد زوّد

متاجر كبيرة وواسعة بمجموعات أسلحة «القرصان الكامل»، والتي تبهج الزوّار الصغار، كما أنّه ينظّم مهرجانات للقرصنة.

ترسو سفينة غَلْيون[1]، التي يمكن الاعتماد عليها رغم حجمها المتواضع، وينزل منها رجال على عيونهم عصابة سوداء، وبيدهم المحجن وسيف المُهاجمة، باختصار، بكامل العتاد، فيخطفون مراهقات مزقزقات متنكّرات بالزي العصري، ويتصارع كلٌّ اثنين من القراصنة، وفي النهاية، نتمتّع بمشاهدة الأسهم النارية ورقصة القرصان في الهواء الطلق، ثم نُتْخَم بأكل قدير السلحفاة، والمحار البحري أو باللفائف، ونوع من الكلمار اللدن الغنيّ بالبروتينات، والذي يطبخه السكان المحلّيون بطرائق شتى. والعرض مقدّم إلى العائلات، وليس للممثلين الحق حتى في شرب عبوة من البيرة طيلة غزواتهم (تخيّلوا خزان الوظائف الذي تشكله القرصنة للكايمانيين المسالمين).

نعلم جميعاً، والحال هذه، أن القراصنة الحقيقيين كانوا أناساً عديمي الوجدان، لا عقيدة لهم ولا قانون، يمكنهم أن يبتروا يدك لسرقة خاتم، شرهين للاغتصاب والسلب، ويتسلّون برمي أشخاص بؤساء من أعالي السفينة إلى البحر.

وهم سوقيون بالجملة، أبناء وأزواج وآباء ونساء ساقطات، رؤيتهم تثير الرعب، ولا يغتسلون، تفوح منهم رائحة الثوم والردم.

لكن الزمن يشفي كل الجراح، فقد مرّت هوليود من هناك، وأصبح أولئك البؤساء أبطال الأسطورة، وقُدِّموا إلى عوائل السّواح كنماذج للحياة الساحرة والمغامرة.

نعود الآن إلى واقع أن جزر كايمان هي فردوس (off shore)، أي

---

(1) غَلْيون: سفينة شراعية حربية وتجارية استخدمت قديماً لنقل الذهب إلى اسبانيا من مستعمراتها-المترجم-.

أنه بلد يمكن أن يحّول فيه المرء الرساميل، دون أي عقبة مالية: فقراصنة تحت الطاولة ونصّابي عمليات الأيادي القذرة، وتجار المدافع، وباختصار كل أولئك الذين يسمّيهم علم الأخلاق الحالي، بالأشرار الذين ينبغي اجتثاثهم، لا يحرمون أنفسهم منها، ونتابع ذلك يومياً عبر الوقائع القضائية، ولكن كيف ستكون بعد مائتين أو ثلاثمائة سنة؟

بقد ضمّد الزمن كلّ الجراح، في الجزيرة، كنت أفكر بالنصّابين القادمين من شتى أنحاء العالم، ليدبّروا، في حمى الفيلات المنعزلة، على الشاطئ، ما يدبّره، على العموم، المقاولون والفاسدون وغيرهم مّمن يبيّضون الأموال القذرة، كنت أقول في نفسي، بأنّه خلال مائتي سنة، سينظّم المكتب السياحي المحلي وصولاً مسرحياً لكل أنذال زماننا.

سينزل قراصنة جدد، وعِرْقٌ سيِّدٌ، ومحوّعو الآرامل، ومضطهدو الأيتام، ومهندسو التهرّب الضريبي، و(متزلّجو) الـ "off shore" من يخوتٍ فاخرة، على متنها طائرات مروحية، مصحوبين بنجمات سينمائية يتمايلن ابتذالاً، وبعارضات أزياء لم يبلغن سنَّ الرشد بعد. وسيكون هذا تقليداً زائفاً، بالتأكيد، فالشخصيات الحقيقية ستكون قد ماتت منذ زمنٍ طويل، ولكن، سيتنكرون، جميعاً، في هيئة محامٍ ثري، يترافع عن قضايا احتيالية، وخبير في الإفلاس الإحتيالي، ومهرّب راشٍ، حلق ذقنه للتوّ، تفوح منه رائحة العطور، ويتدلىّ سلسال ذهبيٌّ على جذعه المسمرّ...

وسيدفع السوّاح مقابلاً لقاء رؤية من يستحقُّ الشنق في عصرنا.

وبينما كان لقراصنة الماضي، أسماء مورغان، ودراك، ولولونيه، وكابتن فلنت، ولونغ جون سيلفر، فإنّه، بالنسبة لقراصنة المستقبل،

بدّ من التمهُّل وعدم التسرّع، إذ صحيحٌ أنّهم أُخْضِعوا للتحقيق، وى أنّه لم يتمّ الحكم بعد بإدانتهم.

(1995)

كيفية شراء أدواتٍ كماليةٍ

تحلّق الطائرة، بجلالٍ، فوق سهولٍ شاسعة وصحارى نقية. ولا زال القارة الأمريكية تحسن أن تمنحنا لحظات من علاقة ملموسة مع لطبيعة. كدت أن أنسى منها الحضارة، ولكن ها هي في الجيب لموجود في مقدّمة مقعدي. فبين تعليمات الإجلاء السريع (من الطائرة في حال حدوث طارئ)، وبرنامج الأفلام، وكل أنغام الكونشيرتو البراندبورية، المنبعثة من سماعتي الرأسية، وقعت على نسخة من «ديسكفري»، وكراسة تحصي، مع صورٍ مغرية، أجهزة يمكن طلبها عبر المراسَلة.

في الأيام التالية، وعلى متن رحلاتٍ أخرى، اكتشفت «ذا أمريكان ترافيلر، جيفت ويذ بيرسونااليتي» The American Traveller, Gifts with Personality، ومنشورات أخرى من هذا النوع. وكانت قراءتها جذابة، تُهتُ معها، وأنستني الطبيعة المملّة جداً لأنّه، قيل، Non facit saltus (أتمنى ألا تمرَّ طائرتي، بعد الآن، بالمطبّات).

الثقافة على قدرٍ من الأهمية، لدرجة أنّها تُستخدم في تلطيف الطبيعة. فالطبيعة قاسية وعدائية، في حين أن الثقافة تتيح للإنسان أن يوفّر الجهد والوقت، وتحرّر الجسد من عبودية العمل، وتهيّئه للتأمل.

فكّروا، على سبيل المثال، كم يكون مضجراً نقلُ بخّاخة أنفية. فأنتم تعرفون قارورة من تلك القوارير الصيدلية، التي تُعصر بين

الأصابع، لترسل رشّة ناجعة، تفتح أنوفنا، وتزيل الضيق. فيراليزر Viraliser (95 $4) هو جهاز، تُدخل فيه القارورة المذكورة، ويضغَط عليها دافعاً الرشّة بسرعة كبيرة نحو أعماق مجاريكم التنفسية. طبعاً، ينبغي مسك الجهاز باليدين، واجمالاً، لدى تخيّله بالصورة، يتملّكنا شعور بإننا نطلق على أنفسنا طلقة كلاشينكوف، ولكن لكل شيء ثمن.

لقد تورّطتُ، وأتمنّى ألاّ أتورّط مرَّة أخرى، مع اومنيبلانكيت Omniblanket، الذي يكلّف مبلغاً زهيداً، 150 دولاراً. ظاهرياً، هو غطاء مدفّئ بسيط، إلاّ أنه مزوّد ببرنامج إلكتروني، يهدف إلى تكييف درجة حرارته مع شتى أنحاء الجسم. سأشرح لكم فكرتي: عندما ترتعد أكتافكم برداً، في الليل، بينما تتصبّب ثنايا أفخاذكم عرقاً، يكفي أن تبرمجوا اومنيبلانكيت، فيبعث الدفء في الأكتاف والبرودة في ثنايا الفخذ. نعم، ولكنّكم ستكونون في أكفان جميلة، إن تقلّبتم، جراء العصبية المفرطة، في السرير، وألفيتم رأسكم في الأسفل.

وستتعرضون لحرارة شديدة في مناطق حسّاسة من أجسادكم، تبعاً للجنسين المختلفين. ولا أعتقد بإمكانية الطلب من المخترع أن يجري أي تحسين عليه، إذ يساورني الشك بأنه قد مات متفحّماً.

لا ريب في أنّه يحدث أن تشخروا، فتعكّرون صفو نوم الشريك، رجلاً كان أم امرأة.

الـ سنور ستوبر Snore Stopper، هو على شكل ساعة، تربطها إلى رسغ يدك، قبل النوم، وهي مزوّدة بـحسّاس audiosensor، ليكشف سنور ستوبر أدنى أنّة تصدر منك، ويُرسل ذبذبة كهربية، تصعد في طول ذراعك، فتمسُّ أحد مراكزك العصبية، وتوقف شيئاً ما فيه، لا أعرف بدقة ما هو، فتتوقف عن الشخير، والموضوع لا يكلّف سوى 45 دولاراً. المزعج فيه، هو التحذير من استخدامه من قبل

مصابين، قطعياً، بأمراض القلب. وهو، فضلاً عن ذلك، يزن لموغراماً واحداً.

يمكنكم، إذاً، استخدامه مع الشريك، الذي اقترنتم به لعقود تادة، ولكن، على ألاّ تغامروا به، ليلاً، لأن ممارسة الحب، بوجود هاز يزن كيلوغراماً في رسغ اليد، تجازف بالتسبب ببعض الحوادث جانبية.

وأنتم تعلمون بأن الأمريكيين، للتخلّص من الكوليسترول، ارسون الـ جوكينغ Jogging، أي أنهم يركضون، لساعات، إلى أن ترّوا جثثاً هامدة جراء الإصابة بجلطةٍ.

يتخذ الـ بولس ترينر Pulse Trainer (59$95)، مكانه في سغ، ويربطه خيطٌ إلى غطاء صغير من الكاوتشوك، يُربط إلى مقدمة سبابة. حينما يصبح نظامك القلبي العروقي على حافة الوهن، تُطلق ارة إنذار. وهذا تقدّم جيد، إذا ما فكّرنا بأنّ المرء، في البلدان متخلِّفة، يتوقف، بكل بساطة، عندما يضيق نفسه ـ وهذا مؤشّر ائي، يفسّر، بما لا يدع مجالاً للشكّ، سبب عدم ممارسة أطفال غانا جوكينغ. والأكثر إثارة للدهشة، أن ليس لديهم أونصة واحدة من كوليسترول رغم هذا الإهمال. مع بولس ترينر، تركضون بهدوء، ذا ما تمنطقتم، علاوة على ذلك، بأحزمة «نايك مونيتور»، فإنّ صوتاً كترونياً، يُستدل عليه بواسطة اثنين من الميكروبروسيسورات Microprocesseu، ودوبلر إيفكت ألترا، سيخبركم عن المسافة التي ريتموها، وسرعتكم التي تجرون بها، وذلك لقاء (300$).

إذا كنت تهوى الحيوانات، أنصحك بـ بيو بيت Bio Bet، فهذا جهاز يُلفُّ حول رقبة كلبك، ويرسل أصواتاً فوقية (Pmbc circuit)، ل البراغيث، وهو لا يكلّف سوى (25$).

لا أعلم إن كان ممكناً استعماله للجسم البشري، لقتل قمل العانة، ولكني أخشى التأثيرات الجانبية المعتادة، وبطاريات دوراسيل ليثيوم Duracell lithium غير مدرجة بين التجهيزات، ولذلك ينبغي على الكلب أن يذهب، بمفرده، ويشتريها لنفسه.

شاوِر فاليت (34$95) Shower Valet يقدِّم لك، في قطعة واحدة معلَّقة على الجدار، مرآة حمام مضادة للبخار، ومذياعاً وتلفازاً وحاملة شفرات وناثرة رغوة الحلاقة.

ويؤكد الإعلان بأنه سيحوّل الروتين الصباحي المضجر إلى «تجربة فريدة».

الـ سبايس تراك Spice track هو ماكينة إلكترونية تحتوي قوارير شتّى أنواع التوابل التي تخطر على البال. وهذه القوارير عادة ما يصفّها الفقراء على رفٍّ فوق الفرن، وعندما يريدون رشّ، لنَقُلْ، القِرفة على طبقهم اليومي من الكافيار، ينبغي عليهم أخذها بأصابعهم. أمّا أنتم، فتنقرون على أزرار لوحة لوغاريتمية (في عنفة باسكال على ما أعتقد)، فيحضر، بفضل دورة من الجهاز، التابل المطلوب، من تلقاء نفسه.

وإذا أردتم أن تقدِّموا هدية، بثلاثين دولاراً فقط، إلى شخص عزيز عليكم، بمناسبة عيد ميلاده، فإنّ شركة متخصِّصة سترسل إليه نسخة من صحيفة «نيويورك تايمز» صدرت في يوم ميلاده. وإذا كان قد وُلِد في يوم هيروشيما أو يوم زلزال ميسين فهذه مشكلته. وهذا يُستخدم أيضاً في إذلال الشخصيات المقيتة، إذا ما كانت قد وُلدت في يوم لم يحدث فيه أيُّ شيءٍ.

وبخصوص السفر لمسافات طويلة، تُستأجَر، بدولارين أو ثلاثة، سماعاتٌ تبثُّ الموسيقى أو الشريط السينمائي الأصلي للفيلم. وبإمكان المسافرين على السفر والمرغمين عليه والمرعوبين من السيدا أن يشتروا

بـ (19$95) سماعات شخصية ومشخصنة - معقَّمة - سيجرجرونها من طائرة إلى طائرة. وبانتقالك من بلدٍ إلى بلد، ستحتاج إلى معرفة كم دولاراً تساوي ليرة إسترلينية، أو كم دوبلوناً إسبانياً يساوي التالر الواحد[1]. يستخدم الفقراء قلماً وورقة أو آلة حاسبة تساوي 50 فرنكاً. يقرأون الأسعار على صحيفتهم المفضلة، ويضربون الأخماس بالأسداس. الأغنياء يشترون حاسبة من ماركة كورنسي كونفيرتر Currency Converter بـ 20 دولاراً: وهذا الجهاز يقوم بنفس ما تقوم به الآلة الحاسبة، باستثناء أنه ينبغي أن تعاد برمجته، كل صباح، من قبل المدير العام، تبعاً للأسعار اليومية، وأنّه غير قابل، على الأرجح، أن يجيب على السؤال (غير النقدي) «ست مرات ستة؟» في نهاية المطاف هي : آلة حاسبة، مضاعفة الثمن، تنجز نصف ما تُحسِن سواها من الآلات الحاسبة انجازه. ثم لديكم المفكّرات العجيبة (ماستر داي تايم Master Day Time، ميموري بال Memory Pal، لوز-ليف تايمر Loose - Leaf Timer إلخ. .) والمفكرة العجيبة هذه هي بمثابة مفكرة عادية (باستثناء أنّها، بشكل عام، أكبر من أن يتسع لها جيبك). وكأيّ مفكرة عادية، بعد 30 أيلول، يأتي 1تشرين الأول. ما يختلف في الأمر هو الوصف.

تصوّر ـ تقول لك التعليمات ـ أنّك، في الأول من كانون الثاني، حدّدت موعداً في العشرين من كانون الأول. ثمّة ما يقارب اثنا عشر شهراً بين التاريخين، ولا يمكن لأي عقل بشري أن يتذكّر تفصيلاً بهذا القدر من التّفاهة، خلال كل هذا الوقت. إذاً ما العمل؟ تفتح مفكّرتك، في الأوّل من كانون الثاني، على صفحة العشرين من كانون الأول، وتكتب (الساعة العاشرة، السيد سميث). ويا للدهشة! يمكنك

---

(1) تالر: وحدة نقد ألمانية. ـ المترجم ـ

طيلة السنة أن تنسى هذا الالتزام الثقيل. يكفي، وأنت تتناول الزروع بالحليب، أن تفتح، في الساعة السابعة من صباح العشرين من كانون الأوّل، مفكّرتك العجيبة، وستتذكّر موعدك... ولكن لنفرض بأنّك استيقظت- ما يدريني ـ في الحادية عشرة، وبأنّك لم تنظر إلى مفكرتك إلاّ في الساعة الثانية عشرة ظهراً؟ ولكن بما أنّك صرفت 50 دولاراً لاقتناء المفكرة العجيبة، فهذا يقتضي أنّك تملك من العقل ما يجعلك تستيقظ، يومياً، في الساعة السابعة.

ولتسريع تزيّنكم في العشرين من كانون الأول، ستبتلون، لقاءَ ستة عشرة دولاراً تعِساً، باقتناء نوز هاير ريموفر Nose Hair Remover، أو روتاري كليبر Rotary Clipper، وهي آلة ستُسحر الماركيز دو ساد، وتندسُّ (بشكل عام) في الأنف، فتجزُّ، بدورة كهربائية، الشعيرات الداخلية التي لا يمكن جزُّها بمقص الخياطة الذى كان الفقراء قد اعتادوا أن يحاولوا، عبثاً، جزَّ تلك الشعيرات به. ولا أعلم إن كان يوجد تجهيز ضخم يمكن استخدامه لفيلك.

الـ كول سوند Cool Sound ثلاّجة نقّالة للنزهة مع تلفاز مدمج، والـ فيش تاي Fish Tie هي ربطة عنق من البوليستر 100% على شكل سمكة ميرلان، والـ كوان شانجر Coin Changer (موزِّعة نقود صغيرة جداً) تجنّبك تفتيش جيوبك عندما تشتري صحيفتك، والمؤسف أنّها ضخمة كصندوق يحتوي على عظم فخذ القديس آلبان. ولا يُفصِح التاريخ، في حالة طارئة، أين نعثر على القطع النقدية لإملائه.

يقتضي الشاي، إذا ما كانت نبتته طيبة، فقط إناءً لغلي الماء، وملعقة صغيرة، وفي أحسن الأحوال، مصفاةً. الـ تي ماجيك (9$95) Tea Magic آلة بالغة التعقيد، تنجح في تحضير فنجان من الشاي بصعوبة ما عليه تحضير فنجان من القهوة.

أعاني من اضطرابات كبدية، ومن الحامض البَوْليك، والتهاب في

مخاطية الأنف، وهزال، والتهاب في المعدة، وداء الركبة الذي يصيب السيّدات الغسالات، وتنس ـ البو، وداء نقص الفيتامينات، وآلام مفصلية وعضلية، وأورام في الإبهامين، وأعاني من بعض إكزيمات الحسّاسية، وربّما من الجذام حتى.

وحمداً لله، لست مصاباً، فضلاً عن ذلك، بوسواس المرض. والحقيقة هي أنّه عليّ، كل يوم، أن أتذكر بأنّه، في الساعة الفلانية، ينبغي أن أتناول القرص الفلاني من الدواء. لقد قُدمت لي علبٌ فضية للحبوب، ولكنني أنسى أن أملأها، صباحاً، والتنزّه بين مجموع القوارير يؤدي إلى إهدار ثروة، ثمَّ إنّه من المزعجّ التنقّل بينها بمشّايةٍ.

الـ تابليتز كونتينر Tablets Countainer حلّ كلّ هذه المشاكل، فهو، بزحمة لا تفوق زحمة لانسيا تيما Lancia Thema، يرافقك طيلة يومك العسير، ويقدّم لك، بدورة منه، القرص المناسب في التوقيت المناسب.

الأكثر تهذيباً من كلٍّ ما سبق، هو الإلكترونيك بيل بوكس (19$85) Electronic Pill Box، للمرضى الذين لا يعانون أكثر من ثلاثة أمراض في آنٍ واحد، إذ إن للعلبة ثلاث فجيراتٍ، مع حاسب مُلحَق يرسل إشارة، حينما تحين ساعة تناول حبّتك.

وإذا كان في بيتك فئران، فإنّ تراب – إيز Trap- Ease مدهشٌ، إذ تضع في داخله شيئاً من الجبن وتضعه جانباً، ويمكنك، بعدها، الذهاب حتى إلى الأوبرا. حينما تقع الفأرة في الأفخاخ العادية ينطبق عليها الفخّ ويقتلها. أمّا تراب ـ إيز فمصنوع بزاوية منفرجة، فإن وقفت الفأرة في وسط المدخل، بقيت سالمة (على ألاّ تقضم الجبن)، أمّا إذا أكلته، فتُقوم الآلة بدورة بـ 94 درجة، فيسقط ستار حديدي، ولمّا كان الجهاز يُكلف المبلغ الزهيد ثمانية دولارات، وكان شفافاً، يمكنكم،

إن أردتم، الاحتفاظ بالفأرة أثناء الليالي التي يكون فيها التلفاز معطلاً، أو إطلاقها وسط الحقول (خيار بيئي)، أو رميها إلى صندوق القمامة، أو- ومن المقعد القريب - غطس الحيوان مباشرة في قدر من الماء المغلي.

القُفاز ليف سكوبز Leaf Scoops يحوّل يديك إلى أطراف كفيّات القدم المتحدّر، عبر تحوّل إشعاعي النشاط، من عملية تصالب بين إوزٍّ، وزاحف مجنّح، وإحدى ضحايا آليان. وهو يفيد في التقاط الأوراق الذابلة من بستانك البالغة مساحته 80000 أكراً[1]. وبإثني عشر دولاراً وخمسين سنتاً ستوفّرون الجهد على البستاني أو خفير الصيد (الذي ينصح بـه لورد شاتيرلي).

تاي سيفر Tie Saver يرشُّ ربطة عنقك بقليل من مادة زيتية، بحيث يمكنك تناول بيغ ماك big Mac عند مطاعم ماكسيم، ومن ثم توجيه مجلس إدارتك، دون أن تماثل الدكتور برنارد بعد تطعيمه الأخير (15$). ولكونه ناجعاً في إزالة آثار ملمّع الشعر، يمكن للمرء مسح جبينه بربطة العنق خاصّته.

ماذا يحدث عندما تكون حقيبتك مليئة عن آخرها؟ الأبله العادي يشتري حقيبة أخرى، سواء كانت من جلد الأيل، أو الخنزير البري، ولكن ستُشغَل يداه الاثنتان معاً. الحل يأتي مع: الـ بريفكز اكسباندر briefcase expander، وهو نوعٌ من الإكاف يُركّب على حقيبتك الوحيدة، يمكنك أن تدسّ فيه ما تبقّى من أمتعتك، فيبلغ ثِخن الحقيبة والإكاف سويّة مترين، وستعاني، لقاء خمسة وأربعين دولاراً، من شعور السفر مع قسطلٍ تحت ساعدك.

يسمح آنكل فاليت Ankle Vallet (19$95) بإخفاء بطاقات

---

(1) آكر: وحدة قياس مساحة، تساوي 4000 متر مربّع. ـ المترجم ـ

الائتمان في جيب سري مشدودٍ إلى ربلة الساق، الأمر الذي لا غنى عنه لتجّار المخدرات. حالما تأخذ مكانك في الطائرة، ضع درايف أليرت Drive Alert خلف أذنك، فإذا ما دفعتك دوخة ـ أو ضربة على جناح الطائرة، أو ما شابه ذلك ـ إلى أن تطأطئ رأسك أماماً، إلى أبعد ممّا هو مسموح به، فإنّ إنذاراً ينطلق يحذّرك. وإذا ما حكمنا عليه حسب الصورة، فإن الجهاز يحوّل مستخدمه إلى نغل المستر سبوك والأمير تشارلز والرجل الفيل "Elephant Man".

وإذا كنتَ مُسْرَجاً به عندما تُسأل: «هل تتزوجني؟» لا تردّ بـ«نعم» جازمة. ستنتهي مصعوقاً بصوت فوقي.

وسأنهي، بلا ترتيب، بموزِّعٍ آليٍّ للحبوب على الطيور، ومزرقة متميّزة، مزوّدة بجرس دراجة صغير (تستخدمونه للإعلان عن جولة أخرى)، وحمام ساونا للوجه، وموزّع الكوكا كولا على شكل مضخّة بنزين، وعجيبة العجائب، بايسيكل سيت Bicycle Seat، وهو مقعد مزدوج يُستخدم كل طرف من طرفيه لردفٍ من الردفين، وهو مثالي للدرّاجين المصابين في البروستات. يقول الإعلان إنّ لديه "split- end design (no Pun itended)". ترجموا: «يفلق قفاك إلى فلقتين (حاشا أن يكون القول عن خبث)».

يمكننا، أيضاً، أن نكتشف، في الفترة الفاصلة بين طيرانين، أكشاك الصحف، وهي تعلّمنا الشيء الكثير، فقد اكتشفت مؤخراً وجود العديد من المجلات المخصّصة لصائدي الكنوز.

اشتريت «كنوز التاريخ» Trésors de l'Histoire المنشورة في باريس، والتي تنشر مقالات حول المناجم الضخمة المفترضة للمعادن، المنتشرة في فرنسا، وبيانات جغرافية وطبوغرافية دقيقة حول الكنوز التي سبق لها وأن أُخْرِجت من تلك المواقع ذاتها.

يقدم ذلك العدد من المجلة جرداً عن الكنوز التي عُثِر عليها في

قاع نهر السين: كانت عبارة عن نقود قديمة مرمية إلى المياه على مرِّ قرونٍ، وسيوف ومزهريات ومراكب، مروراً بكومة من غنائم أخرى، معرضّة للخطر، من بينها، تحفٌ فنية.

كما أنّه يحصي الكنوز التي دفنتها في بروطانيا (نسبة إلى منطقة في فرنسا) الطائفة الرؤيوية لإيون ايستوال، في القرون الوسطى؛ وكنوز الغابة المسحورة لـ بروسيلياند، التي تعود إلى عصر ميرلان؛ ودراجة غرائيل مع بيانات شديدة التفصيل تسمح لك - إن حالفك الحظ ـ أن تتحقّق من القديس غرائيل نفسه؛ والكنوز التي دفنها الفانديون في زمن الثورة الفرنسية في نورماندي؛ وكنز أوليفيه العفريت، حلاّق لويس الحادي عشر؛ والكنوز التي تذكرها روايات أرسين لوبين، التي تدور ظاهرياً وكأنها مزيّفة، في حين أنّها موجودة في الحقيقة. علاوة على ذلك، تقدّم لك المجلة «دليل فرنسا الزاخرة بالكنوز»، الذي لا يُعطى لكم سوى ملخّص منه، في حين أنّ العمل الكامل المتوفّر عند كل باعة الصحف الطيبين بستة وعشرين فرنكاً، يضم أربعاً وسبعين خريطة، بمقياس 1 إلى 100، يمكن لكل شخص أن يختار خارطة منطقته.

لا بدّ أن القارئ يستفسر عن كيفية التنقيب تحت الأرض، أو تحت الماء. ليست هناك مشكلة. فالمجلة تقدّم مقالات وإعلانات حول العدّة التي لا غنى للباحث الجيد عنها. إذ ثمّة نماذج عديدة لكاشفات الذهب أو المعادن أو المواد النفيسة الأخرى. والبحث في أعماق البحار يستلزم بزّات غطس، وأقنعة ومجاذيف مطاطية للقدمين، مثلما يستلزم أجهزة مزوّدة بمجسّات ترددٍ، تكتشف، حصراً، المجوهرات. البعض من هذه الأجهزة يكلّف آلاف الفرنكات، وتبلغ قيمة بعضها الآخر مليون ستتيماً أو أكثر.

كما تُقدَّم إليك بطاقات ائتمان، يمكنك معها، لقاء كلفة من عشرة آلاف فرنك، الاستمرار في التبضُّع بفضل قسيمة شرائية بألف فرنك (لا

يُفهم سبب هذا التخفيض، نظراً لأن على المشتري في هذه المرحلة أن يمتلك على الأقل خزنة مليئة بالدوبلونات الإسبانية).

وبأربعة آلاف ليرة، يمكنك اقتناء ام – سكان M-scan يتيح لك كشف نقود نحاسية على عمق اثنين وعشرين سنتيمتراً، وعلبة نقود بعمق مترين، وسبيكة معدنية مُثلى تغور تحت قدميك بعمق يقارب الثلاثة أمتار.

وتُوضح طرائق الاستخدام كيفية توجيه شتى نماذج الكاشفات، معلنةً أن الجو الماطر يلائم البحث عن الكتل الضخمة، في حين يلائم الجو الجاف البحث عن الأشياء الصغيرة. ومن المستحسن استخدام الـ بيشكونبر60 (Beachcomber 60) على السواحل، أو في التربة الغنية بالمعادن (تدركون جيداً بأنه إذا كانت قطعة نقدية نحاسية مخفية إلى جانب طبقة من الماس، يمكن للجهاز أن يرتكب هفوات، فلا يقدر القطعة حق قدرها). إضافة إلى ذلك، يوضّح الاعلان أن 90% من الذهب العالمي لا يزال ينتظر الإكتشاف، وأن غولدسبير GoldSpear، وهو جهاز سهل الاستعمال – يُكلف مليون فرنك قديم – معمّم خصيصاً للعروق المعدنية الحاوية على الذهب. وأرخص منه بكثير، إنه الكاشف الجيبي ميتال لوكاتور (Metal Locator) للمدافئ والأثاث المنزلي القديم. وبأقلّ من مائة وخمسين فرنكاً، يتيح مرذاذٌ صغير تنظيف نقودكم التي عثرتم عليها، وإزالة الصدأ عنها.

وإذا ما أردتم الحصول على معلومات أوسع، تُقدَّم إليك مراجع ذات عناوين جذابة: «التاريخ السري للكنوز الفرنسية»، «دليل الكنوز الدفينة»، «دليل الكنوز المفقودة»، «فرنسا أرض الميعاد»، «سراديب فرنسا»، «صيد الكنوز في بلجيكا وسويسرا». ولا أتحدث عن المغامرات العجيبة الأخرى التي حدثت.

يتساءل المرء، لِمَ يُضيِّع مُحرِّرو هذه المجلات، رغم كل هذا

الثراء المتوفر لديهم، أفضل أيامهم في الكتابة، بدلاً من الذهاب إلى غابات بروطانيا. حسناً، إنّ المجلة والكتب والكاشفات والمجاذيف ونازعات الصدأ وكل العدة تُباع من المؤسسة الوحيدة نفسها، التي تمتلك سلسلة مخازن منتشرة في كل مكان تقريباً. لقد حُلَّ اللغز: إنّهم، هم من عثروا على فلزّ المعدن قديماً.

بقي أن نعرف من هم زبائنهم. إنّهم، بلا شكّ، نفس أولئك الذين، في إيطاليا، يحاولون في التلفزيون أن يحزروا «السعر الصحيح»[1]، ويجرون خلف تدليس بائعي مساحيق الغسيل، سوى أنّ الفرنسيين يحظون، على الأقل، بنُزهات صحيّة في الغابات.

(1986)

www.books4all.net منتديات سهول الأزيكية

---

(1) «السعر الصحيح» le juste prix، برنامج مسابقات تلفزيوني شعبي، يتبارى فيه المشتركون على معرفة سعر مادّة معروضة. ـ المترجم ـ

كيفية استبدال رخصة قيادة مسروقة

لدى مروري بأمستردام، في أيار 1981، فقدتُ محفظتي (أو سُرِقت مني في أحد الترامات، ففي هولندا نفسها يُمارس النشل)، وكانت تحتوي على القليل من المال، وبطاقات مختلفة وأوراقي الثبوتية. ولم أكتشف ذلك إلاّ حين هممت بالرحيل وأنا في المطار، عندما تبيّن لي بأنني أفتقد بطاقتي الإئتمانية. وقبل موعد إقلاع طائرتي بنصف ساعة، إندفعت إلى البحث عن مكتب أبلغه هذا الفقدان. بعد خمس دقائق، استقبِلتُ من قبل عريف في شرطة المطارات والذي شرح لي، بإنكليزية طليقة، بأنّ الأمر ليس من صلاحيته لكون المحفظة قد فُقدت في المدينة، ولكنّه وافق، بالمقابل، أن ينسخ بلاغي، وأكّد لي بأنه في الساعة التاسعة صباحاً، عندما تُفتَح المكاتب، سيهاتف بنفسه «الأميريكان إكسبرس»، ويحلّ، في عشر دقائق، الجزءَ الهولندي من مشكلتي. ولدى العودة إلى ميلانو، اتّصلت بالأميريكان إكسبرس، فعُمِّم رقم بطاقتي عبر العالم أجمع، وحصلت في اليوم التالي على بطاقة جديدة. إنّ الحضارة لنعمةٌ، قلت في نفسي.

ثم أحصيت بقية البطاقات، وقدّمت بلاغي إلى مقر الولاية. استغرق الإجراء عشر دقائق. إنّها لنعمةٌ، قلتُ ثانية، في نفسي. بشأن الشرطة، ليس لدينا ما نُحسد من الهولنديين عليه.

ليس الوقت وقت السفر إلى الكساندريا، لاسيما وإنني لا أستطيع أن أذهب إليها إلا بالسيارة.

إذاً سأفعِّل «نفوذي» الثاني: فدعوت أحد زملاء الدراسة، والذي أصبح شخصية رفيعة في مديرية المالية المحلية، وطلبت منه الاتصال بإدارة المرور والمواصلات والتجارة. وقد أخذ على عاتقه الاتصال مباشرة بشخصية رفيعة في إدارة المرور والمواصلات والتجارة، والتي، بدورها، ردّت بأنّه من غير الممكن الوصول إلى معلومة كهذه إلا بواسطة الدرك الإيطالي. أتمنى أن يتأكد القارئ بنفسه، جيداً، من الخطر الذي تتعرض إليه مؤسساتنا، إذا ما أشيع رقم رخصتي للقيادة في أركان المدينة الأربعة. إنّ القذّافي والـ كي جي بي KGB لا ينتظرون سوى ذلك. إذاً، إنّه أمرٌ سريٌّ للغاية.

استعرضت ماضيّ، وعاودت الاتصال مع زميل دراسة، آخر، أصبح شخصية رفيعة في مصلحة عامّة، وفي الحال، أوصيته بألاّ يتوجه إلى الشخصيات الرفيعة في إدارة المرور والمواصلات والتجارة لأن الأمر محفوف بالمخاطر، وقد نواجه تحقيقاً برلمانياً. من الأفضل أن نعثر على شخصية صغيرة، بمستوى حارس ليلي، يتهاون بالرشوة، فيذهب ليلاً ويدسُّ أنفه في الأرشيف. ومن حسن الحظ، فقد عثرت الشخصية الرفيعة في الخدمة العامة على شخصية متوسطة في إدارة المرور والمواصلات والتجارة، لم ترتض بالرشوة، لأنّه، كقارئ مثابر لمجلّة اسبريسو، قرّر، حبّاً للثقافة، أن يسدي هذه الخدمة الخطيرة لمحرّره المفضل (خادمكم). لا أعرف ما قام به ذلك البطل المقدام، المهم أنني حصلت في اليوم التالي على رقم رخصة القيادة خاصّتي، الرقم الذي سيأذن لي القراء أن أتكتم عليه، لكوني مؤتمن على أرواح.

متسلّحاً برقمي (الذي دوّنته في الأثناء في كل مكان، وخبّأته في قاع الأدراج السرّية، تحسّباً لسرقة أو فقدان قادم)، جاوزت من جديد

أرتال الانتظار أمام إدارة المرور والمواصلات والتجارة، ورحتُ ألوّح به تحت الأنظار المرتابة للمأمور، الذي أخبرني، مع ابتسامة لا تنمُّ عن أيّ إنسانية، بأنّه عليّ، أيضاً، أن أُظهر رقم الملف الذي بموجبه أبلغتْ سلطات الكساندريا، في سنوات الخمسينات الغابرة، رقم رخصة القيادة خاصّتي إلى سلطات ميلانو. فعاودت الاتصال بزملاء الدراسة، واستأنفت الشخصية المتوسطة المنكودة الحظ، التي سبق وأن جازفت مجازفة كبيرة، المهمة، مقترفة عشرات الجُنح ومُختلسة معلومة، يبدو أنّها تثير شراهة الدرك الإيطالي. فأوصلتني إلى رقم الملف، رقم أتكتم عليه هو أيضاً، لأنّ للجدران آذاناً، كما هو معلوم.

عُدت إلى إدارة المرور والمواصلات والتجارة، وتخلّصت من ورطة الوقوف لعدة أيام في رتل الانتظار، وحصلت على الموعد، بقطعة سحرية من فئة الخمس عشرة.

كان شهر حزيران قد هلّ حينما حصلتُ، أخيراً، على وثيقة تثبت بأنني تقدمت بطلب رخصة قيادة. طبعاً ليست هناك استمارة خاصّة بالرُّخص الضائعة، وهذه الورقة ليست سوى إجازة قيادة مرفقة، تُعطى قبل الحصول على الرُخصة. أظهرتها لأحد رجال الشرطة، وسألته إن كان هذا يجيز لي القيادة، فأحزنتني عبارة الضابط الهمام : فقد أعلن بأنه لو قبض عليّ وراء المقود بهذه الورقة، لجعلني أندم على كوني قد وُلدتُ.

والحق يقال، بدأت أندم على ذلك. عُدت إلى مديرية رُخص القيادة حيث علمت، بمضي عدة أيام، بأن الورقة التي استلمتها لم تكن سوى إجراء أوّلي، إذ تلزمني الوُريقة الأخرى التي تُصرح، جراء فقدان رخصتي، بأن لي الحق في القيادة، بانتظار أن أستلم رخصة جديدة، بعدما تكون السلطات قد تحقّقت من أنني كنت أمتلك واحدة قديمة.

والحال أن الجميع يعلم ذلك، من الشرطة الهولندية إلى مقرّ الولاية الإيطالية مروراً بدائرة الرخص، التي امتنعت عن إبداء رأيها حول الموضوع قبل أن تمعن التفكير فيه.

سأضيف هنا بأن كل ما يمكن لدائرة الرخص أن ترغب في معرفته يعود، بالضبط، إلى معرفة ما كانت تعرفه سابقاً، وأبداً لن يضيف أكثر الأفكار نضجاً شيئاً آخر على ما تعلمه.

ولكن حسناً فلأصبر. في حزيران، رحت مراراً وتكراراً، أستعلم عن مصير الوثيقة رقم اثنان. كل شيء يحمل على الاعتقاد بأن صنعها عمل جد حساس، إذ إنه طُلبَ مني كدسٌ من الإثباتات والصور: تخيَّلت أن تلك طريقة جواز سفر، مع صفحات مزخرفة وخُدع أخرى على هذه الشاكلة.

بحثت في نهاية حزيران، باذلاً مبالغ فلكية على أجور السيارات، عن وساطة جديدة. وكتبت في الصحف، تبّاً! لعلّ روحاً خيّرةً تهبَّ لنجدتي، فقد كان عليّ أن أسافر لدواعي المصلحة العامة، وهذا عذرٌ جميل. وبتدخلٍ من هيئتَي التحرير الميلانيتين لـ (ريبيبليكا و إسبريسو) نجحتُ في الاتصال مع دائرة صحافة مقرّ الولاية. هناك كانت المعجزة! أعلنت سيدة ظريفة بأنها مستعدة للإهتمام بحالتي، ولم تفكّر حتى بالإمساك بهاتفها: ذهبت، مقدامةً، بنفسها، إلى دائرة الرخص، واندسّت في خبايا الزوايا الخاصة بمنتهكي القوانين، وسط الأكداس المتاهيّة للملفات الراقدة في تلك الأماكن منذ غابر الأزمان. لا أعلم ما فعلته السيدة الظريفة (سمعت صرخات مخنوقة، هي صوت انهيار أوراق قديمة، ورشحت سحابات غبار من تحت الباب). أخيراً، ظهرت مجدّداً، ملوّحة باستمارة صفراء اللون، ذات ورق رقيق جداً، شبيه بذلك الذي يدسّه حرّاس الكراجات تحت ماسحات الزجاج، بقياس 13/19. لم تكن عليها أيّ صورة، وكانت مكتوبةً بالحبر،

ملطّخةً ببقع ريّش الرقيب أول الغاطّة في المحابر البيضاء التي كنا نستخدمها في طفولتنا، والمليئة بالشوائب والألياف التي كانت تشكل خيوطاً على الصفحة النفيذة: قرأت فيها اسمي وكذلك رقم رخصتي الضائعة. وقد فُصِّل، بخطوط طباعية، بأن هذه الوثيقة بديلة للرخصة «الموصوفة آنفاً»، وأنَّ مدّة صلاحيتها تنتهي في التاسع والعشرين من كانون الأول من السنة الجارية (سيكون القارئ قد أدرك بأن التاريخ قد اختير بهدف مباغتة الضحية وهي تسلك منعطفات منطقة ألبية، وربّما في قلب العاصفة، بعيداً عن بيتها، لكي تتمكّن شرطة الطرق من إيقافها وإيذائها).

لقد أصبحتُ مؤهّلاً قانونياً لأقود السيارة في إيطاليا. ومع ذلك، كانت الورقة المذكورة لتُربِك شرطياً نظامياً إن أبرزتها خارج حدودنا. المهمّ أنني أقود السيارة. ولأختصر عليكم، اعلموا بأنه في كانون الأول لن تظلّ لدي رخصة قيادة. وعثرت على قوة تجديد الوثيقة، إذ لجأت مجدّداً إلى دائرة الصحافة في مركز الولاية، واستحصلت على الوريقة نفسها التي خطّتها يدٌ غير ماهرة بما كنت أستطيع تدوينه بنفسي، أي أنّها مدِّدت إلى نهاية شهرُ حزيران (تاريخٌ آخرُ جرى اختياره من أجل الإمساك بي مخالفاً، وهذه المرّة، تائهاً)، وقد أُخبِرتُ، فضلاً عن ذلك، بأنّه إلى هذا التاريخ سيُصار إلى تمديد صلاحية الوثيقة، لأنه بالنسبة إلى الرخصة نفسها، الأمور معرّضة لأن تتأجّل لوقت طويل. وقد أخبرني رفاقي في المصيبة الذين إلتقيتهم صدفة في طوابير الانتظار، بصوت كسيرٍ، بأن لا أحد حصل على الرخصة منذ سنتين أو ثلاث سنوات.

أول أمس، ألصقت على الوثيقة المذكورة سمتي السنوية الخاصة. وقد نصحني القيّم على المكتب بعدم تصديقها، لأنه لو استعدت عَرَضاً رخصتي، سيكون عليّ أن أشتري مجدّداً واحدة منها. ولكني، بعدم

تصديقها، أتخيّل نفسي وقد أصبحت مذنباً بجنحةٍ.

هنا، سأبدي ثلاث ملاحظات. أولاً، حصلت على هذه الوثيقة في شهرين لأنه، وبفضل ذوي الامتيازات الذين أحظى بهم بفضل المرتبة والتعليم، تمكّنتُ من تجنيد سلسلة من الشخصيات الرفيعة لثلاث مدن، وستّ دوائر عامة وخاصة، دون أن أنسى صحيفة يومية ومجلة أسبوعية بطبعة وطنية.

لو أنني كنت بقّالاً أو موظّفاً، لكان عليَّ أن أبتاع الآن دراجة. فللحصول على رخصة قيادة، ينبغي على المرء أن يكون عضواً في المحفل بي2 (P2).

ثانياً، الورقة التي كنت أحفظها بعناية في محفظتي، كانت وثيقة لا قيمة لها البتّة، وكانت قابلة للتزوير تماماً؛ وهكذا فإن بلدنا مليء بسائقي سيارات يسيرون في وضع مماثل صعبٍ. لا شرعيّة الجمهور أو وهم الشرعيّة.

الملاحظة الثالثة تتطلب من القراء جهداً مركّزاً يسمح لهم بإبداء رخصهم الإيطالية للعيان. فالأمر يتعلق بكتيّبات مؤلّفة من صفحتين أو ثلاث صفحات من ورق رديء وصورة، وهي غير منفّذة في فابريانو مثل المجلات الفاخرة لفرانكو ماريا ريتشي، وغير مطبوعة بأيدي الفنانين المهرة، وبإمكانها أن تخرج من أيِّ مطبعة من نخب ثانٍ، ومنذ غوتنبيرغ والحضارة الغربية تجيد إنتاج الآلاف المؤلفة منها خلال بضع ساعات (زد على ذلك أن الصينيين ابتدعوا طرائق سريعة جداً للأحرف المخطوطة يدوياً).

كم من الوقت سيلزم لإصدار الآلاف من هذه الكتيّبات، وإلصاق صورة الضحية عليها وتنظيمها، لِمَ لا، في جهاز آلي؟ ماذا يجري في خفايا دائرة الرخص؟

الألوية الحمراء - وهذا معلوم للجميع- تجيد صنع العشرات من

الرخص المزوّرة في ساعات (ولاحظوا أن تنفيذ رخصة مزوّرة أصعب من تنفيذ واحدة سليمة). بالتالي فإذا ما أُريدَ ألاّ يتردّد المواطن المحروم من الرخصة على البارات السيئة السمعة على أمل أن يلتقي فيها بأحد أعضاء الألوية الحمراء، ليس هناك سوى حلٍّ وحيد: توظيف أعضاء الألوية الحمراء التائبين في إدارة الرخص.

إنّهم «يعرفون الكيفية» Know How، ويتصرّفون بالوقت الفارغ، فندرجهم من جديد في العمل، وبضربة واحدة نخلي عدداً كبيراً من حجيرات سجوننا، ونجعل أناساً، قد تستطيع البطالة القسرية أن تعيد تورطّهم في الهذيانات الخطيرة للجبروت، نافعين اجتماعياً، وكذلك نساعد سائقي السيارات المرهَقين بقدر ما نساعد عاملي محطات البنزين المبرّأين. ولكن ربما يكون ذلك من السذاجةِ المفرطة. أما أنا فأقول ثمّة قدم قوّةٍ أجنبيةٍ وراء حكاية رخصة القيادة هذه.

(1)(1982)

كيفية القيام بجردٍ لموجودات

أعلنت الحكومة بأنّها مستعدة لفعل كل ما من شأنه تأكيد استقلالية جامعاتنا. وكان قد عُمِل بنظام استقلالية الجامعات في القرون الوسطى، وكانت الحال بأفضل ممّا هي عليه الآن. فالجامعات

---

(1) يشرّفني ويسعدني أن أخبِر القراء الفرنسيين بأن حكومة بلدي، بعد نشر هذا النص، عدّلت الإجراءات. فمنذ بضعة سنوات، حينما خفّف عنّي، مرة أخرى، عبء محفظتي، من قبل جماعة ممتازة، غير هولندية، تلقيت رخصتي للقيادة الجديدة حتى قبل أن توقف الشرطة اللصّ الذي سرقني، وتعيد لي رخصتي القديمة. وبالتالي، ومن الآن فصاعداً، أجد نفسي وبحوزتي رخصتَي قيادة (وهو أمر لا قانوني تماماً) ولكنني أعترف بأنني لا أمتلك الشجاعة لأعلن ذلك للسلطات العامّة، خشية أن تحتجز الاثنتان معاً.

الأمريكية، التي ربما يكون قد بولِغ في تقدير حسن سمعتها وكمالها، مستقلة. وهي، في ألمانيا، تابعة للولاية Land، سوى أنّ حكومة محلية تكون أكثر مرونة من إدارة مُمركزة، وبالنسبة للعديد من المسائل- اختيار الأساتذة مثلاً-، تصادق الولاية على قرارات الجامعة. في إيطاليا، إذا ما اكتشف عالمٌ بأن مُصدّر اللّهب[1] غير موجود، فهو يجازف بألاّ يتمكن من إثبات ذلك، إلاّ بالتدليل على بديهيات مصدِّر اللّهب، لأن هذه العبارة إذا وقع ودوِّنت في اللوائح الوزارية، يصبح من غير الممكن تعديلها إلاّ بعد مفاوضات ضارية بين مجموع كفاءات البلد، المجلس الأعلى للجامعات، والوزير شخصياً، والعديد من المنظمات التي لا تحضرني أسماؤها هنا.

فالبحث تقدّم لأن أحداً استشفّ ذات يوم طريقاً مجهولة تفضي إليه، ولأنه، سريعاً جداً، فقد تقرّر أن يُرفع الحذر عن الاعتمادات المطلوبة. ولكن، إذا كان، لنقلِ كرسيٌّ إلى فيبيتينو، لابدّ من أن تبدي روما رأيها فيه، بعد استشارة مقاطعات شيفاسّو[2] وتيرونتولا وأفراغولا ومونت ليبري وديسيمونانو، فمن البديهي أنّ الكرسيَّ سيُنقل عندما يصبح غير مفيد في أيّ شيء. كما أنّ للبحث كبوات بسبب البيروقراطية الكابحة لحلٍّ مشاكل سخيفة.

أنا نفسي مديرٌ لمؤسّسة جامعية، ومنذ بضعة سنوات، تعيّن علينا إجراء جرد دقيق للأموال المنقولة. كان الموظف الوحيد المهيأ للقيام بتلك المهمّة قد أُرهِقَ بالعمل. وكان من الممكن توقيع صكٍّ مع مؤسسة خاصّة، كانت تطلب ثلاثمائة ألف ليرة. وهذا المال، كنّا نملكه، ولكن على اعتمادات مخصّصة للوازم مطلوب جردها، والحالة

---

(1) سائل تخيّله الكيميائيون القدامى لتفسير الاحتراق. ـ المترجم ـ

(2) المقاطعات المعدودة هنا، هي دساكر نائية لا جامعات فيها (N.d.I.T.).

الله، كيف السبيل إلى الإعلان عن قابلية جردٍ جردٍ؟

جمعت لجنة من علماء المنطق الذين اضطروا إلى قطع أعمالهم ثلاثة أيام. وقد وجدوا في المسألة تماثلاً مع مفارقة مجموعة المجموعات الطبيعية. ثمّ قرروا بأن فعل الجرد، لكونه حدثاً، لم يكن شيئاً، وبالتالي لا يمكن له أن يُحصى، لكنه يؤدي إلى تحرير سجلات الجرد التي تعتبر أشياء قابلة للجرد.

طلبت من المؤسسة الخاصّة بألاّ تسعِّر لنا الفعل وإنّما النتيجة التي جَردناها. صحيحٌ أنني صرفتُ إختصاصيين مشاهير عن أبحاثهم الخاصة، ولكنني تجنّبتُ السجن.

قبل شهرين أو ثلاثة، جاء حُجّاب الكلّيات يخبرونني بأنّ ورقَ المراحيض قد نفد. فأجبتهم بأن يشتروا بعضاً منه، فأخبرتني السكرتيرة بأنّه لم يتبقّ إلا الاعتمادات المخصّصة للوازم القابلة للجرد، مضيفة بأن ورق المراحيض كان قابلاً للجرد، ولكنه كان ينزع نحو التبدّل، لأسباب لن أتقصاها هنا، وبأنه، وقد تبدّل ذات مرة، كان يختفي من الجرد. فاستدعيت لجنة من البيولوجيين الذين سألتهم عن كيفية جرد ورق المراحيض المستعمَل. فأجابوني بأن ذلك ممكن ولكنه سيكلف غالياً بالكلفة البشرية.

فجمعت لجنة من القانونيين قدّمت لي الحلَّ. استلمت ورق المراحيض وجردته وخصّصته للمغاسل لأسباب علمية. وعندما كان الورق يختفي، كنتُ أقدم شكوى ضد X بسبب سرقة لوازم تمّ جردها. ولكن للأسف، ثمّة مُشكل: إذ عليّ تجديد شكواي كل يومين.

أبدى عميلٌ سريٌّ تلميحات ثقيلة حول إدارة مؤسّسة، استطاع مجهولون التسلّل إليها بسهولة في استحقاقات دورية. ظُنّ بي، ولكنني لا أُعاقَب، فلن ينالوا مني.

المُزعج في الأمر هو أنني، ولحل هذه المشاكل المضحكة، صرفتُ بحّاثة مشهورين عن أعمالهم النافعة جداً لبلدنا، وبدّدت المال العام في نهاية المطاف على الملاك الوظيفي (مدرس وغير مدرس)، وعلى الاتصالات الهاتفية والطوابع المالية. ولكن أبداً لم يجرّم أحدٌ لتبذيره المال العام طالما أن ذلك يجرى حرفياً تبعاً للقوانين.

(1986)

كيفية اتّباع طريقة استخدام

مَنْ منّا في إيطاليا لم يشكُ من تلك السكريات التي تُستَخدَم في الحانات، والتي ما أن يحاول الزبون استخدامها، حتى يسقط غطاؤها، وكأنه مقصلة تهوي على الملعقة الصغيرة، فتجعلها تتطاير، ناثرة السكّر ذرراً في الهواء؟ ومن لم يقل، في سرّه، إن مخترع هذه الأداة اللعينة يستحق الجحيم؟ وعلى الأرجح أنّه، بدل ذلك، يستمتع بفاكهة ضحيته على شاطئٍ جميلٍ خاصّ. وذات يوم، سيوحي الكاتب الهزلي الأمريكي شيلي بيرمان، إلى أنَّ ذاك الصبي قد يخترع عما قريب سيارة آمنة جداً بأبوابٍ تُفتح إلى الداخل.

ولسنوات خلت، كانت لديّ سيارة ممتازة، بكلّ الأوجه، باستثناء منفضة السائق، الموضوعة إلى اليسار. وتعلمون أنّ السائق يمسك المقودَ باليد اليسرى، بينما يُعمِل اليمنى في مقبض علبة تغيير السرعة، سواها من المقابض، وبالتالي، إذا كان يدخّن، أثناء القيادة – وأعترف بأنّ هذا ديدنٌ سيءٌ للغاية – فإنّه يدخّن باليد اليمنى، وإذا ما دخّن باليد اليسرى، فإنّ نفض الرماد من يسار كتفه الأيسر يتطلب مجموعة من العمليات المعقّدة، منها، إلى جانب سواها، التغافل عن الطريق. وإذا السيارة تسير بسرعة 180 كم/ سا، فإن استخدام المنفضة والشرود

للحظة واحدة، يكلّف إقتراف إثم اللواطة مع شاحنة TIR.

لقد كان أوّل من ابتدع هذه الفكرة الباهرة محترفاً حقيقياً: فقد تسبّب بموت جموع من الناس، ليس بسبب السرطان الناجم عن التدخين، وإنما بالاصطدام مع جسم غريب.

تُعتبَر برمجيات[1] معالجة النص متعتي المفضَّلة. وعندما تشتري واحدة منها، تُعطى لك صندوقة تحتوي الأقراص الصغيرة، وطريقة الاستخدام، وشهادة الاستثمار، بكلفة إجمالية من 4000 إلى 8000 فرنك. ولتعلّم استخدامها، يمكنك اللجوء، إمّا إلى المدرّب الذي ترسله إليك المؤسسة التي ابتعتَ منها الجهاز، أو إلى دليل الاستخدام المرفَق به. والمدرّب هو، إجمالاً، صنيع من اخترع السكرية المذكورة آنفاً، ويستحقّ أن تطلق عليه رصاصة من مسدّس ماغنوم ما أن يضع إحدى قدميه في بيتك. وستُسجَن، بسبب ذلك، عشرين سنة، وربما، بوجود محامٍ كفوء، يُحكم عليك بأقلّ من ذلك، ولكنّك تكون قد كسبت وقتاً.

تبدأ الهموم مذ تبحث في دليل التشغيل، وهذه الملاحظات تخصُّ أيَّ دليل تشغيلٍ لأيِّ طرازٍ لمُنتَجٍ معلوماتي. يأتي دليل تشغيل البرمجيات على شكل علبة مصنوعةٍ من مادة بلاستيكية، بزوايا حادّة، ينبغي حفظها بعيداً عن متناول الأطفال. عندما تستخرج الدليل من العلبة، تجد نفسك حيال موضوعات، تملأُ مئات الصفحات، مشدودة إلى بعضها بمادّة إسمنت صلبةٍ، ما يجعل نقلها من الصالون إلى المكتب متعذّراً، وهي معنْوَنة بطريقة، لا يمكنك معها، أن تتبيّن ما ينبغي أن تقرأه ممّا عليك إهماله.

---

(1) logiciel: البرمجيات، وهي مجموعة البرامج المرنة في الحاسب، ويرادفها في الانكليزية (software). -المترجم-

تقدّم الشركات الأقل سادية، عموماً، اثنين منها، بينما تذهب الأكثر ضلالاً إلى حد تقديم أربعة.

للوهلة الأولى، يكون من المشروع الاعتقاد أن المجلّد الأوّل يشرح الأمور تدريجياً للأغرار، وأن الثاني يُعلّم من هو على شيءٍ من الخبرة، وأنّ الثالث مخصّصٌ للمحترفين.. إلخ. وهذا خطأ! فكل واحد منها يقول أشياء لا يقولها الآخر، والمهارات، التي تفيدك على الفور، موجودة في دليل المهندسين، والمهارات الخاصّة بالمهندسين موجودة في دليل الأغرار. أضف إلى ذلك، وبافتراض أنّك خلال السنوات العشر القادمة، ستغني دليلك، إنّها مصمّمة كمصنّفات فيها ما يقارب ثلاثمائة ورقة منفصلة.

وكلُّ مَنْ قلّب مصنّفاً، يعرف أنّ، إثر بعض المراجعات، إضافة إلى صعوبة تقليب الصفحات، تتحلّل المشدّات، قبل أن يتبعثر المصنّف، ناثراً أوراقه في أنحاء الغرفة. لقد اعتاد البشر، بحثاً عن المعلومات، أن يتصفّحوا أشياءً تسمّى كتباً، مزوّدة، عند الاقتضاء، بصفحات حوافها ملوّنة، أو بحزوز، مثل الفهارس الهاتفية، تتيح العثور، مباشرة، على ما نحتاج إليه.

وكتّاب هذه الكتيّبات، إذ يجهلون كلَّ شيءٍ عن هذه العادة البشرية، يقدّمون موضوعات، لا تتجاوز مدة صلاحيتها ثمانِ ساعات إلا نادراً. ثمّة حلٌّ وحيد معقول للمشكلة، ألا وهو: تقسيم الكُتيّبات، ودراستها لمدة ستة أشهر، بمساعدة عالم في الآثار المصرية، وتلخصيها في أربع بطاقات (تكفي وتزيد)، ثمَّ رميها إلى السلّة.

(1985)[1]

---

(1) هكذا كان الوضع في عام 1985، ومنذ ذلك الوقت، قلّص منتجو البرمجيات، الكتيبات إلى كراسة صغيرة من حوالي خمسين صفحة لا تفسّر أيّ شيء، لا =

كيفية قول الحقيقة، ولا شيء سوى الحقيقة

إبّان الحملات الانتخابية، يكثر الكذب والرياء. هناك من يكذب في سبيل تكوين فكرة وتبسيطها، أو لتسريع التقدّم، وهناك من يكذب عن اقتناع (وهذه الحالة هي الأكثر مأساوية، لأن الكاذب لا يكذب في الواقع، وانّما يقول ما هو خاطئ لافتقاره للمعلومة)، وثمّة من يكذب لنزعة شريرة تعتوره. حسنٌ، هذه هي الحال، تقريباً، في كل مكان، إنّها الحياة. انتهى الموضوع، نقطة على السطر.

مع هذا، ألا يحصل، أحياناً، أن يتملّككم حنين من سيقول الحقيقة، كلّ الحقيقة، ولا شيء سوى الحقيقة؟

لحسن الحظ، هناك فئتان من الجرّاحين العقلانيين، الذين سيستجيبون لهذه الرغبة الدفينة في الشفافية والصراحة، ويبرهنون لنا بأنّه بوسع المرء أن يتبع الإرشاد الإنجيلي «ليكن كلامكم نعم، نعم، أو لا، لا وكل ما يزيد عن ذلك فمن الشيطان».

الفئة الأولى، هم أولئك الذين كتبوا ما نسمّيه، في إيطاليا «الكذّابات الصغيرات»، والمقصود بها، وبسخرية دلالية، إرشادات الاستخدام (التي سنرى كم هي صادقة) المرفقة بكل عبوة صيدلانية. أمّا الثانية، فهم مسؤولو «المساعد في الكتابة» في البرمجيات.

وقد تعلّم كتّاب الإرشادات الكاذبة، منذ نعومة أظفارهم، بأنّه، عندما ينبغي قول شيء، يجب قول كل ما يعرفه المرء، ولا شيء سوى ما يعرفه، دون زيادة أو نقصان، لذا، غالباً ما نقرأ في باب «مضادات الاستطباب»: «التحسّس لأحد مكوّنات المنتج». بعبارات أخرى، إذا

= شك أنّ مردّ ذلك إلى أنّ أحداً لا يشتري علب الحاسبة، فقد وضِعَت، بشكل مباشر، على الحاسب من قبل البائع. ومن حينها، تُقدَّم كل التعليمات من قبل «المساعد في الكتابة»، الذي، بعد أحد عشر عاماً، خصّصت له النصّ التالي.

ما أخذت هذا العلاج، وبعد أن تنهار، في الحال، على الأرض، ويعلو شفتيك لعاب أخضر اللون، وتُصاب بالتهاب دماغي، فهذا يعني أنّه عليك أن توقف استطبابك به.

ولكن، أحياناً، يكون التكتُّم مصدر الكذب، مثلما يثابر الكاتب على أن يقول لك كلّ شيء، دون أن يخفي عنك شيئاً: «أثبتت الدراسات الإحصائية بأنه يمكن أن يسبِّب المُستحضر، عند بعض الأشخاص، الأعراض التالية: جفاف البلعوم، صداع، غثيان، دوخة، اعتلال مفصلي، إسهال، التهاب الملتحمة، طفح جلدي، التهاب القولون التشنجي، مغص كلوي، مرض آلزهَيمر، الحمى الصفراء، التهاب الصفاق الواخز، العِيّ، السادّ، القوباء الزناري، العدُّ الشيخوخي، طمث أسبوعي عند الذكور، تناذر كراوس – إلدرمان، الزوغما، هيستيرون– بروتيرون.»

لنعد الآن، إلى كُتّاب «المساعد في الكتابة». فحينما تكون لديك مشكلة مع حاسبك، خاصّة إذا كنت حديث العهد به، أو كنت تجرّب برمجيات جديدة؛ تدرك، بفطنتك، أنه سوف لن يكون بوسعك اللجوء إلى دليل العمل، المقدّم من قبل ناشر المنتَج، لأنه ليس لديك عبدٌ نوبي، ينقله إلى طاولة عملك، وحتى إذا كان على مكتبك، سوف لن تفهم لماذا توجد الصفحة A115 قسراً بعد الصفحة W18. وبالنسبة إلى المواجيز التي تباع بثمن مرتفع من قبل الناشرين المستقلين، فإما انّها مصمّمة للحمقى، وتأخذ عشر صفحات لتشرح لك بأنه إذا ما ضغطت على زر التشغيل "Marche" فإنّ شاشتك ستُمْلأ بصورٍ ملوّنة جميلة، الأمر الذي كان قلمك ذو الريشة القديم يعجز عن القيام به. وإمّا أنّها مؤلّفة من ثمانمائة صفحة، ويذكر ملحقها كلَّ شيءٍ، وأيّ شيءٍ، باستثناء المدخل الذي تبحث عنه.

إذاً، لم يتبق لك سوى «المساعد في الكتابة»، أي شاشة تُفتَح مذ

تنقر على رمزٍ، غالباً ما يكون إشارة الإستفهام. لنفترض أن برمجياتك قدّمت لك فرصة «إدراج موضوع»، المشارة إليها بواسطة القائمة المعروضة الملائمة، فستتساءَل ما هو «موضوع» وما العمل لإدراجه (وخاصة حين يبدو من الطبيعي إدراجه). لا داعي للهلع، ستفعِّل «المساعد في الكتابة» والذي سيعطيك الجواب التالي: «هذا الأمر يُدرج موضوعاً في مستنداتك»، وفي حال ما ساورك الشكُّ بأنَّ كاتب «المساعد» لم يقُل لك الحقيقة الكاملة، سأهبُّ لنجدته الأخلاقية قائلاً: لقد قالها كاملةً، فهذا الأمر حقاً ينجز ما كان قد أُعلِنَ. ببساطة، ليس هذا هو الجواب على سؤالك الذي تلقّيته، سوى أنّه، إجمالاً، هو الجواب على سؤالك الذي رُفِع منه إشارة الاستفهام.

ثمّة أمثلة مثالية أخرى، عن «المساعد في الكتابة»، ماذا يعني «خلق رابط؟» الجواب: «الأمر يسمح بخلق رابط» (راجع كذلك «مدخل»)، ستبحث عن «وصول»، وستجد: «يسمح بالوصول إلى ملف ارتباط» (راجع «خلق رابط»)، كما أنّ الرسائل العاجلة، من نمط «الخطأ 125» مفيدة جدّاً، إذ يُعْلِمك المساعد في الكتابة، بأنّك إرتكبت الخطأ 125، وبأنّه يتعيّن عليك تلافيه قبل المتابعة والاستمرار.

وتدريب كاتب «المساعد في الكتابة»، يقتضي إعداداً مبكراً منذ الصِّغَر، في المدارس المتخصِّصة.

فالأطفال مدرّبون على صياغة أقوال مثل «كلُّ عازبٍ عازب» (وكمكافأة، نربح ملبّسة)، أو أيضاً: إمّا أن يجري إيباميمينيد، وإمّا أن لا يجري إيباميمينيد؛ كلُّ الحيوانات حيوانات؛ إمّا أن تمطر، وإمّا أن لا تمطر؛ فإذا أعلن كوربوليد مبدأ الثالث المرفوع، إذاً فكوربوليد أعلن مبدأ الثالث المرفوع؛ إذا كان كلُّ البشر فانين ـ وكلُّ البشر فانين– فمن المنطقي أنّ كلَّ البشر فانون.

(1996)

كيفية اختيار مهنة مُربحة

إنّها مهنٌ مرغوبة جداً، ومربحة جداً، ولا بدّ من معرفة الاستعداد لها.

لنأخذ مُركِّب اللوحات المرورية المرشدة للطرق السيّارة، في المدن. هذه اللوحات، التي لها وظيفة إنهاء الزحام في مركز المدينة، وكذلك في الطرق السيارة. وستعرف ذلك ما أن تكون قد اتّبعتها، ذات مرة، ووجدت نفسك، وقد أضناك التعب، على أكثر الطرق خطراً، والتي لا مخرج منها، في منطقة صناعية. والحال أنّه ليس هناك ما هو أصعب من تنصيب هذه اللوحات في المكان السليم. فقد يستطيع أحمق يُرثى له أن يعطي أمراً بإقامتها في ملتقى طُرق فائق التعقيد، تلتقي فيه عشر طرقٍ، بحيث سيتوه، بالتأكيد، أيُّ سائق، من دون مساعدة من أحد. إذاً كلاّ! ستُنصب اللوحة على مسافة واضحة، حيث ستأخذ، تلقائياً، الاتجاه السليم، لإرسالك في الإتجاه المعاكس. ولإنجاز هذا العمل ينبغي للمرء أن يكون مُلمّاً بتنظيم المدن وبعلم النفس وبنظرية لوحة الإضاءة.

مهنة أخرى مقدّرة جداً، محرّر تعليمات الاستخدام، المرفقة بالأجهزة الكهربائية المنزلية والإلكترونية، وتهدف هذه الشروحات إلى جعل تركيب الجهاز مستحيلاً، وهي لا تقتدي بالشروحات الضخمة المرفقة بالحواسيب، لأن تلك، مع أنّها مكلفة بالنسبة إلى المصنِّع، تمتلئ بها، قليلاً أو كثيراً، المكاتب.

كلاّ، إن مثالها الحقيقي هو إرشادات المستحضرات الصيدلية، التي تمتاز بحمل أسماء علمية ظاهرياً، تفيد، وفي الواقع في الإشارة إلى طبيعة الأدوية، إن حدث وضايق شراؤها المشتري (بروستاتان، مينوبوزين، أولترالاكس). أمّا الإرشادات، فلديها خبرة جعل محاذير

الاستخدام المتعلّقة بحياتنا، عويصة على فهمنا: «ليس هناك أيّ موانع أو محاذير استعمال، سوى تفاعل بعض المكوّنات المفاجئ والمميت».

بالنسبة للأدوات الكهربائية المنزلية، طرائق الاستخدام مهووسة بالتركيز على شرح الأشياء الواضحة لدرجة أنك تتجاوز المقطع وتفوّت، بذلك، على نفسك المعلومة الوحيدة التي تهمّك:

لتركيب P240، من الضروري إخراجه من العلبة الكرتونية، ولا يمكن إخراج P240 من العلبة، إلاّ بعد فتح هذه العلبة. تُفْتَح العلبة برفع الطيّتين العلويتين، في اتجاهين متعاكسين (انظر إلى الصورة في الداخل)، يُنصح، طيلة عملية الفتح، بأخذ العلبة بشكل متعامد مع الوجه العلوي، لأنه، بخلاف ذلك، قد ينزلق الـ P240 إلى الأرض.

والجزء العلوي هو ذلك المشَار إليه، كتابة، بكلمة: أعلى. وفي حال لم تنفتح الطيّتين بالمحاولة الأولى، يُنْصح بالمحاولة، ثانيةً. وما أن تُفتَح العلبة، وقبل رفع الغطاء، يُنصح بنزع اللُسَيْن الأحمر، وإلاّ انفجرت.

انتباه: بعد إخراج P240، يمكنكم رمي العلبة.

ثمّة مهنة آخرى، لا يمكن إهمالها: معدّ الاستبيانات التي تُنشر، صيفاً، في الإسبوعيات السياسية والثقافية، من قبيل: «بين قنينة من سِلِس الانكليزي، ودورق من أرمانياك المعتّق، أيهما ستختار؟»

هل تريد أن تنام مع إمرأة ثمانينية سقيمة، أم مع إيزابيل ادجاني؟

هل تفضِّل أن يغزوك النمل الأحمر المتوحّش، أم أن تقضي ليلة مع أورنيلا موتي؟ إذا نِمتَ، كلّ مرّة، مع الأولى، فهذا يعني أنّك على مزاجٍ نَزَويٍّ خلاّقٍ وأصيل، ولكنّك على شيءٍ من الضعف الجنسي. وإذا نِمتَ، كلّ مرة، مع الثانية، فأنتٌ نذلٌ تافه.

عثرت في الملحق الطبي، لإحدى الصحف، على استفتاء حول الإسمِرار، كان يضع، لجميع الأسئلة، ثلاثة أجوبة A, B, C.

الأجوبة A كانت مثالية: «إنْ تعرضّت للشمس، كيف يكون إحمرار جلدك؟ A: يكون شديداً. كم مرّة أُصِبْتَ بضربة شمس؟ A: كلُّ مرة عرّضت، فيها نفسي للشمس. بعد ثمانية وأربعين ساعة من الطفح الوردي، كيف يكون لون جلدك؟ A: شديد الإحمرار. الحلّ: إذا كنت قد أجبْت، تكراراً، بـ A، فهذا يعني أنّ جلدك فائق الحساسية، ومعرّض للطفح الوردي الشمسي».

يراود ذهني استبيانٌ، سأسأل فيه: «هل سقطت، مراراً، من النافذة؟ إذا كان نعم، هل أُصِبْتَ بكسور عديدة؟ هل نجم عن ذلك عجزٌ دائم؟ إن أجبت، مراراً، بنعم، فإمّا لأنّك أحمق أو لعلّةٍ في أذنيك الداخليتين. تجنب الانحناء من النافذة، عندما يناديك مهرج الطابق الأرضي لتنزل إليه».

(1991)

كيفية تكذيب بلاغ يُكذِّب(*)

رسالة تفنيد. السيد المدير، إشارة إلى المقالة (Aux Ides rien ne vis)[1] (في أيام العيْدس لا شيء «تعيش»)، الموقّع باسم ديك لا فيريتيه، والمنشورة في العدد الأخير من صحيفتكم، أسمح لنفسي بأن أوضح ما يلي: ليس صحيحاً أنني كنت حاضراً في عملية اغتيال يوليوس قيصر، ومثلما ستستنتجون ذلك، لطفاً، من بطاقة الحالة

(*) (Comment demetir un démenti) وحسب اللغة الصحفية تكذيب أو ردّ.

(1) عيدس: اليوم الخامس عشر من آذار أونوّار أوتموز أوتشرين الأوّل واليوم الثالث عشر من أيّ شهر آخر في التقويم الروماني القديم. ـ المترجم ـ

المدنية المرفقة طيّه، فقد وُلدتُ في بارما في الخامس عشر من آذار 1944، أي بعد قرون من ذلك الحادث المؤسف الذي، فضلاً عن ذلك، طالما شجبته. لا شكّ أن الأمر قد التَبَس على السيد لافيرتيه عندما قلت له بأنني أحتفل سنوياً، محاطاً بأصدقائي، بالخامس عشر من آذار 44. كما أنّه من غير الصحيح بتاتاً بأنني قد قلت لـ بروتوس «سنلتقي في فيليب»[1]، وأوضّح بأنّه لم يحصل، قط، أن أجريت أيّ اتصال مع السيد بروتوس هذا، الذي، حتى أمس، كنت أجهل حتى اسمه. في الواقع، خلال حديثنا الهاتفي القصير، قلت للسيد لافيريتيه بأنّه كان علي أن ألتقي بفيليب، مسؤول المواصلات، لكنّ الجملة نُطِقَت في سياق حديث حول حركة مرور السيارات، وفي ذلك السياق، لم أقُل قط: «إني أشرع في تجنيد قَتَلة لإقصاء هذا الخائن، يوليوس قيصر المصيبة هذا»، وإنّما قلت: «إني أشرع في تشجيع المساعِد على إلغاء السير في ساحة يوليوس قيصر»[2].

أشكركم راجياً قبول تحياتي المتميزة متمنياً لكم النجاح.

بارفيه ديمنتيري Parfait Démenterie

ردّ ديك لافيريتيه Dick Lavérité. لقد علِمتُ بأنّ السيد ديمنتيري لم ينف، تماماً، حقيقة أن يوليوس قيصر كان قد اغتيل في عيدس آذار 44. وعلمت، أيضاً، بحقيقة أنّ السيد ديمنتيري يحتفل، سنوياً، بالخامس عشر من آذار 44 محاطاً بأصدقائه.

وذلك الدأب العجيب هو ما كنت أريد الحديث عنه في مقالتي.

---

(1) فيليب: مدينة مقدونية على تخوم تراس، انتصر فيها أنطوان وأوكتاف على بروتوس وكاسيوس، عام 42 ق.م. ـ المترجم ـ

(2) لإزالة الالتباس، لابدّ من أن نورد الكلمات باللغة الفرنسية ومعانيها العربية، ونجري مقارنة بينها: جنّد: engager وشجّع: encourager، قَتَلة: assassins ومساعِد: assesseur، مصدر الألم: plaie وساحة: place. ـ المترجم ـ

ربّما تكون للسيد ديمنتيري أسباب شخصية للاحتفال بهذا التاريخ، مع الإفراط في معاقرة الخمر. ولكنّه، سيوافقني الرأي بأن هذا التزامن هو، على الأقل، مثار الفضول والدهشة. كما أنّه، إضافة إلى ذلك، سيتذكر بأنه، أثناء المكالمة الهاتفية الجارية التي منحني إياها، قد نطق الجملة «أنا مع الرأي القائل: دائماً اعط لقيصر ما لقيصر» والحال أن مصدراً مقرباً جداً من السيد ديمنتيري ـ والذي ليس لدي أي سبب للتشكيك فيه ـ قد أكّد لي بأنّ ما كان للقيصر هو ثلاث وعشرين طعنة خنجر.

وأشير هنا إلى أنّ السيد ديمنتيري يتجنّب، طيلة رسالته، إخبارنا عمّن كال للقيصر، في المحصلة، طعنات الخنجر تلك. أمّا بالنسبة إلى التصويب العسير حول فيليب، فها هي مفكّرتي تحت أنظاري، وقد كُتب فيها، دون أدنى شكٍّ، بأن السيد ديمنتيري لم يقلْ: «سنلتقي مع فيليب» وإنما قال: «سنلتقي في فيليب».

كما أنني على يقين، بخصوص الجملة المهدّدة ليوليوس قيصر، والملاحظات المدوّنة في مفكرتي التي هي، إلى هذه اللحظة، تحت أنظاري، تحمل بوضوح: «انني أشرع في تـ. . . يد (يع) قَتَـ (مُسا) اقصاء خا (سيـ) مصيـ (سا) يوليوس قيصر»[1] فليس بالدفاع عمّا لا يمكن الدفاع عنه، ولا بالتلاعب بالألفاظ، يمكن للمرء التهرّب من مسؤولياته الجسيمة، وكذلك، وبدرجة أقل، خنق حرية الصحافة.

(1988)

---

(1) أجزاء الكلمات الموضوعة بين الأقواس، وضعناها لتقابل مع الأجزاء الواردة في النص، وهي، في اللغة الفرنسية، مشتركة، مثال: engager تعني تجنيد، في حين تعني encourager تشجيع، وبذلك نلاحظ البداية والنهاية المشتركتين للكلمتين الفرنسيتين، في حين أنّ لهما معنيين مختلفين، والأمر هكذا مع بقية الكلمات التي تشترك في أجزاءٍ منها، ولها معان مختلفة. ـ المترجم ـ

كيفية عدم الرد بـ (بالتاكيد)

لقد جاشت المعركة ضد العبارات المنمّطة التي تغزو اللغة المحكية. ولاريب في أنكم تعرفون جيّداً واحدة منها، إنّها «بالتأكيد». فاليوم، يردّد الناس، بأسْرهم، بـ«بالتأكيد» للتعبير عن موافقتهم، وهو استخدام جرى تشجيعه من قبل أولى التمثيليات التلفزيونية، حيث، وللتدليل على الجواب السليم، تُرجم من العبارة الأمريكية "That's absolutely right' أو That's absolutely correct. إذاً ليس من الخطأ المطلق الرد بـ«بالتأكيد» سوى أنّ مَنْ يستخدمها، يظهر أنّه لا يتقن الكلام إلا بلغة التلفاز.

إن القول «بالتأكيد»، هو كمن يعرض على رفوف صالونه موسوعة من المعروف أنّها، حصراً، هديّة مرفقة بأحد مساحيق الغسيل. ولإغاثة أولئك الذين يتمنّون التحرر من هذا الظَرْف النحوي، أقدّم هنا لائحة بأسئلة، أو تأكيدات، يُجاب عليها، بشكل عام، بـ«بالتأكيد»، متبوعة، بين القوسين، بعبارة القبول التي أقترحها بديلةً عن «بالتأكيد».

توفي نابليون في 5 أيار 1921 (أحسنت!) عفواً، هل هذه هي ساحة كونكورد؟ (نعم.) ألو، السيد جان دُيبون؟ (من يطلبه؟) ألْو، هنا السيد جان مارتان، أيمكنني التحدّث إلى جان ديبون؟ (إنّه هو بذاته). إن لم أكن مخطئاً، فلا زلت أدين لك بـ 10 آلاف فرنك؟ (عشرة آلاف، نعم.) ماذا قلت يا دكتور، السيدا؟ واحَسْرتاه نعم، أنا متأسّف.) هل هاتفتَ بيردي دو فو (اختفى عن الأنظار) لتبلغهم بأنك قد لقيتَ الشخص المختفي؟ (ماذا فعلت لتحزر؟) شُرْطة! هل حقاً أنت السيد مارتن؟ (ليليان، حقيبتي!) ولكنّك لا تلبس سروالاً! (أخيراً تبيّنت ذلك!) هل تطالب بمليار كفدية؟ (وإلاّ ما الذي سأفعله لأنتقم من هاتفٍ في سيارة رديئة؟) إذا ما أحسنت الفهم، فقد وقّعت على شيك مزوّر بمليار، وأعطيت اسمي ككفيلٍ؟ (لعجبني حدة ذهنك.) هل

أقلعت الطائرة؟! (هل ترى تلك النقطة الصغيرة، هناك عالياً في السماء؟) ماذا؟ أتصفني بالأبله؟ (أنت قلت ذلك، أيها المتنافِخ!)

الخلاصة، ستقولون لي، هل تنصحنا بعدم الإجابة قط بـ بالتأكيد؟ بالتأكيد.

(1990)

كيفية وضع نُقط وقوف

ثمّة معيارٌ علمي ناجع يسمح بتمييز الكاتب المحتَرف من الكاتب المبتدئِ (الذي يجازف، أحياناً، بالسعي إلى الشهرة) ألا وهو: استخدام نقط وقوف في وسط الجملة.

يستخدم الكتّاب نقط وقوف في نهاية الجملة، ليبيّنوا بأنه يمكن للحديث أن يستمر («وبهذا الشأن لا يزال هناك الكثير ليُقال، ولكن. . . .») وفي وسط، أو بين العديد من الجمل، للإشارة إلى أن النص قد اقتُضِبَ («غالباً ما أحلم هذا الحلم الغريب والثاقب بإمرأة مجهولة [. . .] لا هي ذاتها تماماً، ولا هي واحدة أخرى تماماً [. . . .]»). يستعمل اللا كُتّاب نقط وقوف استسماحاً عن تعبير بياني يتصوّرونه جسوراً: «كان هائجاً. . . مثل ثور».

الكاتب، هو ذلك الذي قرّر أن يوصل اللغة إلى ما وراء حدودها، ولذا فهو يتحمل مسؤولية استعارة جريئة: «لم تتأمّل الطبيعة قط في أعجوبة كهذه: التبلّل بالشمس، والتجفّف بالأنهار.» وجميعنا متفقون على أنّ آرتال، كشاعر باروكي رفيع، قد بالغ في هذين البيتين السرياليين، ولكنّه لم يسع إلى تلطيف كلامه. في المقابل، بالطبع كان من الممكن أن يكتب اللاكاتب: «التبلّل. . . بالشمس، والتجفّف. . . بالأنهار» كما ليقول «ببساطة، أتفكّه».

يكتب الكاتب لنظرائه، بينما اللاّ كاتب يكتب لخادمته، أو لرئيس دائرته، وهو يخشى (غالباً خطأ) ألاّ يتفهّم هؤلاء جسارته أو ألاّ يغفروها له، فيستخدم نقط الوقوف كإجازة مرور: إنّه يريد القيام بالثورة، ولكن بإذنٍ من المارشالية.

تروي القائمة المتواضعة التالية للمنوّعات، ما كان قد حصل للأدب، لو أنّ الكتاب كانوا خجولين، مظْهِرةً لنا كم هي مشؤومة نقط الوقوف.

«و... وردةٌ، لقد عاشت ما عاشته الورود، فسحةُ... صباحٍ.»

«ما الإنسان إلاّ... القصبة، الأكثر ضعفاً في الطبيعة، ولكنّه قصبةٌ... عاقلة.»

«رودريغ، أَ لديك... قلبٌ؟»

«وهذه.. فينوس ،بكل طاقتها، بفريستها... متمسّكة.»

«في العجلة الندامة... وفي التأنّي السلامة، ودون أن تخونكم الشجاعة، عشرون مرّة، على الصنعة... ألقوا صنيعَكم.»

«ذكراك، فيَّ، تضيءُ... مثل معرضٍ للقربان المقدّس.»

«هذا السقف الوديع... حيث تمشي... حمائمٌ.»

وهكذا، حتى «لزمنٍ طويلٍ، نمْتُ... باكراً.» و«تحطّمت كأسي مثل قهقهة... الضحكِ.»

هذا يعني أنّه يمكن لتدوين نقط الوقوف، تعبيراً عن الخوف من وقاحة الأسلوب المجازي، أن يستخدم،أيضاً، للتخمين بأنّ تعبيراً أدبياً في ظاهره، هو تعبير بياني.

لنأخذ مثالاً. يبدأ البيان الشيوعي عام 1948، كما نعلم، بـ«شبحٌ يلاحق أوروبا» وذلك، ولا ريب في أنّكم ستوافقون عليه، استهلالٌ جميلٌ وعظيم. أحسبُ أيضاً لو أنّ ماركس وأنجلز كانا قد كتبا

«شبحٌ. . . ما يلاحق أوروبا» لكانوا، ببساطة، قد شكّكوا في حقيقة أن الشيوعية كانت شيئاً مرعباً جداً، ومجهول الهوية، ولربّما كانت الثورة الروسية قد سبقت بخمسين عاماً، ولِمَ ليس برضى القيصر؟، ولربّما كان قد اشترك فيها أوزانام نفسه. ولكن ماذا لو أنهم كتبوا «شبحٌ ما. . . يلاحق أوربا»؟ إذاً، هل هو يلاحق أم لا يلاحق؟ هل بقي مزروعاً هناك؟ أو هل الأشباح، بأمرٍ من طبيعتهم ذاتها، كانوا يظهرون ويختفون لوهلةٍ، في وميضٍ، دون إضاعة وقتهم في الملاحقة؟ والأمر لم ينتهِ هنا، فماذا لو كانوا قد كتبوا «شبحٌ يلاحق. . . أوروبا»؟ أكانوا قد أرادوا القول بأنّهم كانوا يبالغون، وبأن الشبح كان يلاحق، بالضبط، مدينة تريفيس، وبأنّه كان بوسع الآخرين أن يناموا قريري العين؟ أو كانوا قد ألمحوا إلى حقيقة أن شبح الشيوعية كان قد سبق ولازَم الأمريكتين ولِمَ ليس، أستراليا؟

«نكون أو . . . لا نكون، تلك هي المسألة» و«نكون أو لا نكون، تلك هي. . . المسألة»

«نكون أو لا. . . نكون، تلك هي المسألة». ولكم أنْ تتخيّلوا كم كان على النقد الشكسبيري أن يقدح زناد المخّ حول النوايا الدفينة لـ بارد Barde.

«إيطاليا هي. . . جمهورية مؤسَّسة. . . على العمل (وبَعد!).»

«إيطاليا هي. . . . – لنقل – جمهورية مؤسّسة على العمل.»

«إيطاليا هي جمهورية . . . مؤسسة (؟؟؟) على العمل.»

«إيطاليا. . . هي (إن كانت موجودة) ستكون جمهورية مؤسّسة على العمل.»

إيطاليا جمهورية مؤسّسة على نقط الوقوف.

(1991)

كيفية كتابة مقدّمة

تهدف هذه «البوستينا» إلى إعداد مقدّمة لبحث، أو لدراسة فلسفية، أو لمجموعة علمية منشورة، إذا أمكن ذلك، من قبل دار نشر، أو مجموعة ذات نفوذ جامعي، وحسب قواعد العرف الجامعي، التي لا يمكن تفاديها بعد الآن.

في المقاطع التالية، سأقول - بطريقة مختَلَقة - لماذا نُلزِم أنفسنا بكتابة مقدِّمة، وما ينبغي أن تتضمّنه، وكيف ينبغي انتظام عبارات الشكر. إن المهارة في صياغة عبارات الشكر تميِّز الاختصاصي من الطراز الرفيع، ويمكن أن يتراءى لهذا الأخير، في ختام أعماله، بأنّه ليس مديناً لأحد.

ليس مهماً. سيكون عليه أن يخترع من يدين لهم، فكلُّ بحثٍ بدون من يدين لهم هو بحثٌ مشبوه، ودائماً نجد من نشكره بطريقة أو بأخرى.

تَدين كتابة هذه الـ«بوستينا»، بالكثير، لسنواتي الطويلة والأثيرة ي النشر العلمي الذي تعوّدتُ عليه بفضل وزارة التربية في الجمهورية لإيطالية، وبفضل جامعات تورن وفلورنسا، ومدرسة البوليتيكنيك في يلانو، وجامعة بولونيا، دون أن أنسَ جامعات نيويورك، ويال، كولومبيا.

ما كنتُ لأنجح في هذه البوستينا بدون المساعدة النفيسة من لآنسة سابين التي أدين لها برؤية مكتبي، الذي يترنّح، في الساعة لثانية صباحاً، تحت جبال من أعقاب السجائر، والأوراق الممزّقة، قد استعاد، في الساعة الثامنة، مظهره اللائق. مع شكر خاص لـ باربارا وسيمونا وغابرييلا، اللواتي عملْنَ باستمرار، لكي لا يُنغّص قت تفكيري بالدعوات العابرة للمحيطات التي تدعوني إلى مؤتمرات

حول مواضيع هي الأكثر تبايناً عن اهتماماتي، والأكثر ابتعاداً عنها.

وما كانت هذه الـ بوستينا ممكنة، لولا الحضور الدائم لزوجتي التي عرفت ولا زالت كيف تتحمّل أمزجة، وثرثرات باحثٍ، تحاصره، على الدوام، القضايا الكبرى للوجود، بفضل نصائحها المهدِّئة حول الغرورالمطلق. وقد ساهمت المثابرة، التي بها، قدّمت لي عصير التفاح على أنّه مَلتٌ اسكتلندي الأكثر نقاءً، في حقيقة أن هذه الصفحات قد حافظت على الحد الأدنى من الوضوح. وقد تلقيت تشجيعاً كبيراً من أطفالي الذين أمدّوني بالمحبة والطاقة والثقة الضرورية لأنهي مهمتي بنجاح. وأدين للامبالاتهم الكلية والأولمبية حيال عملي بالقوة التي أتاحت لي إنهاء هذه الـ بوستينا، بمواجهة يومية، حتى مع تعريف دور رجل الثقافة في مجتمع ما بعد حداثي.

أدين لهم بالإرادة الصلبة التي طالما ساندتني بإنعزالي لكتابة هذه الزاوية، بدلاً من أن ألاقي، في رواق البيت، أفضلَ أصدقائهم، الذين تستجيب تسريحتهم للمعايير الجمالية التي تخدش حساسيتي.

وقد أصبح نشر هذا النص ممكناً بفضل الدعم الاقتصادي وسخاء كارلو كاراجيلو وليو روبيني واوجينيو سكالفاري وليفيو زانيتي وماركو بينيديتو، وغيرهم من أعضاء مجلس إدارة الشركة الناشرة

الاسبريسو سبا. وشكرٌ خاصّ للمدير الإداري ميليفا فيوراني الذي، بحضوره المستمر والشهري، حافظ على استمرار بحثي.

وإذا ما أثّرت هذه المساهمة المتواضعة، التي هي مساهمتي، في هذا العدد الكبير من القراء، فإنني مدين بذلك لمدير دائرة النشر غويدو فيرانتيللي، وكانت كتابة مساهمتي قد فُضّلت من قبل شركة كاميلو أوليفيتي و C.S.P.A، التي زوّدتني بحاسب M21. وامتنان خاص لـ ميكرو برو وبرنامجه وردستار 2000، وقد طُبع النص على أوكيداتا ميكرولين 182.

وما كان بمقدوري كتابة هذه السطور، التالية والسابقة، دون الإصرار الودود، والتشجيع من جيوفاني فالانتيني وانزو غولينو وفيرديناندو آدورناتو، الذين قوّوا عزيمتي باتصالاتهم الودودة والملحّة التي كانت تخبرني بأن الـ اسبريسو ستكون تحت الطبع، وبأنّه عليّ أن أجد، بأيّ ثمنٍ، موضوعاً لزاويتي.

طبعاً، كل ما ظهر على هذه الصفحة لا يجرُّ عليهم بأيّة مسؤولية علمية، وينبغي، عند اللزوم، أن تُعزى إلى عدم جدارتي بالـ بوستينا، ماضياً، وحاضراً، ومستقبلاً.

(1987)

كيفية تقديم كاتالوغ فنيّ

تصلح هذه الارشادات لمقدِّم كاتالوغ فنيّ (الذي سأسميّه PDC)(*)، ونلفت إلى أنّها ليست مفيدة لكاتبِ أبحاث نقدية- تاريخية تُنشَر في مجلة متخصصة، وذلك لعدة أسباب، أوّلها، كون هذه الأبحاث تُقرأ من قِبل نقادٍ آخرين، ونادراً ما تُقرأ من قبل الفنان موضوع البحث، والذي إمّا أن يكون غير مشترك بالمجلة، وإمّا أنّه يكون قد توفي منذ قرنين. وإجمالاً، لا يحدث عكس ما يحصل لكتالوغ معرض للفن المعاصر. كيف يصبح المرء مقدّم كاتلوغ؟ لسوء الحظ، ليس هناك ما هو أسهل من ذلك. يكفي أن يمارس مهنة فكرية - الفيزيائيون النوويون والبيولوجيون مقدَّرون جداً - ويمتلك هاتفاً باسمه، ويتمتّع ببعض الشهرة. وتُحسَب الشهرة هكذا: في الامتداد

(*) الأحرف الأولى من : مقدّم كاتلوغ، وسنكتفي، من جهتنا، بترجمته: مقدِّم. - المترجم -

الجغرافي، عليها أن تكون أوسع مدى من منطقة تأثير المعرض ذاته – إذاً، ستكون إقليمية بالنسبة لمدينة مأهولة بسبعين ألف نسمة وما دون، ووطنية بالنسبة لولايةٍ، وعالمية بالنسبة لعاصمة دولة مستقلّة ذات سيادة، باستثناء سان مارينو وأندروا؛ وفي العمق، يجب أن تكون الشهرة أدنى من سعة ثقافة المقتنين المحتملين (إذا كان المعرض لفنانين مبتدئين، فمن غير المجدي، لا بل من الضارّ أن يكون المرء صحفياً في نيويورك، والأحرى أن يكون مديراً للمدرسة المحلية). وبطبيعة الحال، ينبغي للفنان الطموح أن يتواصل معكم، ولكن ذلك ليس مشكلة: فالطامحون أكثر عدداً من المقدّمين المحتملين. أمّا وقد اجتمعت هذه الشروط، فإنّ الوصول إلى لقب مقدّم يصبح محتّماً، ومستقلاً عن إرادة المقدّم المحتمَل. وإذا كانت تلك هي رغبة الفنان الطّموح، فلن يستطيع المقدّم المحتمَل أنْ يتملّص من المهمّة بأقلّ من الهجرة إلى قارة أخرى. وسيتعيّن على المقدّم، إذا ما قَبِل، إختيار أحد الحوافز التالية:

1. الفساد (وهو نادرٌ جداً، لأنّه، وسترون ذلك، من الحوافز الأقلُّ كلفةً).

2. التضادّ الجنسي.

3. الصداقة، بصيغتيها: التعاطف الحقيقي أو استحالة الرفض.

4. الإعجاب بعمل الفنان.

5. هديّة عملٍ (هذا الحافز لا يغطّي السابق، إذ يمكننا عرض لوحات لإقامة متجر).

6. الرغبة في قَرْنِ اسمه باسم الفنان (وهذا استثمار مختلف بالنسبة للمثقفين المبتدئين، إذ ينشر الفنان باستمرار هذا الاسم في المكتبات العديدة للكاتالوغات التالية، في بلده، وفي الخارج).

7. رغبة المشاركة، في ازدهار تيارٍ أو معرض فني بطريقة إيديولوجية أو جمالية أو تجارية. وهذه هي النقطة الأكثر حساسية التي ليس للمقدّم، الأكثر لا مبالاة، أيّ مهرَبٍ منها.

وفي الواقع، قلَّما يؤثّر نقّاد الأدب أو السينما أو المسرح على مصير العمل الذي يتكلّمون عليه بتملقٍ، أو بنقدٍ لاذع. فالمقال الجيد للناقد الأدبي يزيد المبيعات ببضع مئات من النسخ، بينما يمكن للناقد السينمائي أن يقوّض فيلماً كوميدياً خلاعياً تافهاً دون أن يمنع ذلك من تحقيق واردات فلكية، ومثله الناقد المسرحي.

وبالمقابل يساهم المقدّم في إعلاء قيمة مجمل عمل الفنان أحياناً بعشرة أضعاف، ولذا يجد المقدّم نفسه في وضع صعب. ويمكن للناقد الأدبي أن يرمي في النار كاتباً لا يعرفه، كاتباً لا يملك، بصورة عامّة، أيَّ حق في إلقاء نظرة على المقالات المنشورة.

تسير الأمور بعكس ذلك تماماً بالنسبة للفنان؛ فهو الذي يموّل الكاتالوغ ويراقبه؛ فيقول قولاً جميلاً

للمقدّم: «لا تتوانى في أن تبدو قاسياً»، ووضع هذا الأخير لا يطاق. فإمّا أن يرفض - ولكننا رأينا كم أُنتقد بشدّة - وإمّا أن يكون متساهلاً، وإمّا أن يتبدّى مراوغاً.

لهذا تكون المراوغة مفتاح قبة الكاتالوغات، إذا ما أراد المقدّم حفظ كرامته وصداقته للفنان. فلنتصوّر حالة الرسام أوجين دولاكروت. فمنذ ثلاثين عاماً، وهو يرسم خلفيات لوحاته باللون الأَمْغر، وفي وسطها مثلثٌ متساوي الساقين أزرق اللون تتوازى قاعدته والحرف السفلي للّوحة، والذي يوضع عليه بشكل شفّاف مثلثٌ مختلف الأضلاع أحمر اللون، مائلٌ نحو الجنوب الشرقي بالنسبة إلى قاعدة المثلّث الأزرق. وسيتعيّن على المقدّم الأخذ بعين الاعتبار حقيقة أن

دولاكروت، وحسب الفترة التاريخية، قد عَنْوَن اللوحة، في الترتيب، من 1950 إلى 1980: تركيب، اثنان + لامتناه، $E=MC^2$، ليس هذا سوى بداية، اسم الأب، جُذمور، خاص. ما هو هامش التدخل (المشرِّف) للمقدّم؟ إذا كان شاعراً، لاشيء أسهل من ذلك، يهدي شعراً إلى دولاكروت: «مثل سهم - آه يا زينون القاسي! - حماسةُ - رمحٍ آخر - مخططٍ بزهرة زينةَ عليلة - بثقوبٍ سوداء - متعددة الألوان.» فيكون الحل ساحراً للجميع، المقدّم ودولاكروت والعارض والمشتري.

ثمّة احتمال آخر يحفزّ الكتّاب وحدهم: الرسالة المفتوحة، تمرين للممارسة بمحرّك. «العزيز دولاكروت، عندما أبصرت مثلثاتك، وجدت نفسي في أوقبار، ليشهد عليّ خورخي لويس.. ذاتَ بيير مينار عرض عليّ أشكالاً أعيد إبداعها في عصرٍ آخر، السيد فيثاغورث المانشي. أنستطيع التحرّر من الضرورة نهائياً؟ غداً منذ الفجر، وما أن يرسل النور أولى خيوطه على الحقول، سأغادر. إنني متردّد حائر. اللازورد! اللازورد! اللازورد!...» إلخ.

المهمة العلمية للمقدّم أكثر سهولة. فيكفيه وهو ينطلق من اليقين - الصائب- بأن لوحة ما هي عنصر من عناصر الواقع، أن يستحضر المظاهر العميقة للواقع و، أيّاً كان قوله، سوف لن يكذب: «مثلثات دولاكروت هي عبارة عن خطوط. وظائف افتراضية للطوبولوجيات الملموسة. عقدٌ.

كيف ننتقل من عقدة U إلى عقدة أخرى؟ لابدّ ،مثلما هو معلوم، من وظيفة F تخمينية، وإذا بدت F(U) أصغر من F(V) أو مساوية لها، لابدّ من تنمية U، بالنسبة لكلّ عقدة أخرى V مأمولة، بغية توليد عقد متحدرة من U. حينها ستستجيب وظيفة تخمينية ناجزة للشرط F(U) الأصغر أو المساوي للشرط F(U) ، كما لو أنّ

D(W,Q) أصغر أو مساوي للـ D(V,Q), حيث من المؤكد أن D(A,B) هي المسافة بين A وB في الرسم. الفن هوعبارة عن رياضيات. تلك هي رسالة دولاكروت.»

للوهلة الأولى، يمكن لنصٍ كهذا أن يوافق لوحة مجردة ولكن ليس لموراندي أو باكون. ولكن هذا خطأ، فذلك يتوقّف على مهارة رجل العلم.

وبطريقة دلالية، سأقول بأنه يمكننا، بتطبيق نظرية حلِّ الحبكة لرينيه توم، بما يكفي من الجسارة المجازية، أن نبرهن على أنَّ أسلوب الطبيعة الصامتة لموراندي يتمثّل الأشكال على هذه العتبة القصوى للتوازن الذي قد تكون، من ورائه، الأشكال الطبيعية للقوارير بالمناقيش، فيما وراءها وضد ذاتها، مقرقعة مثل بلّور شفيفٍ مضروبٍ بصوتٍ فوقي؛ ويتمثّل سحر الرسام في اتقان رسم هذه الحالة المحدودة.

اللعب على الترجمة الإنكليزية لـ«الطبيعة الصامتة» (Still life, still) ممكنة لبعض الوقت، ولكن إلى متى؟ still - until . . . سحر الفرق بين «الوجود إلى الآن» و«الوجود – بعد – أنْ».

من عام 1968 إلى حوالي 1972، كان ثمّة حلٌّ آخر: التأويل السياسي، صراع الطبقات، فضيحة المواد الفاسدة لكونها طُرحت في السوق. ولأن الفن ثورة ضد عالم التسليع، فإنّ مثلثات دولاكروت كأشكال متمنّعة عن أن تكون قيم سلعية، مفتوحة للعبقرية الخلاقة للطبقة العاملة التي ينوب الرأسمال الكبير جهدها. ويبقى حلم الأيام الشادية، العودة إلى عصر ذهبي أو التبشير بيوتوبيا.

المقترحات المذكورة حتى الآن تصلح للمقدّم الهاوي. ولكن لنعترف بأن وضع الناقد الفني المحترف أكثر حرجاً. إذ ينبغي الحديث

عن الأثر الفني دون تحديد أدنى حكم قيمي. ويتمثّل الحلُّ التبسيطي في إظهار أن الفنان قد عمل بانسجام مع الرؤية السائدة للعالم، أو، مثلما يقال اليوم، مع الميتافيزيقيا المؤثرة. إن ميتافيزيقيا مؤثّرة «التي لا طائل منها» تؤسّس وسيلة عرض ما هو حاضر.

وبالتأكيد تحتوي لوحة على أشياء حاضرة، وتمثّل، من بين أشياء أخرى، وباسلوب ما، ما هو حاضر (حتى اللوحة المجردة تمثل ما قد يمكنه أن يكون حاضراً أو ما هو في عالم الأشكال المجرّدة). وإذا ما أصرّت الميتافيزيقيا المؤثّرة على أن كل ما هو ليس شيئاً آخر سوى طاقة، ومع تأكيد أن لوحة دولاكروت هي طاقة، وتمثّل الطاقة، فذلك لن يكون كذباً: بل إنها، على الأغلب، بداهةٌ، ولكنّها بداهة تنقذ رأس المال الناقد، وتُبهج دولاكروت والعارض ومقتني اللوحة.

يبقى المطلوب تعريف هذه الميتافيزيقا المؤثّرة التي سمع الجميع، بين الفينة والأخرى، الحديث عنها لدواعي الشهرة. بالتأكيد سيمكننا التوكيد، مع بيركيلي، بأن esse est percipi، وأن نجزم بأن أعمال دولاكروت موجودة لأنها مُدرَكة: ولكن الميتافيزيقا المعنية لم تكن مؤثّرة حقاً، وقد يُدرك دولاكروت وقراؤه الوضوح الذي ما بعده وضوحٌ لجزم كهذا.

إذاً، لو أنّ مثلثات دولاكروت كانت قد عُرِضت في أواخر الخمسينات – باللعب على التأثير المتصالب سارتر – ميرلو – بونتي (في القمة، أستاذية هوسّرل) –، لكان قد تعيّن تعريف هذه المثلثات على أنّها «عرض ذات الفعل القصدية ذاتها التي، إذ تكوّن مناطق متخيلة صورياً، تجعل من ذات الأشكال الهندسية المجرّدة طريقة الوجود ـ في ـ الأرض»"Lebenswelt".

في ذلك الوقت، كانت تغيّرات الشكل، بتعابير علم النفس قوية أيضاً: إذ كان الجزم بامتلاك مثلثات دولاكروت بنية راسخة (صيغية)،

جزماً صريحاً، ما دام كل مثلث يمتلك بنية راسخة، إذا ما كان قابلاً للتعيين باعتباره مثلثاً.

في الستينات، كان دولاكروت أكثر تماشياً مع ذوق العصر إذا ما رأينا في مثلثاته بنية، وتشاكل نموذج البُنى التماثلية لـ ليفي- شتراوس.

وباللعب بين البنيوية وأيار 68، كان يمكن القول، وفق نظرية التناقض لـ ماو - التي أنتجها الثالوث الهيغلي في المبادئ الثنائية لين ويانغ - بأنّ مثلثي دولاكروت قد وضّحا العلاقة بين التناقض الأوّلي والتناقض الثانوي. وسيكون من الخطأ الاعتقاد بأن المعيار البنيوي لا ينطبق على قوارير موراندي: قارورة عميقة (deep bottle) vs قارورة سطحية.

بعد سنوات السبعينات، أصبحت خيارات الناقد أكثر حرية. طبعاً، المثلث الأزرق الذي يجتازه مثلث أحمر وعيد الغطاس لرغبة تلاحق آخراً أبداً لن يكون بوسعنا تقمّصه.

دولاكروت هو رسام الاختلاف، وبالأحرى الاختلاف في الهوية. وجِد الاختلاف في الهوية في علاقة (الوجه- القفا) لقطعة نقدية من فئة 10 فرنكات، على أن مثلثات دولاكروت قد تتلائم أيضاً مع تقمُّص حالة انبجاس، مثلما هي لوحات بولوك وإيلاج التحاميل عبر المسلك الشرجي (النقاط السوداء). ذلك يعني أنّه لدينا، في مثلثات دولاكروت، النقض المتبادل للقيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية.

وبإحالة فَطِنة إلى اختلاف ابتسامة الجوكندا - التي، ان نظرنا إليها مواربةً، تبدو وكأنها فَرْجٌ، وهي على أيّ حال، فغورٌ -، قد تبدو مثلثات دولاكروت، في نقضها المتبادل وتعاقبها «المفجع»، وكأنّها انبجاس الإحليل وقد أصبح مهبلاً مستّناً. إنّه الإحليل مُسبَلاً.

وختاماً يمكن القول إن القاعدة الذهبية للمقدّم هي إجمالاً وصف

العمل بطريقة بحيث لا ينطبق الوصف على لوحات أخرى فحسب، بل وعلى الخبرة التي نتحصّلها عندما نرنو إلى واجهة خباز. وإذا ما كتب المقدّم: «في لوحات دولاكروت، أبداً لا يكون الإدراك الحسي للأشكال مطابقة جامدة لمعطى الإحساس. يخبرنا دولاكروت بأنه ليس هناك قط إدراكٌ حسيٌّ لا يكون تأويلاً وعملاً، وأنّ الانتقال من المحسوس إلى المدرَك هو نشاطٌ وتطبيقٌ عمليّ، وجود - في - الـ - عالم مثل بناء آبشاتونغين، مقطوعة عمداً في ذات لُحمَة الشيء - في - ذاته».

يقُرّ القارئ بحقيقة دولاكروت لأنها تطابق الميكانيزمات التي بفضلها يميِّز، عند الخباز، خبزاً ريفياً عن خبز الباتار.

ما يؤسّس معياراً أخلاقياً هو قول الحقيقة. هذا بالإضافة إلى معيار الفعالية والإمكان. بالتأكيد الطرق تختلف بعضها عن البعض الآخر.

(1980)

ملحق:

في الواقع، كتبتُ النص التالي لأقدّم العمل التصويري لـ أنطونيو فوميز حسب قواعد التمثّلية ما بعد الحداثوية. (راجع: أنطونيو فوميز (Da Ruoppolo a me, Studio annunciate, Milan, 1982).

لإعطاء القارئ (حول مفهوم «القارئ» راجع: D. Coste, «Three concepts of the reader and their contribution to a theory of literary texts», Orbis literarum 34, 1880; W. Iser, Der AKt des Lesens, München, 1972; Der implizite Leser, München, 1976; U. Eco, Lector in fibula, Milano, 1979؛ غ. برنس «مدخل إلى دراسة السردي»، بويتيك 14، 1973؛ م. نوجكار

«القارئ والنقد»، دوغريه 21، 1980) بعض الحدس الطازج (راجع: B. Croce, Estetica come scienza dell'espressione e linguistica generale, Bari, 1902؛ هـ. بيرغسون، الأعمال، دار سانتونير، باريس، 1963؛ E. Husserl, Ideen zu einer Phänomenologie (und phänomenologischen PhilosoPhie, Den Haag, 1950 حول الرسم (وبالنسبة لمفهوم «الرسم»، راجع: Cenino Cennini, Trattato della pittura; Bellori, Vite d'artisti; Vasari, Le Vite; P. Barocchi éd., Trattati d'arte del Cinquecento, Bari, 1960; Lomazzo, Trattato dell'arte della pittura; Baldinucci, Vocabolario toscano dell'arte del disegno; S. van Hoogstraaten, Inleyding tot de Hooge Shoole der Schilderkonst, 1678, VIII, 1, pp. 279 et suiv.; L. Dolce, Dialogo della pittura; Zuccari, Idea de' pittori لأنطونيو فوميز (ومن أجل بيبلوغرافيا عامّة، راجع: G. Pedicini, Fomez, Milano, 1980، بشكل خاص الصفحات 60–90)، قد يتعيّن عليّ اختبار تحليلٍ (راجع: H. Putnam, " The analytic and the synthetic " in Mind, language, and reality 2, London-Cambridge, 1975; بصورة (M. White éd., The Age of Analysis, New York, 1955 (راجع: W. Kölher, Gestalt Psychologie, New York, 1947؛ ب. غيوم، علم نفس الأشكال، باريس، 1937) ساذجة تماماً ومجرّدة من المسبقات (راجع: ج. بياجيه، تصوُّر العالم عند الطفل، باريس، 1955؛ G. Kanizsa, Grammatica del vedere, Bologna, 1981) ولكن الأمر يتعلق هنا بشيء (حول الشيء في ذاته، راجع: I. Kant, Kritik der reinen Vernunft, 1781-1787) عسيرٍ جداً في هذا العالم (راجع: أرسطو، الميتافيزيقا) الما بعد حدائي (راجع:

راجع: ((راجع: (((راجع: راجع:))))) ولذا لا نفعل أي شيء منه (راجع. ف. جانكيليفيش، الـ أنا- لا-أعرف- ماذا والـ كأنّ- لاشيء، باريس، 1981) بقي الصمت (Wittgenstein, Tractatus, 7) أعذرني، سيكون ذلك لغير (راجع. ج. لاكان، الصكوك، باريس، 1966) فرصة (راجع. س. مالارميه، إن ضربة نرد ناجحة لا تبطل الصدفة، 1897).

كيفية عدم الحديث عن كرة القدم

ليس لديَّ أيُّ شيءٍ معادٍ لكرة القدم، ولا أذهب إلى الملعب لنفس الأسباب التي تجعلني ألاّ أنام أبداً، ليلاً، في أنفاق المحطة المركزية في ميلانو (أو أتنزّه في سنترال بارك في نيويورك بعد الساعة السادسة مساءً)، ولكن يحدث أن أشاهد مباراة جميلة على التلفاز، باهتمام وحبور، لأنني أقرُّ بفضائل هذه اللعبة النبيلة وأقدّرها. لا أكره كرة القدم. أكره المولعين بها.

افهموني جيداً. يتملّكني، تجاه التيفوسي Tifosi[1]، شعورٌ مماثلٌ لذلك الذي أحس به تجاه أنصار العُصبة اللومباردية حيال المهاجرين غير المندمجين: «لستُ عنصرياً، شريطة أن يلزموا بيوتهم.» وعبر بيوتهم أدرك مكان اجتماعهم الأسبوعي (الحانة، العائلة، النادي) والملاعب يوم الأحد حيث أسخر ممَّا قد يحدث، وحيث لن يكون الأمر أكثر سوءاً فيما لو أسرع الهوليغان في النزول إلى الملعب، لأن قراءة هذه الوقائع المختلفة تُلهيني، ولكونها من ألعاب السيرك، بقدر ما يسيل من الدماء.

---

(1) المشجّعون المتعصّبون لفريقٍ رياضيٍّ. -المترجم-

لا أحب التيفوس، لخاصية غريبة فيه: لست تيفوسياً مثله، ويصر على أن يحدّثك كما لو أنك تيفوسياً مثله. ولأُحسن إيصال فحوى ما أريد قوله، سأعطيكم مثالاً. أنا أعزف على الناي (من سيء إلى أسوأ، على حدّ تصريح علني لـ لوتشيانو بيريو، وقد فُتنت لدى معرفتي بأنني متابَعٌ بهذا القدر من الاهتمام من لدن معلّم كبير). لنفترض الآن بأنني في قطار وبأنني، ولأشرع في الحديث، سألت المسافر الجالس قبالتي:

«هل استمعت إلى آخر C.D لفرانس بروغّن؟

– عفواً؟

– البافان لاشريم، برأيّ، البداية جد بطيئة.

– عذراً، لم أفهم.

– أتحدث عن فان إيك، هيّا! (متلفظاً بوضوح) الـ بلوكفلوت.

– أوه، أنت تعرف، أنا... هذا يُعزف بواسطة قوس؟

– أه، أرى، أنّك لا..

– أنا لا..

– يا له من عجيب. ولكن هل تعلم أنّ كولسما مصنوعة يدوياً، تستلزم الانتظار لثلاث سنوات؟ بناءً على ذلك، الأنسب هو مويك أبنوس، فهو الأفضل من بين كل ما نجده في المتجر. إن رامبال نفسه هو من قال ذلك لي. في الواقع، هل سبق وأن بلغت اللحن الرئيسي الخامس لـ "Derdre Doen Daphne d'Over" ؟

– لا أعرف أيّ شيء عن ذلك، أنا سأذهب إلى بارما..

– آه، لقد فهمت، أنت لا تعزف إلا على آلتو. إنها في الواقع مُرضية أكثر. وفي الوقت المناسب، اكتشفت سوناته لوييه LŒillet الذي...

- عينُ ماذا؟[1]

- أود كثيراً أن أبصرك بها في فانتازيات تيلمان. هل تخلّصت منها؟ ألم تخبرني بأنك تستخدم الخفة الألمانية؟

- أنت تعلم، أنا، الألمان... سيارتهم BMW إنّها ولا شكَّ سيارة عظيمة وأنا أحترمها، ولكن..

- لقد فهمت. إنك تمارس الخفّة الباروكية. ليس هناك ما هو أكثر صواباً، خذ تلك التي لسان مارتان .in the Fields.. »

هذا هو. لا أعرف إن أحسنت تقديم الفكرة، ولكني أعتقد بأنكم ستؤيدون زميلي في السفر المنكود الحظ إذا ما تعلق بإشارة الإنذار. إذ يحدث مثل هذا تماماً مع التيفوسي.

الأسوأ، هم سائقو سيارات الأجرة:

«هل شاهدت فياللي؟

- كلا، سيكون قد مرّ عليّ حينما كنت غائباً.»

«هل ستشاهد المباراة هذا المساء؟

- كلا، يتعيّن عليّ أن أعمل على الكتاب Z للميتافيزيقيا، أنت تعلم، الستاجيريت.

- حسنٌ. شاهدها وستخبرني أخباراً عنها.

بالنسبة لي، قد يكون بمقدور فان باستن أن يكون ماردونا التسعينات. ألا تصدّق؟

ولكن في النهاية، ينبغي عدم نسيان هاجي».

وعبثاً تحاول مقاطعته، وكأنك تكلم جداراً. ليس ذلك لأنه يسخر

---

(1) ـ كلمة L'Œil التي تعني العين، تتقارب لفظاً مع كلمة LŒillet، كما تلاحظون. ـ المترجم ـ

تماماً من حقيقة أني لا أبالي تماماً، وإنما لأنّه لا يدرك بأنه يمكن لشخص ما ألا يكترث أبداً. وقد لا يدرك ذلك حتى لو كنت أملك ثلاثة عيون وساريتين منصوبتين على الحراشف الخضراء لقذالي. وليس لديه أية فكرة عن الاختلاف والتنوع واللاتماثل للعوالم الممكنة. لقد أعطيت مثال سائق التاكسي، ولكن الأمر سيان مع محاور ينتمي إلى الطبقات السائدة، على غرار القرحة المعدية، فهي تصيب الغني تماماً مثلما تصيب الفقير. ولكنه من الغريب أن يكون أناس مؤمنون بوضوح بمساواة البشر مستعدين للذهاب لضرب أول تيفوسو من الإقليم المجاور. هذه الشوفينية المسكونية أنتزعت مني صيحات إعجاب. إنّه وكأن أنصار العصبة يهتفون هكذا: «دعوا الأفارقة يأتون إلينا، فسوف نصفّي حسابنا معهم».

(1990)

العيش في مجتمع الفرجة

كيف تكون مقدّماً في التلفاز

لقد عشتُ تجربة مثيرة عندما أرسلتني أكاديمية العلوم في جزر سفالبارد لأدرس، لبضع سنوات، حضارة البونغا، وهي حضارة ازدهرت بين الأرض المجهولة والجزر الثرية.

البونغا هم، تقريباً، مثلنا، عدا أنهم ميالون بشكل غريب إلى شمولية الإعلام، ويجهلون فن الافتراض والمُضمَر.

فنحن نتكلم، ولفعل ذلك نستخدم كلماتٍ، ولكننا لسنا بحاجة لقول ذلك. بالمقابل، عندما يتوجّه أحد أفراد البونغا إلى فردٍ آخر منهم يبدأ مؤكّداً: «انتباه، سأتكلم وسأستخدم كلمات.» نحن (ما عدا اليابانيين) نبني بيوتاً ومن ثم نبيّن للزوار رقم المحلّة واسم المستأجرين والسلّمين A و B أما البونغا، فهم يكتبون قبل كل شيء «بيت» على كل بيت، ومن ثم، وبواسطة لافتات خاصة، يشيرون إلى اللَبنات والجُرَيس، ويسجّلون «باب» على الباب. وإذا طرقت باب بيت السيد بونغا، يفتح الباب قائلاً «رويدك، إني أفتح الباب»، وبعد ذلك يقدّم نفسه إليك.

وإذا دعاك إلى العشاء، يجعلك تجلس ويشرح لك: «هذه، هي الطاولة، وهذه، هي الكراسي.» ثمّ، وبنبرة ظافرة، يعلن: «والآن، الخادمة المغناج! هاهي روزين. ستسألك عمّا تشتهيه، وستقدم لك على المائدة طبقك المفضل!» ومثل ذلك في المطعم.

ومن الطريف مراقبة البونغا في المسرح. تُطفأ الأنوار ويظهر ممثل ويقول: «هاهو الستار!» ويرتفع الستار ويدخل الممثلون إلى حلبة المسرح ليؤدوا، لنفرض، هاملت أو المريض الموهوم . بداية يقدّم كل واحد نفسه إلى الجمهور بهويته الحقيقية، ثمّ باسم الشخصية التي يؤدّيها. وبعد التعليق، يعلن الممثل: «والآن استراحة قصيرة !» تمضي بضع ثوانٍ، ثم يشرع ممثل أخر في الكلام. وليس هناك داعٍ للإيضاح بأنّ في نهاية الفصل الأول، يأتي ممثل كوميدي إلى مقدمة المسرح ويعلن: «والآن، سيعقب فاصل.» وقد أدهشتني مشاهدهم المتنوعة. وهي، كما مشاهدنا، كانت مؤلفة من السكيتشات وأغانٍ وثنائيات ورقصات باليه. وفي هذا الفصل القريب ممّا هو عندنا، يقدّم المهرّجان وصلتهما، يلقي أحدهما، بعد ذلك، ترنيمته، ومن ثمّ يحتجبان لحظة دخول فتيات رشيقات إلى الحلبة لأداء رقصة باليه، يقدّمن للمشاهدين شيئاً من الخفة، ثم في أعقاب رقصة الباليه، يستأنف الممثلون أداء إحدى الاسكيتشات. عند البونغا، يعلن الممثلون، في البدء، بأنّه سيكون هناك مشهد ساخر، وبعد ذلك يقولون بأنهم سيغنّون غناءً ثنائياً، مبيّنين بأنه سيكون غناءً فكهاً، وأخيراً يُذيع أحدهما: «والآن، مع الباليه!»

أمرٌ واحدٌ أدهشني: مثلما هو عندنا أثناء الفاصل، كانت لافتات إعلانية تظهر على الستار، ولكن بعد إعلان الفاصل، كان الممثل يهتف: «والآن، مع الإعلان!»

لقد تساءلت مطوّلاً عمّا كان يدفع البونغا إلى هذه الحاجة الملحّة للإيضاحات التفصيلية.

ربّما كانوا مهابيلاً، كنت أقول في نفسي، وما لم نقل لهم «والآن أُحييكم» لن يدركوا بأننا نحييهم. ربّما كان ذلك صحيحاً جزئياً، ولكن

كان هناك سبب آخر. فالبونغا يعيشون في شَعيرَة المشهد، ولذلك فهم يحيلون كلَّ شيءٍ مشهداً، حتى المُضمَر.

أثناء زيارتي إلى هناك، نجحت في إعادة ترتيب تاريخ التهليلات. في الماضي كان البونغا يصفّقون بدافعين اثنين، فإمّا أنهم كانوا سعداء بمشهد جميل، وإمّا أنهم كانوا يستمعون إلى تكريم شخصية شهيرة.

كانت شدة التصفيقات تشير إلى أكثر ما كانوا يحبونه ويعجبون به. وفي الماضي أيضاً، كان بعض مدراء المسارح المحتالين، الراغبين في إقناع المشاهدين بجودة المسرحية، كانوا يدسّون بين الجمهور عملاء مأجورين ليصفقوا، حتى إن لم يكن ذلك ضرورياً.

في بداية العروض المتلفزة، دعا البونغا اثنين أو ثلاثة من أقرباء المنظمين إلى الصالةِ، وبإشارة ضوئية – مجهولة من مشاهدي التلفزيون– كانوا يأمرونهم بالتصفيق في هذه اللحظة أو تلك. ولكن سرعان ما اكتشف الناس الخدعة. عندنا، كان التصفيق يجري بخزي كليٍّ. الأمر ليس كذلك بالنسبة للبونغا. فقد رغب الجمهور أن يصفق هو أيضاً، وحضرت حشود من المتطوعين إلى استوديوهات التلفاز، مستعدين لأن يدفعوا ليكونوا مصفّقين مأجورين. وذهب بعضهم إلى حد اتباع دروس خاصة لاتقان ذلك. وبعد ذلك، وبما أنّ الجميع كانوا على إطلاع، كان المقدّم هو من يباشر الصياح شخصياً في اللحظات المفتاحية «أيها السيدات والسادة، صفّقوا بقوة!» ولكن سرعان ما كان الناس الموجودون في الصالة يصفقون دون أن يحثّهم المقدم على ذلك. كان يكفي أن يسأل شخصية على الحلبة عن مهنتها، وأن تجيب تلك الشخصية «إنني أهتم بغرفة الغاز في المسكن البلدي القذر» حتى ينفجر تصفيق حاد. أحياناً، مثلما كان يحدث ذلك عندنا أثناء مشاهدة ذلك العجوز الطيب غروك، ما كان لمقدّم البرنامج أن يفتح فمه ليقول «طاب مساؤكم» حتى تدوّي، بعد «طاب»، تصفيقات جنونية. كان

يضيف «ها نحن نلتقي كلّ أربعاء كما هي العادة»، ولم يكن الجمهور يصفّق فحسب، بل وكان يتشنّج ضحكاً.

وبات لا غنى عن التصفيقات إلى درجة أنّ الإعلانات ذاتها كانت تفيض بسيولٍ منها عندما كان معسول الكلام يهتف: «ابتاعوا الملبّسات المنحّفة تيبتوب!» وكان الناس يعرفون جيداً بأنّه لم يكن هناك أيّ شخص قبالة الممثل، ولكنّهم كانوا بحاجة إلى ذلك. وإلاّ لبدت الرياضة لهم مصطنعة، ولبدّلوا المحطّة التلفازية. يريد البونغا أن يُظهر التلفاز الحياة الحقّة مثلما هي عليه، دون مظاهر خادعة. وتصفيق الجمهور «الذي هو مثيلهم» وليس تصفيق الممثل (المتصنّع)، هو الضمان الوحيد بأن يكون التلفاز نافذة مفتوحة على العالم. والبونغا يعدّون برنامجاً مؤلفاً حصرياً من ممثلين مصفّقين، وسيسمّونه «الحقيقة التلفازية».

ومن حينها، وليشعروا بأنهم راسخون في الحياة، يصفّق البونغا في كل مناسبة، حتى خارج التلفاز. وإذا ما صفّقوا في المآتم، فذلك ليس لأنهم سعداء أو أنّهم يريدون تكريم المرحوم، وإنّما ذلك لئلا يشعروا بأنهم ظلالٌ بين الظلال، ليتيقّنوا بأنهم أحياء وحقيقيون، مثل الصور التي يرونها على شاشاتهم الصغيرة. ذات يوم، كنت عند أناسٍ، دخل العم وقال: «لقد سُحِقتْ الجدة منذ قليل بشاحنة كبيرة!» فنهض الجميع وضربوا الكفَّ بالكفِّ.

لم أكن لأجزم بأن البونغا هم أدنى مرتبة منا. بعكس ذلك، فقد أسرّ لي أحدهم بأنهم كانوا ينوون احتلال العالم. لم يكن المشروع نظرياً في شيء، وقد تبيّنت من ذلك منذ عودتي إلى الوطن الأم. إذ اكتشفت، في المساء، وعلى التلفاز، مقدّمَ برامج كان يقدّم ضيوف شرف برنامجه، ثم يعلن بأنه سيقدم لنا اسكيتشاً هزلياً، وأخيراً، يهتف: «والآن، ها هو الباليه!» واكتشفتُ كذلك رجلاً شهيراً يجادل شهيراً آخر، في قضايا سياسية خطيرة، يقطع جداله ليقول: «والآن،

مع صفحة إعلانية!» وكان بعض المذعين يقدّمون الجمهور، وآخرون الكاميرا التي كانت تصوّرهم، وكان الجميع يصفّق. تبلبل ذهني وتشوّش، فقرّرت الذهاب للعشاء في مطعم فرنسي شهير بمطبخه الجديد. وضع النادل أمامي ثلاث ورقات سَلَطة، قائلاً: «ها هي فرَندُل البستاني، خليط من ميسكلان نيس، المزيّن بأوراق الجرجير البروفانسي المفرومة ناعمة للغاية، ومتبّلة بملح جيراند، والمنكّهة بخلّ مودين البلسمي، مع رشة من زيت زيتون سومبير في لانغدوك.»

(1987)

كيفية التعرف على أبله القرية في التلفاز

ما هو جوهر المسرح الهزلي في حضارة قررت أن تتأسّس على احترام الاختلاف؟

تقليدياً، طالما راهن الفن الهزلي على الكسيح أو الأعمى أو اللجلاج أو القزم أو البدين أو الأبله أو المنحرف، أو على المهنة التي تعتَبر شائنة، أو الإثنية المنظور إليها دونياً.

والحال أن كلّ ذلك بات محظوراً. ولم تعد، اليوم، تجازف بتقليدِ منبوذٍ مسالم، ففي ذلك إغاظة؛ فحتى موليير بذاته، قد لا يعود بإمكانه الهزء بالأطباء دون إثارة الإستنكار الفوري من أهل الحرفة أجمعين، المتّحدين ضد هذه المزاعم المنطوية على قذفٍ وذمّ. والمسألة تزداد حرجاً مع عبارات من شاكلة، تذوّق «زنجي بقميص» و التكلّم بـ«زنجي ـ صغير»، إلى عبارة «رأس تركي» التي قد تكون بمثابة «ثملٌ مثل بولوني»[1].

---

(1) العبارات الموضوعة بين الأقواس هي كنايات تستخدم للتدليل على التالي: =

وكان الهجاء المتلفز، هو أيضاً، معرّض لخطرِ ألاّ يعود لديه موضوع سوى البرامج التلفزيونية الأخرى: فعبر ضربٍ من التواطؤ الضمني بين الأقنية، كان كل برنامج يبدو وكأنه لا يُفهَم إلا ليستوحي هجاء الآخر، وكان الهزل الوحيد المباح يغدو هزل التنقّل بين الأقنية.

أو حينها - بما أن المجموعات التي تشعر بأنها قوية هي التي تتجرأ، تقليدياً، على الهزء من ذاتها - كان جلد الذات ضرباً من إظهار السلطة، وفي النتيجة، كانت ممارسة الهزل تقيم وازعاً طبقياً جديداً: فإذا كان في الماضي يتم الإقرار للسّادة بما كانوا يبيحون لأنفسهم الاستهزاء بالعبيد، فاليوم، العبيد لهم وحدهم هذا الحق في الهزء بالسّادة.

وقد سُخِرَ كثيراً من أنف ديغول، أو تجاعيد انييللي، أو أنياب ميتران، واستُشعِرَ بأن هؤلاء الأخيرين يبقون على الدوام أكثر نفوذاً وقوة ممّن يَسخرون منهم؛ فالحال أن الهزل قاسٍ وعديم الشفقة قدرياً، وهو يستدعي أبله، يكون حقاً معتوهاً، حتى يمكننا، بالسخرية منه، تأكيد تفوّقنا على قصوره العُضال.

كان لابدّ من حلٍّ، وقد عُثِر عليه. من المستحيل خلق صورة كاريكاتورية للساذج، فذلك قد يكون مناهضاً للديمقراطية. فليكن. وعلى العكس، سيكون أمراً ديمقراطياً خالصاً منحه الحديث، ودعوته ليقدِّم نفسه بنفسه، مباشرة (أو بالشخص الأول، تماماً مثلما يقول البلهاء). مثلما هو في القرى الحقيقية، يتم إغفال شفاعة العرض الفني. لا يُسخَر ممّن يقلّد السكير، وإنّما تُدفع الأموال مباشرة في سبيل احتساء الكحول، ويُسخَر من فساده.

كان الدور قد لُعِبَ. كان يكفي التذكّر بأن الأبله، من بين صفات

= «زنجي بقميص: الحلوى بالشوكولا»، «زنجي ـ صغير: التكلم بلغة فرنسية رديئة»، «رأس تركي: إشارة إلى أن الشعب التركي عنيد وجاهل». ـ المترجم ـ

بارزة أخرى، محبٌّ للظهور، ولكن بالأخص التذكّر بأنّه ثمّة العديد ممّن هم على استعداد لتقمّص دور الأبله. في الماضي، لو حصل وحدثت أزمة زوجية، ونشر غريبُ، في رأد الضحى، خلافاتهما المؤسفة، لأقام الزوجان دعوى قدح وتشهير، عملاً بالقول المأثور الداعي إلى ألاّ ينشر المرء غسيله الوسخ. ولكن حينما ينتهي الزوجان إلى القبول بفضيلة عرض تاريخهم القذر على الجمهور، لا بل والسعي إليها، مَنْ يبقى له حق الكلام على الأخلاق؟

وها هو الانعكاس المدهش للنموذج الذي نشاهده: خروج شخصية الممثل الهزلي الساخر من المعتوه المسالم، وجعل المعتوه المسالم شخصياً، نجماً سعيداً تماماً بإبراز عَتَهه الخاص. الجميع مغتبطون: الأبله المتباهي بنفسه، والقناة التي تعرض مشهداً دون أن تدفع أجوراً لممثل، ونحن الذين يمكننا مجدّداً أن نسخر من حماقة الآخر، إرضاءً لساديتنا.

ستفرّخ شاشاتنا بوفرة، من الآن وصاعداً، أُمّيين متباهين برطانتهم، ولواطيين متلذذين بمعالجة مثليّتهم بـ«دوّاسة قديمة»، وفاتنات على أهبة إبراز مفاتنهن الفاقدة النضارة، ومغنّين ضليعين في النشاز، ومتحذلقات يؤكّدنَ «الإلغاء التقمّصي لما تحت الشعوري الإنساني»، وأزواجٍ مخدوعين سعداء، وعلماء مجانين، وعبقريات غير مفهومة، وكتّابٍ يشتهرون على حساب المؤلف، وصحفيين يعطون الصفعات، ومقدمين يتلقونها سعداء، اعتقاداً منهم بأنّ مقال الزاوية سيتحدث عنهم في اليوم التالي.

وإذا ما تفاخر الأبله مبتهجاً، فيمكننا الضحك دون ندم. أصبحت السخرية من المعتوه مجدّداً صحيحة من الناحية السياسية.

(1992)

كيفية مشاهدة عملية شنق على التلفاز في بثٍّ مباشر

يؤسفني أن تكون السلطات المختصة قد رفضت بثَّ آخر عملية شنق في الولايات المتحدة بشكل مباشر على التلفاز. فالأحرى، كان ينبغي شنق المحكوم في الساعة الثانية عشرة، بتوقيت الساحل الشرقي، ليتسنّى للمرء مشاهدته في نيويورك أثناء الغداء، وفي وسط غرب، تقريباً عند الغسق، وفي كاليفورنيا في الساعة التاسعة، وهو يتناول فطوره على حافة المسبح.

وعندنا، ستكون الساعة السادسة مساءً، ولكن بالنسبة للعاملين سيُستدرَك الأمر بإعادة البث في الساعة الثامنة. ومن المهم أن تكون الناس على المائدة: فلابدّ لضجيج الرقبة التي تنفصم واختلاجات البطن، والساقان اللتان تعملان في الفراغ، أن يفعِّل ازدراد الطعام، عنَيْتُ عند الجمهور. في حالة الكرسي الكهربائي، قد يتوجّب أن ينكمش المحكوم قليلاً في اللحظة ذاتها التي، في بيته، تطقطق زبدة البيض في مقلاة على الموقد. مع الغاز يكون المشهد مضموناً، لأنه قبل كل شيء سيكون قد قيل للمحكوم أنه يستنشق نفساً عميقاً، وهو بحد ذاته مشهد تلفزيوني بصريّ للغاية، ومن ثمّ تأتي الرجفات. أكثر ما يُنهى عنه هو الحقن، إذ تُفقَد كلّ متعة النقل المباشر. تفرّقوا، ليس هناك ما يستحق المشاهدة، والأحرى بهم إعادة بثّ ذلك على المذياع.

وأنا أفهم أنه يمكن لاقتراحي أن يبدو لاشعبيّاً في الوقت الذي حظّرت فيه ديزني إيطاليا على رسّاميها أن يقوّلوا العم بيسكو بأنه يودّ خنق دونالد، لأن ذلك سيكون بمثابة تحريض على العنف.

يؤسفني أن السوق المزدهرة للفيديو تحثُّ على انتاج أفلام يجري التقاتل فيها بأسلحة ميغا مجرّية تلبّد جدران دماغكم وتفجّر سيولاً من الدم المخضب.

أعتقد أن الأفلام القديمة، تلك التي كان الهنود أو اليابانيون يموتون فيها، وهم يسقطون مثل دُمى، لم تكن تقدّم لكم فكرة نحر الأب والأم في سبيل الحصول على ميراث من ثلاثة سندات على الخزينة وبيزيريا واحدة. ولا يعترضنّ أحدكم عليّ بأنّه حدثت جرائم دموية شهيرة في تلك الفترة. ذلك صحيح، ولكن الأمر كان يتعلق آنذاك بالانفعال، لا بالتقليد. أمّا وقد حدث ذلك، فينبغي التمييز بين الألعاب الخيالية القادرة على بلبلة الأبرياء (أو تحريض ضعاف النفوس على تصرفات شاذة) وواجب سرد شتّى الوقائع.

أنا ضد الهَوْس بنشر مآثر من قَتَل آخر خنقاً في الصفحات الأولى من الصحف، ما دام المجرم المفتَرَض لم يُدَنْ من قبل محكمة؛ ولكن إذا ما تجوّل شخصٌ في الطبيعة لكي يختطف الأطفال وينحرهم، فيبدو لي من الضروري إخبار الناس عنه، وخاصة المراهقين ليفتحوا بصرهم وبصيرتهم. ومالم نخبرهم عنه في الوقت المناسب، يكون في ذلك خطر أن يفوت الأوان.

بالنسبة لحكم الإعدام ينقسم العالم إلى فئتين: أولئك الذين يستنكرونه (مثلي)، وأولئك الذين يدافعون عن ضرورته. ويمكن للمعارضين، إن كانوا رؤوفين، إطفاء التلفاز حينما يبث عملية إعدام. ولكنّهم سيشتركون، من جهة أخرى، في أداء الحداد. وإذا ما قُتِل رجل في تلك اللحظة، فعليهم أن يشاركوا، بطريقة أو بأخرى، بالصلاة أو بقراءة باسكال بصوت عالٍ في العائلة. وعليهم أن يعلموا بأنه في تلك الليلة، اقتُرِف عمل شائن.

وإذا ما شاهدوا التلفاز، فإنهم سيشعرون أكثر بأنّهم مدفوعون إلى إدانة هذه البربرية، بطريقة أو أخرى، دون الاقتصار على القول بأنهم ضدَّها ـ تماماً مثلما تطرح مشاهدة طفل إفريقي، على الشاشة الصغيرة، وقد غدا هيكلاً عظمياً بعض المشاكل على الضمير الحي لكل إنسان.

ومن ثم هناك المدافعون عن عقوبة الإعدام. على أولئك أن يشاهدوا. وأخمّن اعتراضهم: «يمكنني تأكيد شرعية عملية التهاب الزائدة، ولكن، من فضلكم، لا تجعلوني أشاهد ذلك على التلفاز أثناء حديث ما بعد الطعام.» والحال أن الأمر لا يتعلق هنا بعمل جراحي يتفق بشأنه الجميع. ما نحن بصدده، هو المعنى، هو قيمة الحياة الإنسانية والعدالة. ولا الأكاذيب.

إذا كنتم مع عقوبة الإعدام، فعليكم القبول بمشاهدة المحكوم وهو يرفس بقدميه في الهواء، ويتجشأ، ويتحرّق، ويرتجف، وينتفض، ويسعل، ويسلم روحَه القذرة لباريها.

فيما مضى، كان الناس أكثر استقامة، إذ كانوا يبتاعون بطاقتهم لحضور العقوبة، وكانوا يهلّلون كالمجانين. وأنتم أيضاً، من تؤيدون العدالة القصوى لعقوبة الإعدام، عليكم أن «تهللوا»: وأنتم تأكلون، وتشربون، وتفعلون ما يبدو لكم صحيحاً، ولكنّكم لا تستطيعون التصرّف وكأن هذا لم يكن موجوداً، عندما تؤكدون مشروعيته. ستجيبونني: «وإذا كانت زوجتي حامل، وأنّها، تحت تأثير الصدمة، أسقطت جنينها من تلقاء نفسها؟» وبعد؟ تقرُّ العقيدة الجديدة بأن من حق دولة أن تسنّ قوانيناً حول عقوبة الإعدام. كما أنها تقول بمنع الإجهاض، إلا إذا كان إرادياً. فإذا ما أجهضتم جراء رؤية شخص يترنّح في الفراغ، فذلك ليس إثماً.

(1993)

كيفية تحقيق سبق صحفي مع غاق شيتلاند

إلتقيتُ صاحبنا الغاقَ في صالة الشرف للمطار. كانت هناك سيّدة شابّة فاتنة ترجوه ألاّ يوسّخ المقاعد الزرقاء الأنيقة واقترحت عليه

(عليه) حماية مقعد منها بمشمّعي الواقي من المطر. كنت أعرف بأنه سيهترئ، مشرّباً بكامله بالنفط وماء البحر، ولكنني وثقت بالخدمة (الدافعة للنفقات) لصحيفة الاسبريسو L'espresso. إنّكم تتصورون أهمية سبق صحفي كهذا... شكرني المُريِّش، وزالت العقبات، وإليكم المقابلة:

أنا: «عم صباحاً سيدي الغاق، أأنت هنا؟ كنت أعتقد بأنّك في جزر شيتلاند.»

الغاق: «سأعود إليها غداً، للأسف. تخيّل أنّه دُفعَت لي أجرة نجم من الدرجة الممتازة لقاء أخذ منظر قصير في مكان لم أسمع به أبداً. ناقلة نفط عرضة للأمواج، منذرة على ما يبدو، بخطر أن ينسكب النفط دفعة واحدة في البحر، وأرادت التلفزيونات أن تكون متأهبة، وبما أنني ملتزم بعقد... إنها مهنة قذرة، أقسم لك».

أنا: «ألا تتمتع باستراحة أبداً، ماذا؟»

الغاق: «ماذا تعني؟ أنت أيضاً تقرأ الصحف، حرب هنا، وعاصفة هناك، والبحار أصبحت مزبلة عملاقة. فيكاد الأمر ذاته يتكرر يومياً "سيدي الغاق، استعد، من فضلك، لا تنظر إلى الكاميرا، ملّس ريشك بمنقارك، تظاهر بالحزن"... فأُذعن للأوامر.»

أنا: «ولكن في النهاية، أليس هناك غيقان سواك في السوق؟»

الغاق: «الأمر أكثر تعقيداً من ذلك، لقد فقد والديّ جلدهما فيه، الذين نجوا منه انصرفوا عنه يُسمِعون صرختهم مساءً في أعماق الغابات، وهذا ليس مجازاً. لقد جرّبوا أن يتأقلموا في موضع آخر، في التلال والجبال. من الصعب العثور على سمكة في تلك الأركان، كل ما يمكن العثور عليه هي تروتة بين الفينة والفينة.

أما أنا، كان الشرّ قد قُضِي، فكنت قد سقطت في أحبولة، انظر إلى أي درجة أنا مرهق، حتى مع هذه الخِدع المائعة التي تحرق

عيونك. فبقدر الاحتفاظ بهذه القذارة، تجري محاولة الانتفاع بها. تُدفَع لي مبالغ جيدة، وكل ما علي فعله، هو أن أكون مستعداً.

قبل شهر كنت في غاليس، لابدّ أنك قرأت ذلك، واليوم في شيتلاند، والله وحده يعلم أين سأكون غداً. وأيضاً، بدأت قبل حرب الخليج.» أنا: «لقد جلَبت لكم صور تلك الحرب المجد والنجاح.» الغاق: «نعم، لقد انطلقت مهنتي من هناك. في السابق كانوا يصوّرونني وثم يحذفون مشاهدي في المونتاج. مع الخليج، سارت الأحوال على ما يرام. ولكنّك تعلم أنّه أمر شاق أن يتم التصوير يومياً، وفي كل مرة، هوبا، لطخة بترول صغيرة على الريش، لا أودّ قول هذا، ولكن ذلك مضر على الصحة. عليّ أن أتعجل جمع ثروة وأنصرف محيّياً. وعلى أيّ حال، سأكون عمّا قريب مريضاً مزمناً. وفي النهاية، سأرى جيداً. سأجد لنفسي جزيرة صغيرة بمنأى عن الطرق التجارية، لما تبقّى لي من الوقت اليسير لأحياه.»

أنا: «ولكن ألا يمكن تجنيد نورس، أو فقمة، أو بطريق، وما أدراني أيضاً، بتمويهها بشيء من الطين، طين مراكز تالاسو مثلاً، ألن يُجْدِ ذلك؟»

الغاق: «اه كلا، لا تفكّر بذلك، إنهم محترفون حقيقيون، يقولون بأنه إذا ما تم تمويه الحيوان يفقد كل عفويّته. مثلما هو في أفلام فيسكونتي: عندما كان أحد الممثلين يذكر صندوق حليّ، كان لوتشينو، حتى وإن لم يُفتَح الصندوق أبداً، يريده مليئاً بالحلي، ومن محلاّت بولغاري، إن شئت.

ثم إننا، نحن الغيقان، لدينا القوام المناسب لشاشة التلفاز. فيمكنهم تصويري، أنا، ببعد مضخّم، فيُرى كل شيء. إنكم تتصورون بأنهم سيكونون، مع فيلٍ، مرغمين على أن يصنعوا تصميماً شاملاً.»

أنا: «ألن ينفعهم استخدام كائن بشري، مراهق، أقصد واحداً

سبق وشوّه كثيراً، واحداً من أولئك الذين للبيع مثلاً؟»

الغاق: «لا تضحكني! منذ زمن طويل،لم يعد الكائن البشري يُثير أحداً. تخيّل أنني تلقّيت عرضاً حتى من اليونيسيف، لقد حاولوا عرض الأطفال الأفارقة النافقين جوعاً، تنهش الذباب أعينهم، وبطونهم منتفخة. فأثار ذلك تقزّز الناس، فغيّروا القناة التلفزيونية، بينما على العكس من ذلك، أثار الحيوان شفقة الناس.»

أنا: «إذن، أنت تفكّر في ترك القطاع النفطي...» الغاق: «كلا، كلا، هذا مربحٌ للغاية، هناك دوماً حاجة إلى الطاقة والبحار الملوثة، ولحسن الحظ سيكون هناك المزيد منها. لن يكون بمقدوري العيش إلاّ مع ناقلات النفط الجانحة وآبار النفط المقصوفة بالقنابل. ولكنك تعرف ماذا يكون هذا، فعندما تبدأ في التلفاز، تُطلب في كل مكان، من أجل إعلان أمريكان إكسبريس وبينتون وفي البرلمان... إنّه الإرتقاء. في السنة القادمة، يريدون استخدامي في إقناع الناس بألاّ يتخذوا الطريق المسيّرة في 15 آب.»

أنا: «ولكن ألا تكفي صور السيارات المحطّمة والجثث المتفحّمة؟»

الغاق: «أأنت غبيٌّ أم ماذا؟ إنّ صورة عائلة متفحّمة لا تلفت الانتباه ولا تدرُّ ربحاً، ولكن إذا ما اصطدمت سيارة العائلة بصهريج، وإذا ما تدفق النفط على قارعة الطريق، وإذا ما مرّ غاقٌ من هناك وتلطّخ به، حينها سيفكّر الناس بذلك مرتين. أنت تعلم بأنني أربح مالاً لا بأس به، حسناً، ولكن عملي المأجور هو أيضاً إلتزام مدني، إنه رسالة أؤديها.»

أقبلت السيدة الشابة الفاتنة، تقدّم له شيئاً من الويسكي، ولكنه رفضه. «لا شكّ أنني لم أتعوّد على مذاقه بعد، أرى أن له طعم النفط.»

نُودِيَ عليه استعداداً للطيران، فابتعد خفيض الرأس، مخفقاً في لانزلاق على الأرض الصقيلة التي كان يترك عليها أثراً زيتياً، التفت لمرة الأخيرة.

«شكراً، قلت له، شكرُ خاصٌّ باسم جميع أطفال العالم.»

(1993)

كيفية الاستجابة للوجوه المعروفة

قبل بضعة أشهر، كنت أتنزّه في نيويورك حينما لمحت شخصاً نت أعرفه جيداً وكان يتوجه نحوي. كنت أبذل قصارى جهدي لقدح ناد الذاكرة، ولكن تعذّر عليّ تذكّر اسمه ولا أين كنت قد تعرّفت ليه. وهذا الإحساس يكون عادياً حينما نلتقي في الغربة من نعرفه في وطنه، أو العكس بالعكس. في حين أن وجهاً خارج السياق يسبّب نوعاً من الإرتباك.

غير أن ذاك الشخص كان مألوفاً لديّ لدرجة أنه لا بد لي بالتأكيد أن أتوقّف وأحيّيه وأدردش معه، لا شكّ أنه سيقول لي: «عزيزي أمبرتو، كيف حالك؟» بل وربما «وأخيراً فعلتها، تلك الخدعة التي كنت قد حدّثتني عنها؟» وسأكون أنا في حيرة من أمري. أأتظاهر بعدم رؤيته؟ لقد فات الأوان. كان لا يزال ينظر من الجهة الأخرى من الشارع، ولكنّه كان على وشك الإلتفات نحوي. وهكذا قرّرت التقدم نحوه، وتحيته، والسعي إلى التعرّف إليه من خلال صوته، ومبادلة أولى الأحاديث معه.

كنا على بُعد خطوتين من بعضنا، وكنت سأطلق ابتسامة عريضة ومشرقة وسأمد يدي، عندما، فجأةً، عرفته.

كان ذاك أنطوني كوين. طبعاً، لم يسبق لنا قط أن إلتقينا. وكان جزء من ثانية كافياً لي لأوقف بادرتي نحوه، وقد ألفيته شارد الذهن تائه النظرات في الفراغ. فكّرت، فيما بعد، بذلك الحادث لأستخلص منه بأنه لم يكن هناك أيُّ شيء يخالف المألوف والعادي، فقد رأيت، في مرة سابقة، شارلتون هيستون في المطعم وواتتني النزوة للحديث إليه وتحيته. هذه الوجوه تسكن ذاكرتنا، فقد أمضينا برفقتها ساعات كاملة أمام الشاشة، فباتت مألوفة لدينا مثل ذوينا القصيين بل وأحياناً أكثر منهم. يمكن للمرء أن يكون أخصائيّاً في التواصل مع الجمهور، ويناقش الوقائع الحقيقية، ويسهب في الحديث عن الإلتباس بين الواقعي والموهوم وعن أولئك الذين يكونون ضحايا هذا الالتباس، وأبداً لا يمكنه الإفلات من تزامن الأعراض هذا. المشكلة، هي أنه هناك ما هو أسوأ.

لقد اطّلعت على تصريحات أناس ظهروا في وسائل الإعلام، عبر الإطلالات المتكررة في التلفاز في فترة معينة. ولا أتحدث هنا عن نجوم الشاشة الصغيرة، وإنما عن أشخاص كانوا قد اشتركوا في Talk-shows لفترات مديدة سعياً للشهرة. والكلُّ يبدي الشكوى والامتعاض من تلك التجربة المزعجة.

عموماً، عندما نلتقي من لا نعرفه حق المعرفة، لا نتفرّس فيه ولا نجاهره هزءَنا به وحديثَنا عنه بصوت مرتفع يمكنه سماعه، فيكون في ذلك تصرفات تشذّ عن اللباقة والتأدّب تنمّ عن صلفٍ وعدوانية.

فأولئك الناس الذين لن يتجرأوا أبداً على الإشارة بسبابتهم إلى زبون في أحد البارات، إلاّ للإشارة إلى ربطة عنق من أحدث طراز لصديق، هم أنفسهم يتصرفون بعكس ذلك تماماً مع الوجوه المعروفة.

يروي لي من خَبِرَ ذلك من أصدقائي بأنه في مكتب التبغ، وعند البقال، وفي القطار، ولدى الذهاب إلى حمامات أحد المطاعم، يهتف

الناس لدى مرورهم: «أَرأيت، ها هو فلان!» «أَليس هو؟ أَأنت متأكد؟» «إني متأكّد مما أقول!». ويتحادثون بلطفٍ ومودّة، بينما فلان يسمعهم، دون أن ينشغل بما يقولونه أو يُعنى به.

إنهم يرتبكون لرؤية بطل من أبطال الخيال الإعلامي يقتحم فجأة حياتهم الواقعية، على أنّهم في الوقت ذاته، يتصرفون حيال الشخصية الحقيقية وكأنها لا تزال تنتمي إلى الخيال على شاشة أو مجلة، وكأنهم يتكلمون بغيابه.

وكأنني أخذت بتلابيب أنطوني كوين وأصطحبته إلى حجرة هاتف وأخبرت أحد أصدقائي قائلاً له: «إحزر من إلتقيت؟ أنطوني كوين! وتعرف ماذا أيضاً؟ وكأنه حقيقي!» (ثمّ، صرفت النظر عن ذلك لأعود إلى أعمالي).

في البداية، أقنعتنا وسائل الإعلام بأن ما هو خيالي الآن كان واقعياً فيما مضى، الآن تقنعنا تلك الوسائل بأن ما هو واقعي خيالي، وكلّما أتاحت لنا الشاشات التلفازية رؤية الواقع، غدا ما هو يومي سينمائياً. إلى أن بلغ بنا الاعتقاد بأننا وحيدون في العالم منعزلون فيه، وأن كل ما تبقّى هو الفيلم الذي طرحه الله أو عبقرية خبيثة أمام لواحظنا. وهذا ما كان يحلم به بعض الفلاسفة.

(1989)

كيفية التعرف على فيلم إباحي

لا أعرف إن كنتم قد شاهدتم، فيما سبق، فيلماً إباحياً، ليس كتلك الأفلام التي تحتوي على شيء من الإثارة الجنسية، التي ينظر كثيرون إليها على أنّها مهينة وشائنة، مثلما هو فيلم «آخر تانغو في

باريس». وإنما أعني بالفيلم الإباحي، ذلك الذي له هدف واحدٌ أوحد، وهو إثارة شهوة المشاهد، من البداية وحتى النهاية، والمصنوع بحيث، شريطة أن تكون مشاهد التزاوج مهيّجة، يُعَد سواه من الأفلام عملا يسيرا.

في أحيانٍ كثيرة يُستدرَج القضاة إلى الفصل فيما إذا كان هذا الفيلم أو ذاك إباحياً بشكل خالص، أم أنّ فيه قيمة فنّية ما. من جهتي، لستُ من أولئك الذين يعتبرون أن الفن يبيحُ كلَّ شيء، فقد تكشّفَتْ تحف فنية أصيلة عن خطورة على العقيدة أو الأخلاق أو الرأي العام، فاقت أحياناً تلك التي لأعمال هزيلة في المضمون، ورديئة في الإخراج. بالإضافة إلى ذلك، يُخال إليّ أن للبالغين الحق، إن ارتضوا ذلك لأنفسهم، في مشاهدة بعض الأفلام الإباحية، على الأقل لعدم توافر ما هو أفضل.

والأمر هكذا، فعلى المحاكم أن تحكم فيما إذا كان الفيلم قد ابتُكر ليعبّر عن مفاهيم أو مُثل وقيم جمالية (وذلك بواسطة مشاهد قادرة على الإساءة للأخلاق العامة والحشمة)، أو إذا كان قد أُعدّ وأُخرج لغاية وحيدة واحدة ألا وهي إثارة غرائز المشاهد.

إذاً، المعيار الذي يتيح التحقق من فيلم ما موجود ألا وهو حساب الأوقات الميتة. فالتحفة السينمائية المطلقة «النزهة الخيالية» تجري بكاملها تقريباً (باستثناء البداية وبعض الفواصل الترفيهية والنهاية) في عربة جياد. ومن دون هذه الرحلة ليس للفيلم أي معنى. أمّا فيلم «لافانتورا» لأنطونيوني، فهو عبارة عن أوقات ميتة: يذهب الممثلون ويأتون، يتحدثون، يتوهون، ويلتقون من جديد، ولا يحدث أي شيء. فالفيلم، والحالة هذه، يقول بالضبط ما لا يحدث أبداً. وسواء أُعجبنا به أم لم نُعجَب، فإن هدفه الواضح هو أن يقول لنا ذلك.

بالمقابل، ولتبرير شراء بطاقة سينما أو أسطوانة فيديو، فإن فيلماً

إباحياً يقول لنا إن أناساً يتزاوجون، رجال مع نساء، ورجال مع رجال، ونساءٌ مع نساء، ونساء مع كلاب أو أحصنة (لا يوجد أي فيلم إباحي يتزاوج فيه رجال مع أفراس أو كلبات. لماذا؟). حسناً، لا يزال كل هذا يجري، ولكن يتفق أن يكون فيلم إباحي مليئاً بالأوقات الميتة.

وإذا كان على جيلبرتو الذهاب من ساحة كوردو إلى جادة بينوس آيريس لاغتصاب جيلبيرتا، فإن الفيلم يُظهر لكم جيلبرتو، في سيارة رديئة، يجتاز بها كلّ المسافة، غير آبه بإشارات المرور الحمراء منها بالخصوص.

والأفلام الإباحية مليئة بأناس يصعدون إلى السيارة ويقودونها لكيلومترات، وبأزواج يقضون وقتاً مديداً في إتمام إجراءات الاستقبال في الفنادق، وبرجال يمضون أوقاتاً لا تنتهي في المصعد قبل بلوغ غرفتهم، وبفتيات يتذوقن مشروبات روحية عديدة ومتنوعة ويَتَلهّين بنويزيت Nuisette وينتهين بالأعتراف بأنهن يفضّلنَ سافو Sapho على دون جوان. وباختصار، للحديث بكلمات بسيطة وفجّة، قبل مشاهدة قبلة حارّة، يجب تحمّل عناء مشاهدة إعلان طويل لوزارة النقل.

والدوافع إلى ذلك واضحة. فإنّ فيلماً سيغتصب فيه جيلبرتو جيلبيرتا، بلا انقطاع، من الأمام، ومن الخلف، وعلى الجنب، سيكون غير قابل للتحمّل جسدياً للممثلين، واقتصادياً للمنتج، ونفسياً للمشاهد: وحتى يقع الاغتصاب، ينبغي أن يرتسم على خلفية طبيعية، ولا يخفى على أيّ فنان كم هو أمرٌ صعب تمثيل الحالة الطبيعية – في حين أنّه ما أهين تمثيل الانحراف أو الجريمة أو الاغتصاب أو التعذيب وما أيسره.

كذلك ينبغي أن يمثّل الفيلم الإباحي الحالة الطبيعية – الجوهرية للانتهاك – بتوافق مع الطريقة التي يدركها المشاهد العادي. ولذا إذا كان على جيلبرتو أن يستقل الحافلة ويذهب من A إلى B، فسنرى

جيلبرتو وهو يستقل الحافلة، وتذهب الحافلة من A إلى B. هذا يثير سخط البعض، وهم أولئك الذين لا يرغبون إلاّ في حضور المشاهد التي لا يمكن تسميتها. ولكن هذه فكرة وهمية: سوف لن يحتملوا لساعة ونصف الساعة هذا النمط من المشاهد. ومن هنا تنبع الضرورة القصوى للأزمنة الميتة. سألخّص لكم الموضوع: ادخلوا إلى صالة سينما: إذا ما قضى أبطال الفيلم، للذهاب من A إلى B، وقتاً أكثر مما كنتم تتمنون، فالفيلم، إذاً، إباحي.

(1989)

البدايات والنهايات

في حياتي ثمّة مأساةٌ عشتها عندما كنت طالباً أُتمم دراساتي العليا في القسم الداخلي في المجمع الجامعي لتورن الذي كنت قد تلقيت منه منحة دراسية، وتختزن ذاكرتي، من تلك الفترة، فيضاً من الذكريات المفعمة بالامتنان والعرفان بالجميل، مثلما تثير الاشمئزاز الشديد من سمك التُنّة. فما كان مطعم الطلاب ليفتح أبوابه إلاّ لساعة ونصف الساعة فقط، يقدّم لنا في النصف الساعة الأولى الوجبة اليومية الساخنة، لا نحظى، بعدها، سوى بسمك التُنّة الذي عافته نفسي. ولما كنت أصل متأخراً باستمرار فيفوتني وقت الوجبة، أكون، وباستثناء أشهر الصيف وأيام الآحاد، قد حُشيت بـ 1920 وجبة من التُنة، خلال السنوات الأربع تلك التي أمضيتها هناك. ولكن ليس ذلك هو مكمن مأساتي. كنا مفلسين ولكننا كنا مولعين بالسينما والموسيقى والمسرح. وكنا قد وجدنا، بخصوص مسرح كارينيانو، حلاً مدهشاً. كنا نصل قبل عشر دقائق من البداية ونقترب من السيد- لم يعد يحضرني اسمه ـ المهم، أنه كان رئيس فرقة المصفقين المأجورين،

فنشدّ على يده وندسُّ فيها مائة ليرة، وكان يدعنا ندخل إلى قاعة المسرح. كنا مصفقين ندفع لقاء تصفيقنا ولا نقبض عليه. المؤسف في الأمر هو أن المجمَع كان يغلق أبوابه في تمام الساعة الثانية عشرة ليلاً، وإذا ما تخلّفنا عنه إلى ما بعد تلك الساعة، كان علينا النوم في الخارج، فلم يكن هناك لا تفقّد ولا حضور إلزامي، وكان بإمكان الطالب لو شاء ألاّ تطأ قدماه أرض الكُليّة لشهر كامل. ولذا كان يتعيّن علينا أن نغادر المسرح في الثانية عشرة إلاّ عشر دقائق ونسرع الخطى نحو مآوينا لاهثين زافرين، في حين ما كانت المسرحية لتنتهي في الثانية عشرة إلا عشر دقائق. وهكذا، شاهدت في غضون السنوات الأربع، كل روائع المسرح العائدة لكل العصور، ناقصة دقائقها العشر الأخيرة. لقد مضى عمري دون أن أعرف كيف كان أوديب يتخلّص من ورطته حيال الرؤيا المرعبة التي كانت تلاحقه، وما آل إليه مصير الشخصيات الست التي سعى إليها الكاتب، وما إذا كان أوزوالد آلفينغ قد شفي بفضل البنسيلين وما إذا كان هاملت قد اكتشف، أخيراً، بأن ذلك كان يستحق عناء الوجود. أجهل من تكون السيدة بونزا، وإذا ما تجرّع سقراط سمّ الشوكران، وإذا ما صَفع عُطيل إياغو قبل الذهاب في رحلة زواج ثانية، وإذا ما شُفي المريض الأسطوري، وإذا ما شرب الجميع نخب جيانيتاتشيو، وكيف قضى على ميلا كودروس. كنت أحسبني الفاني الوحيد المبتلي بهذا القدر من الجهل وعدم الدراية بخواتم المسرحيات، عندما اكتشفت مصادفة، وأنا أثرثر مع صديقي باولو فابري، بأنه، هو أيضاً، عانى، طيلة سنين، من الغم والكرب ذاته، ولكن بما يعاكس مأساتي. فأثناء اتمامه لدراساته، كان يعمل في مسرح جامعي لا أعرفه في المدينة، وكان يقف في الباب ليُمزّق بطاقات الداخلين إلى الصالة. ولأنّ العديد ممّن كانوا يرتادون ذلك المسرح، كانوا يصلون إليه متأخرين، ما كان ليدخل إلى المسرح إلا

في الفصل الثاني من العرض. فكان يرى لير يهيم على وجهه ضريراً رث الثياب، بين يديه جثة كورديليا، وكان يجهل ما كان قد أوصلها إلى تلك الحالة من البؤس والشقاء. كان يسمع ميلا وهي تصيح بأن الشعلة جميلة، فيقدح زناد المخ، محاولاً فهم لماذا تمرّر فتاة ذات أحاسيس في غاية السمو والإباء، فوق مشواة كاوية. أبداً لم يعرف لماذا كان هاملت يحقد على عمّه الذي كان يبدو شخصاً في غاية البسالة والإقدام. كان يرى سلوك عطيل، فيتساءل لماذا كانت زوجة بهذه الرقّة والظرف تعامل بإذلال لا بحميمية وتقدير. وبكلمة واحدة، بحنا بما يعتمل في صدرينا، فاكتشفنا بأن شيخوخة مدهشة تنتظرنا، إذ سنمضي سنوات ونحن نقتعد درج منزل ريفي أو مقعداً في حديقة عامة، يروي واحدنا البدايات والآخر النهايات، مطلقين صيحات الإنشداه عند كل اكتشاف.

«هذا ليس صحيحاً! وماذا قال؟

– أماه! امنحيني الشمس!»

– إذن، ذلك لأنه كان سيّئاً.

– صوابٌ ما تقول، ولكن ماذا كان به؟

قد أهمس بشيء ما في أذنه.

«يا إلهي، يا لها من أسرة، الآن فهمت...

– قصّ عليّ أوديب...

– ليس هناك شيء عظيم الشأن لأقوله – شنقت أمُّه نفسَها وهو فقأ عينيه.

– يا للمسكين، ولكن في نهاية المطاف الذنب ذنبه: كان قد أُخبر بجميع السُبل.

– هذا صواب، ولطالما أرهقني السؤال: لماذا لم يُدرك؟

– ضع نفسك في مكانه، حينما تفشّى الطاعون، كان هو ملكاً وسعيداً في زواجه.

– إذن، عندما تزوج أمه. أَلم. . . .

– آه كلاّ، وهذا هو الأجمل.

– عم صباحاً، سيجموند، لو قُص ذلك عليك، لما كنت لتصدقه.»

هل سنعوّض ما فاتنا؟ أم اننا سنفقد نضارة وحيوية من امتلك الحظ في أن يعيش الفن مثل الحياة التي ولجناها حينما سبق السيف العذل، وخرجنا منها دون أن نعرف ما آلت إليه مصائر الآخرين؟

(1988)

كيفية التحقق من ديانة برمجيات[1]

حربُ أديانٍ جديدة تُغيّر، خلسة، عالمنا المعاصر، وقد كنت على قناعة بحدوث ذلك منذ أمدٍ طويل، وما أن أذكر هذه الفكرة حتى يتبيّن لي أن هناك إجماعاً حولها. ولقد تنبهتم بالتأكيد إلى أن عالم اليوم منقسم على ذاته إلى عالمين: فمن جهة أنصار ماكنتوش Macintosh، ومن الجهة الأخرى أنصار بي سي PC مايكروسوفت- دوز Ms-Dos. حسناً!إني واثق أشد الثقة بأن الماكنتوش كاثوليكي والدوز بروستانتي، بل سأذهب إلى أبعد من هذا، لأقول إنّ ماكنتوش كاثوليكي معارض للإصلاح يوثّر في العلّة الشرعية "ratio studiorum" لليسوعيين. إنه مفعم بقيم حسن الضيافة والود والمسامحة، يشرح للمؤمن، خطوة بخطوة، الطريق الواجب اتباعها لبلوغ مملكة السماوات أو على الأقل اللحظة النهائية لطبع النص. إنها متعلقة بالتعليم المسيحي، وقد ذاب جوهر الرؤيا في عبارات واضحة وأيقونات فاخرة. للجميع الحق في الخلاص.

الدوز بروستانتي، بل إنه كالفيني صريح، يقضي بتأويل حرٍ

---

(1)ـ البرمجيات: Logiciel ، وهي مجموعة البرامج المرنة في الحاسب (سوفتوير) وقد سبق وأشرنا إلى ذلك. ـ المترجم ـ

للكتب المقدّسة ويطالب بقرارات موجعة، ويوجب تفسير النصوص القديمة تفسيراً دقيقاً، ويؤكد أن الخلاص ليس في متناول الجميع. إن إعمال النظام يستوجب جملة من الطقوس الشخصية التأويلية للبرمجيات: أن يعتزل المستخدم بنفسه بعيداً عن المجتمع الشاذ للبشوشين الفرحين فيغدو أسير وسواسه الباطني. ربّ قائلٍ سيردُّ عليّ بأن وصول ويندوز Windows قد قرّب عالم دوز من التسامح المعارض للإصلاح لماكنتوش. ليس هناك ما هو أصوب من ذلك. فالويندوز يشكّل افتراقاً عن النموذج الأنكليكاني وخروجاً على الاحتفالات الباذخة في قلب الكاتدرائيات، على أن تكون هناك، دوماً، إمكانية العودة إلى الدوز بغية تغيير الكثير من الأمور بالاستناد إلى قرارات غريبة: سيكون بمقدور النساء كما الرجال، في نهاية الأمر، الانضمام إلى الكهنوت[1].

طبعاً ليس لكاثوليكية وبروتستانتية النظامين أي صلة بالأوضاع الثقافية والدينية للمستخدمين، فقد اكتشفت حديثاً، بأن الشاعر المتزمّت والمعذب، العدو المعلَن والصريح لمجتمع الفرجة فرانكو فورتيني، هو نصير لماكنتوش. هذا يعنيُ أنه من المشروع التساؤل إذا كان استخدام أحد النظامين بدل الآخر، لفترات طويلة مديدة، لا يُحدث تغيرات داخلية عميقة في المستخدم. فهل حقّاً، يمكننا أن نرى، في آن واحد، نصيراً لدوز ويكون كاثوليكياً تقليدياً؟ فضلاً عن ذلك، أتكون سيلين قد كُتبت بواسطة «وورد» أو «وورد بيرفكت» أو «وردستار»؟ وأخيراً، أيكون ديكارت قد بُرمِجَ على آنّه باسكال؟

ولغة الآلة، من يقرّر مصيرنا سراً ولأية بيئة نحن منذورون؟ إذاً،

---

(1) طبعاً جعل ويندوز 95 ـ الأنكلو- كاثوليكي المتشدّد ـ هذه البانوراما اللاهوتية أكثر تعقيداً.

ذلك يعود للعهد القديم والتلمود والقبالية. وأيضاً ودائماً إلى اللوبي اليهودي.

(1994)

كيفية البحث عن الجنس على الأنترنت

لا يخفى عنكم أنّ المستخدم الحديث العهد بالأنترنت غالباً ما يبدأ التواصل عبر الشبكة على مواقع «بلاي بوي» و«بنتهاوس»، ثم، وبعد القيام بحركة أو إثنتين، والنقر على الزر لملئ الشاشة بصور العاريات من آخر «بلايمات»، يتوقف ليملي بصره منها، فذلك، علاوة على سعة الشاشة وشدّة وضوح الصورة ونقاوتها، أهين وأدعى للإقبال من شراء تلك المجلات الإباحية المعروضة في الأكشاك.

هذا إضافة إلى أنّه ثمّة من يأتيك دوماً ليروي لك بأنه قد التقط صوراً مدهشة تفوق الخيال، فتسعى إليها، مراراً وتكراراً، مسلوب الإرادة خاضعاً، وما ذلك إلاّ لتقيم البرهان على أنّك (متصفّح) نشيط.

في إحدى الليالي، وبعد أن أرهقني التجوال بين بيبلوغرافيات المجاز، وبرمجيات ابداع القصص العالية التّناص، و«نقد العقل المحض» مُتَرجماً، وهي ترجمة إنكليزية شائعة، اندفعت إلى طلب الجنس ساعياً إليه على ويب كراولر، فحدّد 2088 عنواناً ولم يقدّم لي منها سوى مائة، فالفوضى المنتشرة على الويب شديدة بحيث لا يمكن تبيُّن أنسب الخطط لتصفّحها.

كنت أقرأ عناوين مثيرة مشوّقة من نمط «حديقة المُتع» «صور للبالغين X-rated» «هوووممم، نساء عاريات!» «أجمل غانيات الجنس من نصف الكرة الأرضية الشمالي»، تعدني بكل ما توفر، إذا طلبته وسعيت إليه وفي هذه الحالة فقط.

وأنا أنقر على العناوين، انتهيت إلى الوقوع على موقع "Kramer's Korner-Erotica" الذي يمكنني من التواصل، عبره، مع "very hot links"، ومن ثم من جديد على «بلاي بوي» و«بنتهاوس» وكذلك على "Babes on the web" فتحت موقع "Top- models" حيث قدّم لي المدعو كرامر صوراً لنساء فائقات الأناقة في ملبسهنّ، مع معلومات عن أفضلهن في تصوره، ذهبت إلى صفحة سندي كراوفورد وحصلت على كل ما يتعلّق بها من معلومات، وما كادت تزيد عمّا كنت قد قرأت عنها في «شهادة مسيحية».

تملّكني الغيظ فجرّبت مع "very hot links"، الذي قادني ـ مجدّداً ـ إلى «بلاي بوي» و"western Canada's Gay and lesbian Magazine" (الذي أخبرني فجأة بأنّه لا يقدّم أيّة صورة) حسناً، لم يبق لي سوى "Babes on the web" فذهبت إليه واكتشفت عنوان ما يقارب الخمسين من "Babes" (وهي عبارة تعني من بين ما تعني «دمية» أو«فأرة») كل واحدة منها مرفقة بـ "Home page" الخاصّ بها، وأسماء جذّابة مثل شوك - انغ شينغ. لقد أدركت السر! هيا لنشاهد تلك الدمى الواعدة. نقرتُ، مصادفة، على عنوان جينيفر آمون، فظهرت لي صفحتها مع صورة «صورة رأسها فقط»، لا، لم تكن جنيفر بذيئة قبيحة، ولكنها لم تكن على أيّ شيءٍ خارق: فهي امرأة عادية، على ما كان يقول محلّل- مبرمِج في الشبكة الفائقة النقاء «أوبرلاين كوليج» ويعدّد لي كفاءاتها المهنية. أخبرتني، علاوة على ذلك، بأنّ قطّها السيامي كان قد مات في 15 آب الساعة 12,28 ظهراً، وأخيراً، طلبت إليّ أن أحيي، بالنيابة عنها، المدعو جو لانغ، إذا ما وصلت إلى صفحته عن طريق UD. أمّا الجنس، فلا شيء إطلاقاً!

فجينيفر هذه، إمّا كانت تقوم بدعاية لمهنتها وتروّجها، وإمّا أنها كانت تشعر بالوحدة وتحتاج إلى التواصل مع أحد.

ولكن أيّ لعبة كان ذلك اللعين كرامر يلعبها؟ عُدت إليه، ونقرت على سيرته، فاكتشفت أصيص الورد: إنّه في الثامنة والعشرين من العمر، ومتخرج من جامعة بوسطن، ويعمل في أحد بنوك جيرسي سيتي، ويعمل، في أوقات فراغه، مستشاراً فكرياً لـ "Web pages" التي كانت تحت أنظاري. ولجذب الزبون، يقدّم اتصالات على المواقع الجنسية، وصوراً في غاية الاحتشام لفتيات آيات في الحسن والجمال، ويحثكم على الالتقاء بـ «دميات» أو بـ «فراريج»، هي ليست (فئراناً) وإنّما نساء ذات أخلاق رفيعة ونزيهة كلّ النزاهة.

بعد أن تملّكني اليأس والضجر، استأنفت من جديد القائمة الأولية للعناوين المائة التي تفيض شهوة، واكتشفت خديعة جعلتني أقفز من كرسي: فقد أبلغني أحدهم ويدعى دان مولدينغ، بأنني إذا ما رغبت في نهود وأرداف وأجزاء أخرى من الجسد النسائي، وبإباحية مفرطة بغزارة، وكل ذلك مع صورة نقية واضحة سليمة تماماً على المونيتور، فقد لقيتُ سعادتي ومبتغاي. فواصلت البحث متلهّفاً، لأقع على رسالة تنعتني بالخنزير الهائج الذي عليه أن يخجل.

دان مولدينغ هذا كاتب أخلاقي صارم لـ يوتاه Uotah (ولاشكّ إنّه مورمونيّ)[1]، والذي بدأ، في نص مطوّل، بتعنيفي وذلك لأنّه، بنشر صور إباحية أو البحث عنها على الانترنت، أحجز الخطوط وأشغلها؛ ثم شرح لي بأنه لابدّ أن يكون المرء مريضاً حقاً وبلا أصدقاء- لا نتحدث عن الصديقات الصغيرات - حتى يبحث عن الجنس عبر الحاسب؛ وسألني فيما إذا كان لدي والدان أحبهما، قائلاً بأن جدتي كانت لتموت بنوبة قلبية لو أنّها عرفت بما أفعله. أخيراً ـ

---

(1) مورمونيّ: عضو في طائفة دينية امريكية أنشأها جوزيف سمث عام 1830 وأباحت تعدّد الزوجات في البدء. ـ المترجم ـ

وبعد أن نصحني بالذهاب لأعترف بذنوبي لدى كاهن أو قس أو حاخام ـ قدّم لي قائمة بمواقع على الشبكة، يمكنني عبرها الحصول على مساعدة أخلاقية، من بينها خدمة ad hoc، في سبيل خلاص كتّابٍ خلاعيّين من أمثالي. (http/www.stolaf.edu/people/bierlein/noxxx.html).

وختم بالقول: «اتصل بي (dmoulding@eng.utah.edu)، سأجعلك تقرأ كمّاً هائلاً من الرسائل المكتوبة من قبل مخفقين من أمثالك، أغبياء بما فيه الكفاية ليقعوا في شباكي.»

كانت الساعة تشير إلى الثالثة صباحاً، وكانت تلك العربدة الجنسية قد أوهنتني، فأويت إلى فراشي نائماً، أحلم بخراف وملائكة صغار ويقوارن وديعة[1].

(1995)

كيفية الاستعداد لانتصار التكنولوجيا الدقيقة

ستشهد الألفية الثالثة الانتصار الحاسم لتكنولوجيا الاتصالات الدقيقة، هذا ما يؤكده لنا كراب باكوورد في «غالاكسي دو بان» خاصّته. وبان، كما تعلمون، هو مخترع المزمار، أو، إذا ما أخذنا الأمور بشيءٍ من اللامبالاة والبرود، الصفّارة، وهي الآلة الموسيقية الأكثر بساطة وبدائية في العالم. دخلت الاتصالات الثقيلة في مرحلة من التّأزم مع أواخر السبعينات. فحتى ذلك الحين، كانت وسيلة الاتصال الرئيسة هي التلفاز الملوّن، وهو عبارة عن علبة ضخمة تشغل

---

(1) القارن: حيوان أسطوري بجسم حصان كان الأقدمون يفترضون له قرناً وسط الجبين. ـ المترجم ـ

حيّزاً واسعاً ويضيق بها صدر صالة الجلوس، ويبثُ في الظليل بوارق كئيبة وأصوات حادة نزقة تزعج الجوار، ويقسر مستخدمه على المكوث مبهوراً طيلة المدة (الخطيّة والقسرية) للبث، مأخوذاً بذلك الميل الفطري (من لا شيء "politically correct") الذي يحثّه على الرغبة والتشوّق إلى معرفة ما ستؤول إليه نهايات قصص، هي في الإجمال متعلّقة بالحياة الخاصّة للآخر (نساء، أقليات أثنية، مهمّشون، كائنات مختلفة، كائنات من خارج الأرض. .إلخ).

كانت الخطوة الأولى نحو الاتصالات الدقيقة هي اختراع تقنية التحكّم عن بعد «تيلوكوماند». فبفضلها، بتنا نستطيع أن نخفض الصوت، أو حتى نقطعه، ونلغي اللون، والأهمّ أن نغيّر القناة في كل لحظة نشاء . وبدأ مشاهدو التلفاز يفقدون الإحساس بالنظام التسلسلي للبرنامج، بتأثير سريعٍ من المخرجين الذين لم يعودوا يشعرون بأنهم مرغمون على إنتاج برامج ذات معنى شمولي. وهكذا أصبح البرنامج النموذجي هو الجدل السياسي، وهو عبارة عن سلسلة متوالية (أو تراكب) من خطابات مقتَضَبة مجرّدة من أيّ معنى، والذي لا يُشعر المشارك في مداخلاته بأنّه مرغمٌ على أن يأخذ في الحسبان ما سيقوله، أو ما كان قد قاله محاوره. وإذ يتنقّل المشاهد بين محطة وأخرى، وبين العشرات من الجدالات، أمام شاشة بالأبيض والأسود، وصوت خفيضٍ هادئ، فإنّه يدخل في حالة من الحرية المحفّزة على الخلق والإبداع.

بالإضافة إلى ذلك، كان التلفاز، في السابق، حينما ينقل حدثاً بشكل مباشر، يجعلنا متلهّفين ومتعلقين حتى بخطوطية الحدث. وكنا قد تحررنا من النقل المباشر بوصول تقنية التسجيل على الشرائط الممغنطة «ماغنيتوسكوب»، وبفضل تلك التقنية حدث التطور من التلفاز إلى السينما العارضة للأفلام المسجّلة. بل وأكثر من هذا، فقد

تخلّص المشاهد، وقد أصبح منذ ذلك الحين، قادراً على إدخال الأسطوانة بشكل مقلوب، لقد تخلّص نهائياً من العلاقة السلبية والقسرية مع القصة المرورية.

ويلاحظ باكواردز بأن مُشاهد التلفاز، في هذه المرحلة، وبغية استخدام هاتفه النقال في الوقت ذاته، شرع يقطع الصوت، مستعيضاً عنه، لتوضيح سلسلة الصور المرتجّة، بأشرطة صوتية للبيانو الآلي الذي يُعزف عليه مؤلّفٌ ما. أما المرسلون، وبحجة مساعدة ضعيفي السمع، فقد اعتادوا على إدراج إشارات مشهدية تُعلّق على الحدث المنقول. فعندما يتعانق شخصان، صامتين، نقرأ تدويناً على لوحة كرتونية «أُحبّك». وقد بلغ التلفاز مستواه الخاص من الدقة، يومَ نجح أحد المشاهدين، وهو يستعرض مختلف البرامج، في مشاهدة (بصمت، وبالأبيض والأسود) سقّاءٍ مرتوي، وقطار داخلٍ إلى محطّة «لاسيوتات».

وتمثّلت المرحلة التالية من نجاح التقنية الدقيقة في إلغاء الحركة، وقد بدأت العملية من على الأنترنت، حيث لم يكن بإمكان المستخدم، مع اقتصاد عصبيٍّ، أن يستقبل سوى صوَر جامدة، ردئية فيْ درجة وضوحها، غالباً ما تكون أحادية اللون دون الحاجة إلى أدنى صوت، ما دامت المعلومات تظهر مكتوبة على الشّاشة بأحرفٍ أبجدية.

ثمة عنصر آخر للدقّة الخاصّة بالأنترنت، وهو أنّ المتصفّح الذي لا ينجح في التواصل مع الموقع المطلوب، غالباً ما يُستدرج إلى القفز من موقع إلى آخر و التنقّل بينها في عملية حرّة إلى ما لا نهاية، بحيث لا يتذكّر أحدٌ ما كان يبحث عنه في بداية محاولته، وبالتالي يجد نفسه متحرّراً من كل تحديد بما في ذلك الأكثر بعداً. فيصبح الاتصال لمجرّد الرغبة في الاتصال، وليس لغايات أيديولوجية أو لتحقيق منافع تعود للمستخدم.

ومع ذلك، كان جليّاً بأن لاستخدام تكنولوجيا دقيقة لابدّ من المرور بمرحلة الاستبعاد الجذري للصورة. فتمّ اختراع تلفازٍ بدون صورٍ، وهو عبارة عن علبة أصغر حجماً وأقلّ إشغالاً للمكان، كانت تبثُّ أصواتاً، ولا تحتاج إلى تقنية التحكّم عن بعدٍ، طالما يمكننا إجراء عملية التنقل بين المحطّات مباشرة من الجهاز، بإدارة المفتاح المناسب "ad hoc". وكانت المرحلة الختامية تتضمن تبسيط أقنية النقل الملقَّن في العقد الأخير من القرن.

إلى ذلك الحين، كانت البرامج تبثُّ عبر الأثير، مع ما ينجم عن ذلك من اختلالات طبيعية في عملها. وقد ولِد الـ«باي بِر فيو» و«الأنترنيت» في العصر الحديث للنقل عبر السلك الهاتفي. ولا يخفى عن أيٍّ منّا بأنّ مخترع هذا «الإبراق السلكي» قد نال جائزة ماركوني.

(1996)

كيفية رمي البرقيات في السلّة

في الماضي، حينما كان المرء يتلقّى بريده في الصباح، كان يفضُّ ما هو مختوم من رسائله، ويلقي بما سواه في سلّة المهملات. اليوم، يلجأ أولئك الذين كانوا يستخدمون المغلفات المفتوحة، إلى ختمها، ولا يكتفون بذلك، وإنّما أيضاً يرسلونها بالبريد العاجل. فتبادر ملهوفاً إلى فتح الظرف، لتجد فيه دعوة لا أهمية لها ولا فائدة منها. فضلاً عن أنّ المغلفات الأكثر تكلفاً تختم بطريقة محكمة تستعصي على قطاعة الورق، ونهشات الأسنان، وطعنات السكين. فقد استبدل غراؤُها بمادة اسمنتية سريعة الإمساك والتصلّب، كتلك الحشوات التي يستخدمها طبيب الأسنان. ولحسن الطالع، لا يزال من الممكن الإفلات من البضائع الترويجية التي تسعى إلى تنمية المبيعات، لأنها تُظهِر لون

غلافها الخارجي مدوّناً عليه كلمة «مجاني» مكتوبة بأحرف ذهبية. وقد أُخْبِرْتُ، منذ أمد غير بعيد، بأنّه، لو قُدِّم ليّ شيءٌ ما مجاناً، فعليّ أن اسارع، في الحال، إلى استدعاء رجال الشرطة.

ولكن الأمور لن تعود إلى حالتها الطبيعية، ففي الماضي، كانت البرقيات تُفضُّ بحرص واهتمام، بل وباضطراب وعصبية: إذ كانت تُنبئ إمّا بخبر سيءٍ، وإمّا بالوفاة المفاجئة لعمٍّك المقيم في أمريكا. اليوم، كل من لديه أمرٌ تفهٌ لا يجدر الإهتمام به، ويبتغي إيصاله إليك وتبليغك به، يرسل إليك برقية.

والبرقيات التي تأتيك تكون على نماذج ثلاثة: برقية آمرة: «ندعوكم لمؤتمر هام يعقَد بعد غدٍ حول زراعة البطاطا في باس لورين قف بحضور وكيل وزارة الحياة والغابات حوِّل، الرجاء إبلاغنا، عاجلاً، عبر تيليكس، بساعة الوصول» (تتبعها قائمة بالأحرف الأولى من الكلمات، وبالأرقام التي تُملئ صفحتين مزدوجتين، طبعاً، ولحسن الحظ، اختفى من عليها امضاء المُرسل المزعوم). وأخرى تلميحية: «مثلما هو متّفق عليه سابقاً، نؤكّد مشاركتكم في مؤتمر إنقاذ حيوانات كوالا الكسيحة حوِّل، الرجاء الاتصال بنا عاجلاً، عبر تيليفاكس.» طبعاً الاتفاقات السابقة مزعومة لا وجود لها، أو بالأحرى أن تلك الاتفاقات تصل متأخرة بعد ذلك عبر رسالة عاديّة وعندما تصل هذه الرسالة يكون مضمونها باطلاً وملغى. فتُرمى في سلة المهملات بدورها. وثالثة ملْغزة: «تغيّر موعد الطاولة المستديرة حول المعلوماتية والتماسيح لدوافع معروفة حوِّل، الرجاء تثبيت الالتزام بموعد جديد حوِّل» أيُّ موعد؟ وأيُّ إلتزام؟ إلى السلّة.

اليوم، استبدِلَتْ البرقية بالـ «أوڤرنايت اكسبريس» Overnight express. إرسالها يكلّف ثمناً باهظاً، ولا يمكن فتحها إلاّ بمقصات مسنّنة، ومغلفها مصمّم بطريقة بحيث لا يظهر لك محتواه حتى وإن

كان مفتوحاً، لأنه عليك أيضاً تجاوز سور من الشرائط اللاصقة. وتُرسل بغرض التّفاخر ليس إلاّ (على صورة حفلات التلف الطّقسي المتقنة من قبل موس) في ثناياها العميقة، بطاقةُ زيارة تحمل «تحية» خطت بخربشة (ومع ذلك تضيع ساعات في البحث عنها، لأن لمغلّفها هيئة كيس قمامة عميقٍ، وليس للجميع أيادٍ طويلة كيديّ مستر هايد). وغالباً ما تأخذ صفة ابتزازية، عبر قسيمة جواب، يضمّنها المرسل: «لكي أخبرك بما لديّ، صرفت مبلغاً فلكياً، وسرعة الإرسال تبيّن لك ما أنا عليه من تلهّف ونفاذ صبر، وبما أن الجواب مدفوع الثمن، فإن لم ترد عليّ فما أنت سوى نذل لئيم.» إن عجرفة بهذا القدر لتستحق قصاصاً عادلاً. فمن الآن وصاعداً، أفتح من رسائل «أوڤرنايت» الواردة إليّ، تلك التي وافقت صراحةً، عبر الهاتف، على تلقّيها. أمّا سواها، فأسقطها في السلّة. ولكن، حتى والأمر هكذا، فإنها تكون مصدر همٍّ وغمٍّ لي، فهي تُزحم سلة أوراقي ويضيق بها المكان. إني أحلم بالحمام الزّاجل.

غالباً ما تعلن البرقيات ورسائل الأوڤرنايت عن جوائز وتبشّر بها، والمعارف والجوائز هي ما يحلم كلُّ امرءٍ بأن ينالها في هذه الدنيا (جائزة نوبل، جائزة الجزّة الذهبية، ووسام ربطة الساق[1]، وجائزة يانصيب رأس السنة) وآخرون لا يرغبون إلاّ في النجاح. فكلّ من يريد ترويج نوعٍ جديد من دهان الأحذية، أو واق ذكريٍّ طويل الأجل، أو مياهٍ معدنيةٍ، ينظّم جائزة خاصّة بما يروّجه.

ولا يخفى عنكم، بأنه ليس هناك ما هو أهين وأيسر من العثور على المحلّفين. أمّا العثور على المتفوقين فهو أمر مختلف جداً. وَلَهان الأمّ لو أنّه كان يتعلّق بمكافأة شبّانٍ مبتدئين يتلمّسون طريق حياتهم.

---

(1) وسام انكليزي رفيع. ـ المترجم ـ

ولكن المؤسف هو لو أن الحالة كتلك، لما نقل التلفاز والصحافة الحدث. إذاً لابدَّ للمتفوّق أن يكون، على الأقلّ، كلود سيمون. ولكن لو أنّ كلود سيمون[1] راح يتلقّى كلّ الجوائز التي مُنحتْ إيّاه تلقائياً، فوداعاً للكتابة.

إذاً، فعلى البرقية المبشّرة بالجائزة أن تكون ذات لهجة حاسمة، وأن تترك المجال لاستشفاف عواقب خطيرة في حالة الرفض: «يسعدنا إبلاغكم بأنّه، هذا المساء وفي غضون نصف ساعة، ستُمنحون جائزة العملاق الذهبي، وبأنّه لا غنى عن مشاركتكم بغية الإستفادة من التصويت الإجماعي والنزيه لهيئة المحلفين، وإلا سنضطّر، متحسّرين، أن نختار مُجازاً آخر بدلاً عنكم.» وتفترض البرقية أن المُرسَل إليه سيقفز من مقعده صائحاً: «لا، لا، أنا! أنا! أنا!»

كدتُ أنسى، هناك أيضاً البطاقات البريدية التي تصلك من كوالالامبور، موقعة باسم «جان»، من هو جان هذا؟

(1988)

كيفية عدم استخدام الهاتف المحمول

لا شيء أسهل من التهكّم على مستخدمي الهاتف المحمول. ومع ذلك، ينبغي معرفة إلى أيّ فئة من الفئات الخمس ينتمون. ففي المقام الأول، يأتي المُعاقون الذين ترغمهم حالتهم الحرجة على البقاء على اتصال دائم مع طبيب أو مع الإسعاف، وطوبى للتكنولوجيا التي وهبتهم وسيلة الإنقاذ هذه. ثم لدينا أولئك الذين ترغمهم الأعباء المهنية الثقيلة على اللجوء إليه لأدنى طارئ (رؤساء فرق الإطفائيين،

---

(1) كلود سيمون: كاتب فرنسي نال جائزة نوبل 1985. -المترجم-

أطباء الريف، زارعو الأعضاء وهم ينتظرون جثّة طازجة). بالنسبة لهولاء يشكّل الهاتف المحمول ضرورة تجلب لهم المشقّة لا السعادة والهناء.

الفئة الثالثة تشتمل على الأزواج غير الشرعيين، فهو بالنسبة لهم «حدث» تاريخي: إذ بات، أخيراً، بإمكانهم تلقّي نداءٍ من شريكهم السري، دون أن تعترض العائلة أو السكرتيرة أو الزملاء ذوو النية السيئة سبيل الاتصال. يكفي أن يعرفا لوحدهما الرقم، هي وهو (أو هو وهو، أو هي وهي، تخوننني القدرة على تذكّر التركيبات المحتملة الأخرى). الفئات الثلاث المذكورة أعلاه تستحق منّا كل الاحترام والتقدير: فبالنسبة للفئتين الأوليين، نقرُّ بأنّهما تلاقيان الإزعاج وهما في المطعم أو السينما أو تشييع جنازة؛ أما الزُناة فهم، في العموم، كتومون جداً[1].

تليهم فئتان أخريان مجازفتان. فأولاً، هناك أولئك الذين لا يبدأون السفر قبل أن يتمكّنوا من تبادل الترّهات مع من سيتركونهم وراءهم من الأهل أو الأصدقاء، ومن الصعوبة بمكان إدانتهم: فما لم يعرفوا الخلاص من هذا القسر في سبيل الاستمتاع بلحظات عزلتهم، وما لم يبلغوا الاهتمام بما أنجزوه في تلك اللحظة، وإذا كانوا عاجزين عن تذوّق طعم الفراق من بعد الوصال، وإذا ما أرادوا إظهار خوائهم، بل والتلويح به مثلما يُلوّح براية، فإن ذلك كلّه من اختصاص عالم نفسٍ. فهم يزعجوننا، ولكن ينبغي أن ندرك عقمهم الداخلي المرعب- ونحمد السماء ونشكرها على كوننا مختلفين عنهم، ونصفح عنهم (دون القبول بالسعادة الشيطانية الناجمة عن عدم مماثلتهم، فقد يكون

---

(1) أرى لزاماً عليّ أن أرفع، من فئة المستخدمين المأذون لهم، الأزواج الزناة. ففي الواقع يكفي اليوم أن يشتري زوج أو زوجة هاتفاً محمولاً للإشارة، من تلقاء أنفسهم، إلى أنهم شرعوا في علاقة خارجة عن الإطار الزوجي.

في ذلك عجرفة وانعدام رحمة). فلنعترف بهم كأقرباء لنا يعانون العذاب والآلام، ونرهف السمع ونحسن الإصغاء إليهم.

نجد في الفئة الأخيرة - إلى جانب مقتني الهواتف المحمولة المزيفة، في أسفل السلّم الاجتماعي - أولئك الذين يريدون التبجّح والتظاهر بأن هناك، باستمرار، من يسعى إليهم ويطلب منهم النصح والمشورة في أمور ملحّة فائقة التعقيد: فالمكالمات التي يفرضونها علينا في القطارات أو المطارات أو المطاعم تتعلّق بصفقات مالية حسّاسة، وبشحنات قضبان حديدية لم تصل أبداً، وبتنزيلاتٍ على كمية كبيرة من ربطات العنق، وبأمور أخرى كثيرة، تجعل المتّصل يعتقد بأنّه في مصاف «روكفيلر».

والحال هذه، يكون تقسيم الطبقات آلية بغيضة: إذ سينال مُحدث النعمة أموالاً طائلة، وستجعله مخلّفاتٌ بروليتارية ورثها من ماضيه، يجهل استعمال الأدوات التي تستخدَم على مائدة سمك، ويعلّق حلق نظّارة بمؤخرة سيارته الفيراري، وأيقونة القديس كريستوف بلوحة قيادة طائرته النفاثة الخاصة، ويقول بأنه ذاهب «إلى المزيّن»؛ كما أنه لم يُستقبَل قط من قبل دوقة غيرمانت (ويجتر التساؤل عمّا يحوْل دون حصول ذلك، طاما أنه يملك باخرة طويلة مثل جسر).

هؤلاء يجهلون أن روكفلر لا يحتاج بتاتاً إلى هاتف نقّال، إذ لديه سكرتارية ضخمة، فعّالة جداً لدرجة أنّ سائقه يعاني اللأي والمشقّة إذا ما أراد أن يهمس بكلمتين في أذنه، يبلغه أنّ جده يشارف على الموت. فرجل السلطة ليس مرغماً على الرد على مكالمة هاتفية. أجل. فهو ليس هنا من أجل أيّ شخص. حتى وإن كان في أدنى درجات السلم الإدراي، فإن رَمْزي النجاح هما مفتاح المغاسل الخاصّة، وسكرتيرة تردّ: «السيد المدير في اجتماع».

وهكذا، فمن يعرض هاتفه النقال على أنّه رمز للسلطة، فهو،

على العكس من ذلك، يكشف أمام الملأ حالته المقنطة واليائسة كمرؤوس معاون، مُرغَم على أن يكون على استعداد لأبسط نداء من معاون المدير المنتدب، حتى عندما يكون النداء عفوياً، محكوماً، لكسب معاشه، بأن يجري، ليلٍ نهار، وراء مَدينيه، يعاني الإرهاق من جراء عمله المصرفي بسبب صكٍّ بلا رصيد، يوم مناولة ابنته.

إذاً، فمن يتباهى بهاتف كهذا، يُظهر بأنّه يجهل كلّ تلك الأمور، ويقرُّ بهامشيته الاجتماعية المحتومة.

(1991)

كيفية عدم استخدام الفاكس

حقاً إنّ الفاكس إختراع ينمّ عن عبقرية فذّة. وللذين لايزالون يجهلونه، نقول بأنّه جهاز تُدخل إليه رسالة، ويُوضَع رقم هاتف من ينتظرها على الطرف الآخر، وما هي إلاّ ثوانٍ قليلة ويتلقاها هذا الأخير. كما يمكن، عبره، إرسال رسومات أو مخططات أو صور أو صفحات حسابية لا يمكن إملاؤها عبر الهاتف.

وإذا كانت الوثيقة مرسلة إلى استراليا، فإن أجرة نقلها تساوي أجرة مكالمة قارية تستغرق نفس مدّة إرسال الوثيقة. والشيء نفسه بالنسبة لإرسال من ميلانو إلى فاريس، أي بالتعرفة المعتمدة لمكالمات ما بين المدن.

فعلى سبيل المثال، تكلّف مكالمة هاتفية إلى باريس، مساءً، حوالي ألف ليرة. وفي بلدٍ مثل إيطاليا حيث لا تعمل، تحديداً، دائرة البريد، يحلّ الفاكس كلَّ المشاكل. ونجد فاكسات للاستخدام الخاص بأسعار مضبوطة ودقيقة، لنقل من خمسة إلى عشرة آلاف فرنك. وهذا

مبلغ ضخم إذا ما بُذِل في سبيل نزوة، وهو زهيد، إذا ما كان لديك نشاط يرغمك على التواصل مع مراسلين من كل الجهات.

والمؤسف أن تخضع التكنولوجيا لقانون صارم: فما أن يصبح اختراع ثوري في متناول أكبر عدد ممكن، حتى يكفّ عن أن يكون في المتناول والخدمة. والتكنولوجيا ديمقراطية، في جوهرها، لأنّها تقدّم للجميع الخدمات ذاتها. ومع ذلك فهي لا تعمل ما لم يكن الأغنياء وحدهم من يستخدمها. وعندما ينخرط الفقراء بدورهم فيها، تتعطّل فجأةً وتعصى على العمل. كان القطار يستغرق في رحلته بين النقطة (أ) والنقطة (ب) زمناً مقداره ساعتان. فظهرت السيارة وقطعت المسافة ذاتها في ساعةٍ واحدة، ولكن بسعرٍ مرتفع جداً. ثمّ ، وقد بات سعرها معقولاً، أخذت الجماهير تستخدم الطرق فزحمتها، فعاد القطار أسرع بلوغاً لهدفه.

تخيّلوا مدى الحمق والعبث في حثّ الناس، في عصر السيارة، على استخدام وسائل النقل العامة.

ولكن الحقيقة هي أنّنا لو استقلّ المرء الميترو أو الحافلة، مع التسليم بأنّه ليس من ذوي الامتيازات والنفوذ، فإنّه سيبلغ وجهته قبل من يحظى بالنفوذ والامتياز. لقد مضت عقود عديدة قبل أن تصبح السيارة في متناول الجميع وتشكّل أزمة حرجة، بينما وصل الفاكس الأكثر ديمقراطية من السيارة- فهو لا يكلّف ما تكلّفه سيارة - إلى حالة من الشيوع والانتشار في غضون أقل من عام واحد.

ومن حينها، بات من الأولى بالمرء أن يرسل رسائله بالبريد. في الماضي، لو أنّك كنت تقيم في ريميني ولديك ولدٌ يقيم في سيدني، لكتبت إليه مرة واحدة في الشهر، وهاتفته مرة واحدة في الأسبوع. الآن، وبفضل الفاكس، يمكنك أن ترسل له، في الحال، كامل أوّل صورة لآخر وليد رُزِقت به العائلة . ولكن ما السبيل إلى مقاومة

التجربة؟ يزيد الأمر تعقيداً أن كوكبنا مأهول ببشرٍ يتزايد عددهم أكثر فأكثر، ويريدون إطلاعنا على أمور نغفل عنها ونهملها مثل: كيف تستثمر بشكل أفضل، كيف تصنع سعادتك بإرسال حوالةّ إليهم، كيف تشتري مطبخاً مجهّزاً تمام التجهيز، كيف تبتهج بالمشاركة في دورة تأهيلية خاصّة بمهنيّتك. وما أن يعلموا بأنّ لديك فاكس - وللأسف، فإن الدليل السنوي يساعدهم في ذلك - حتى يتزاحم جميع أولئك الناس، لينهالوا عليك، لقاء أجر زهيد، برسائل لا حاجة لك بها ولا ترغب في تلقّيها.

وفي المحصّلة، ستجد جهازك، في الصباح، وقد غمرته الفاكسات المتراكمة طيلة الليل. وبطبيعة الحال، سترميها فوراً، دون أن تطالعها. ولكن إذا ما كان أحد أقاربك يسعى لأن يخبرك، في تلك الأثناء، بأنّك قد ورثت عشرة مليارات من عمّك الأمريكي، شريطة أن تَمثُل، قبل الساعة الثامنة، أمام كاتب العدل، لوجد خطّك مشغولاً، ولتعذّر عليه نقل الخبر إليك. وإذا ما أُريدَ الاتّصال بك، فينبغي أن يتمّ ذلك عن طريق البريد. فقد بات الفاكس في وضع أصبح، معه، قناة للرسائل التي لا نفع منها ولا جدوى. تماماً مثلما هو الحال، الآن، مع السيارة التي أصبحت وقفاً على التنقلات البطئية لأولئك الذين يفيض عنهم الوقت، ليبذلوه، ساخرين من مكوثهم متكتّلين، لساعات كاملة، في ازدحامات لا مفرّ منها، وهم يستمعون إلى موزارت أو تينو روسّي.

وفي النهاية، أدخل الفاكس عنصراً جديداً في ديناميكية الإزعاج. فحتى الآن، لو أن مزعجاً ثقيل الظلّ شاء أن يزعجك، كان هو من يدفع نفقات (الاتصال الهاتفي والطابع وأجرة السيارة ليأتيك ويدقّ بابك) اليوم، أنت تُسهم في نفقات إزعاجه لك، لأنّك، أنت، مَنْ يدفع قيمة ورق الفاكس.

ولكن كيف نردّ على هذه المشكلة؟ لقد سبق وأن فكّرت بطبع

ورقة تحمل العنوان التالي: «كل فاكس لم أطلبه، سيرمى، نهائياً، في السلّة.» لكنّ ذلك، ولسوء الحظّ، لا يفِ بالغرض. كما أنّ هناك نصيحة حسنة، ألا وهي أن تُفصلوا فاكسكم. وإذا ما كان لدى أحدهم وثيقة ينبغي إرسالها إليك، يتّصل بك ليطلب منك تشغيل جهازك. ولكن في ذلك مجازفة بأن تُزحَم خطوطك الهاتفية. سيكون من الأولى بمرسلِ فاكسٍ أن يبلغك به برسالة. وتردّ عليه: «أرسل فاكسك يوم الاثنين في تمام الساعة الخامسة وخمس دقائق وسبع وعشرين ثانية، بتوقيت غرينتش. سأوصل جهازي لأربع دقائق وست وثلاثين ثانية فقط.»

(1989)

كيفية عدم معرفة التوقيت

ما قرأت مواصفاته، هو ساعة جيب (باتيك فيليب كاليبر 89) بعلبة مزدوجة مصنوعة من ذهب عيار 18 قيراط، وتقوم بـ 33 وظيفة. وقد أغفلت المجلة التي عرضتها ذكر سعرها، ربّما لانعدام مكان يكْتَب فيه (قد يكفي أن يعطى السعر بملايين الدولارات بدلاً من الليرات). ونظراً لما أعانيه من حرمان شديد، سأبتاع ساعة كاسيو جديدة بثلاثمائة ليرة، على غرار أولئك الذين، إذ تجتاحهم رغبة جنونية جامحة في سيارة فيراري، يهرعون لابتياع منبّه إشعاعي ليهدّئوا من روعهم. وفي كل حال، لكي أحمل ساعة جيبٍ، لابدّ لي أن أقتني صُدْرَة تناسبها. هذا يعني أنّه سيكون بإمكاني وضعها على طاولتي الليلية، وقد يستغرق مني الوقت ساعات كاملة لمعرفة اليوم والشهر والسنة والعَقْد والقرن والسنوات الكبيسة ودقائق وثواني التوقيت الصيفي ودقائق وثواني منطقة زمنية أخرى أختارها برغبتي ودرجة الحرارة والساعة الفلكية الأوجه

القمرية وتوقيت الفجر وتوقيت الغسق ومعادلة الزمن وموضع الشمس في فَلَك البروج، دون الأخذ بالحسبان بأنني سأتمكّن، والرجفة تسري في كامل جسدي، من التمتّع باللامتناهي بفضل التمثيل الكامل والمتحرّك للقبّة الكوكبية، ومن ثم أوقف كل شيء وأعيد إلى الصفر عدّادات الميقَت ومُعيّن التاريخ، وأخلد، لوقت وجيزٍ، إلى الراحة بمساعدة المنبّه المدمج بها. كنت سأنسى: فثمّة عقرب خاص سيبيّن لي حجم طاقة البطاريات. وكنت سأنسى أيضاً بأنّه يمكنني، لو شئتُ، أن أقرأ التوقيت. ولكن لِمَ أرغب في ذلك؟

لو كنت أمتلك تلك الأعجوبة الصغيرة، لربّما سخرتُ من معرفة أن الساعة هي العاشرة وعشر دقائق، وراقبت بزوغ الشمس وغروبها (ولفعلت ذلك حتى في حجرة مظلمة) ولعرفت درجة حرارة الجو المحيط بي، ولوضعت تنجيمات؛ فبفضل الميناء الأزرق، قد أحلم نهاراً بالنجوم المتلألئة ليلاً، وأتفكّر، ليلاً، بعدد الأيام التي تفصلنا عن عيد الفصح. قد تتيح ساعة كهذه بألا نأخذ أبداً بالحسبان الوقت الخارجي. وقد يكفي أن نعود إليها ونستهدي بها طيلة حياتنا المديدة، وقد يتحوّل الزمن الذي ترويه، بالانتقال من صورة جامدة للخلود إلى خلود فعلي، حيث لن يكون الزمن سوى هلوسة خرافية تنتجها هذه المرآة السحرية.

لا أخبركم بكلّ ما أسلفت، إلاّ لأننا، منذ بضعة أشهر، نشهد ازدهار مجلات تختصّ حصرياً بعرض تشكيلة من الساعات، مطبوعة بأربعة ألوانٍ، وعلى ورقٍ صقيلٍ، تُباع بثمنٍ باهظٍ، وأتساءل عمّا إذا كان القراء يتصفّحونها مثلما تُقرَأ أسطورة، أم أنها تتوجه إلى جمهور من المتلّهفين إلى شرائها، وهذا ما كنت قد اعتقدت به. قد يعني هذا أنه، كلّما أصبحت معجزة القرن هذه، التي هي الساعة الآلية، بالية وغير مفيدة واستعيض عنها بساعات إلكترونية يساوي ثمنها أربع

فلسات، أحسَّ الناس بالرغبة في إبراز آلات لعب الأطفال المدهشة تلك، والتأمّل فيها، وادّخارها كاستثمار مربحٍ، واعتبارها آلات لضبط الزمن خالية من العيوب.

لنتفاهم جيداً، لم تُبتكر هذه الدُرر التكنولوجية لتعطيكم التوقيت، فكثرة وظائفها الموزّعة بأناقة على مجموع العدّادات المتناظرة، هي لدرجة أنه، لمعرفة أنّ الساعة هي الثالثة وعشرين دقيقة، من يوم الجمعة الموافق لـ 24 أيار، يتعيّن عليك أن تتّبع، بدقّة وانتباه، حركة عقاربٍ لا تُعدُّ ولا تحصى، وأن تدوّن، أولاً بأول، النتائج التي تتحصّلها على مفكرة.

يُضاف إلى هذا، أن أخصائيي الإلكترونيات اليابانيين، وبدافع من الحسد والخجل من شيخوخة عقلهم العملي، يوعدوننا اليوم، بموانٍ ساعات مجهرية، تشير إلى الضغط البارومتري، والارتفاع والعمق البحريين، ومقياس وقت، وكونتداون "countdown"، وميزان حرارة. وهذا بالإضافة بطبيعة الحال، إلى بنكٍ للمعلومات، وجملة المناطق الزمنية، وثمانية منبّهات، وحاسب محوّل للشعارات، وناقوس إنذارٍ. لساعات كهذه نفس الخطر الذي لصناعتنا الحالية للمعلوماتية: أي أنها لم تعد تفيد في شيء. زد على ذلك، أنه سبق لها وأن حازت على إحدى صفاتها، ألا وهي أنّها لم تعد تتكلم عن شيء آخر سوى ذاتها، وعن عملها الداخلي. لقد تمّ بلوغ عملٍ رائع مع بعض الساعات النسائية: عقارب غير مرئية وميناء من المرمر لا يشير لا إلى الساعات ولا إلى الدقائق، وهي موارية جانبياً بحيث تسمح، في أحسن حال، بالجزم بأن الوقت بين الظهيرة ومنتصف الليل، من أول أمس بلا شك.

ثم ماذا لدى النساء ليفعلنّه أفضل من التأمّل في شيءٍ يروي لهنّ حكاية غرورهنّ الخاص؟

(1988)

كيفية اجتناب الأمراض المعدية

منذ زمن طويل، قال ممثل تلفزيوني،لم يكن يخفي مثليّته، لفتى لطيف كان يسعى علانية لإغوائه: «هل ضاجعت نساءً؟ ألا تعرف بأن ذلك يسبّب السرطان؟» وبقيت المزحة ذائعة الصيت، ولا يزال البعض يردّدها في أروقة القناة الإيطالية الأولى RAI. والحال أن الوقت لم يعد وقت مُزاح. فقد قرأت، للتو، ما كتبه طبيب شهير عن أن الاتصال الجنسي بين المتغايرين جنسياً، يسبب السرطان. لقد حان الوقت، لأضيف بأن الاتصال بين المتغايرين جنسياً يسبب الموت، دون أن أزيد تفاصيل على هذا القول: فحتى الأطفال لم يعودوا يجهلون بأنّ هذا الاقتران يفيد في عملية الإنجاب، وأنّه عندما يولد كائنٌ بشري، فلا بدّ أن يموت يوماً.

وبمعنى ضيقٍ للديمقراطية، كان ذُهان السيدا، ينذرُ بألاّ يكبح سوى الممارسات الجنسية المثلية. حسنٌ، الآن سيجد ذوو العلاقات الجنسية المغايرة أنفسهم هم أيضاً تحت الرقابة، وها نحن جميعاً متساوون لا تمييز بيننا. لقد كنا جد متهاونين، وهذه العودة إلى التجنّن[1] تمنحنا، مجدداً، إحساساً أكثر صرامة بحقوقنا وواجباتنا.

أما مشكلة السيدا، فهي أخطر بكثير مما تبدو عليه الأمور، وهي

---

(1) التجنّن: خواطر شيطانية تمرُّ في أذهان المجانين. -المترجم-

لا تخصّ الخليعين وحدهم. ومع أنني لا أودُّ أن أمثّل دور المتشائم، إلا أنني أسمح لنفسي أن ألفت انتباهكم، هنا، إلى بعض المقولات الأخرى التي تنطوي على خطر جسيم.

المهن الحرّة

هناك إحجامٌ عن التردد على المسارح الطليعية في نيويورك: فمن المعلوم أن الممثليين الأنكلو- ساكسونيين، ولأسباب تتعلّق باللفظ، ينثرون لعابهم رذاذاً غزيراً، وهم يتكلمون - انظر إليهم جانبياً بالاتجاه المعاكس للضوء - ودائماً ما يكون المشاهدون، في الصالات التجريبية، في متناول رشقات اللعاب، فاحذروا ذلك.

سوف لن يحافظ النواب على أيّة صلة مافيوية، لئلا يجدوا أنفسهم مرغمين على تقبيل يد العراب. ويحذّر تحذيراً واضحاً من الإنضمام إلى مافيا نابولي، بالنظر لطقوسها الدموية. وسيجتنب السياسيون الراغبون في النجاح مهنياً في التمامية الكاثوليكية[1]، سيجتنبون، بحرصٍ، المشاركة، تحاشياً لانتقال الجراثيم من فمٍ إلى فم، عن طريق أصابعِ صاحب القدّاس. أمّا مخاطر الاعتراف السّماعي، فلا نتحدّث عنها.

المواطنون البسطاء والعمّال

من بين السكان الأكثر عرضةً للخطر، سأذكر من يحظى بالضمان الإجتماعي ذو الأسنان المسوّسة: سوف لن نردد قط بما فيه الكفاية، بأنّه من الخطر ملامسة طبيبِ أسنانٍ يُحشر أصابعه في فمك، وهو الذي قد عمل تشريحاً في أفواهٍ أخرى. وتزيد السباحة في بحرٍ ملوّث بكتلة

---

(1) التمامية: الموقف الكاثوليكي الرافض لكلّ تطورٍ ومجاراةٍ للحياة الاجتماعية الحديثة. -المترجم-

سوداء، خطر العدوى، لأن النفط العالق يحتوي على جزيئاتٍ من لُعابِ كلٍّ من سبقك إلى ابتلاع المياه وبصقها ثانية. مدخن يستهلك يومياً أكثر من أربع علب من السجائر، يلمس الجزء العلويّ من السيجارة بأصابعه التي تسكّعت في كلّ مكان، بحيث تلجُ الجراثيم المسالك التنفسية. علينا التخلّص من البطالة التقنية، وإلا سوف لن نكفّ عن الحدِّ من نفوذنا، وأن نحرص على ألاّ نُختطَف من قبل الرعاة السردينيين أو الإرهابيين، فالخاطفون يستخدمون، عموماً، غطاء الرأس نفسه للعديد من الرهائن، وألاّ نركب القطار في محطة بولونيا، لأن انفجار القنابل يُلقي فيها، بعنف، أكداساً من النفايات العضوية، ومن العسير جداً، أن يحمي المرءُ نفسه. وألاّ نتواجد أبداً في مناطق قُصِفتْ بصواريخ ذات رؤوس نووية: فأمام الفطر النووي، يميل المرءُ إلى دسِّ يديه(دون أن يكون قد غسلها!) في فمه، متمتماً: «يا إلهي!».

سكانٌ آخرون معرّضون لمخاطر عالية، وهم: المحتَضَرون الذين يحتضنون أيقونة المَصْلوب، والمحكومون بالإعدام (عندما لا يكون نصل المقصلة معقَّماً قبل الاستعمال)، وأطفال دور الأيتام الدينية، الذين تجبرهم أخوات شريرة على لحس ردهة الدار، وهم مقيّدين بأحدِ رجليهم إلى السرير- القفص.

العالم الثالث

لقد تهدّد الهنود الحمر خطر جسيم، فلا يخفى عليكم أنّ انتقال الغليون الهندي من فم إلى فم، قد تسبّب في انقراض الأمة الهندية. وقد تعرّض الشرق أوسطيون والأفغان إلى نميمة ثقيلي الظلّ، ويكفي لإدراك ذلك رؤية النسبة المرتفعة جداً للوفيّات في إيران والعراق. وقد تعرّض «ديزابارسيدو» الأرجنتيني Desaparecido إلى خطرٍ شديدٍ، عندما انقضّ عليه جلاّده نافخاً في وجهه روائحه النتنة.

وكان على كمبوديين ولاجئين في المخيمات اللبنانية اجتناب حمام الدم، الذي حذّر منه تسعة أطباء من أصل عشرة (كان العاشر، وهو أكثر تسامحاً، يُسمي نفسه منجيل).

وتعرّض الجنوب أفريقي الأسود لخطر التعفّن حينما بصق الأبيض، المحتَقِر له، على أقدامه، ففي الواقع، لم يسلَم من بعض رذاذات اللعاب. وسيتحاشى كلُّ سجين سياسي أن يفحص مستجوبُه لثّتيه، بعد أن يكون قد لمس لثّتي معتقل آخر تشدّد في استجوابه وغرّر به.

السكان الذين يعانون من المجاعة الدائمة، سيكفّون عن ابتلاع ما كانوا، غالباً، يهدّئون به نهشات جوعهم، لأنّ اللعاب، المتناثر في الجو الفاسد، سيصيب المسالك المعوية بالعفَن.

والأمر كذلك بالنسبة إلى معسكر التربية الصحية الذي سيكون على السلطات والصحافة أن تروّج له، بدلاً من الاحتجاج على الفضيحة في سبيل مشاكل، ربّما يمكن تأجيل حلّها، بشكل صائب، إلى توقيتٍ لاحق.

(1985)

كيف تبعث برسالة وأنت تدخن السيجار

إنّه لأمرٌ غريب أن يعرف السيجار رواجاً متعاظماً، في أمريكا المكافحة بحدّة ضد الإدمان على التدخين. فبالأمس القريب، عثرتُ، في كتالوغ، على العشرات من الأدوات التي تخصُّ من يدخّن السيجار الهافاني المحظور، مع منفضة من مستوى رفيع بأغلفة من شتى الطرز، مروراً بكدسٍ من المواد التي لا لذّة فيها ولا نفع، سوى أنها تقدّم هديّة قيّمة.

يمكن تفسير كل ظاهرة اجتماعية، ولكنّ ينبغي فهم بعضها (الأزياء مثال نموذجي عليها) على أنّها رسائل صريحة وجليّة، لأن من يسعى إليها يقصد بها إيصال هدف ما وتحقيقه، فيسلك سلوكاً رمزياً. وإذا أقصيتم السلوك الرمزي، لا يتبقّى لكم سوى التفسيرات الوظيفية، التي لا تلقى النجاح أبداً. حاولوا التأكيد بأنّه ما ذلك إلاّ لأن الناس لا يزالون يرغبون في التدخين: ومع أن ذلك صحيح بدون أدنى شكّ، إلاّ انّه لا يفسّر تساهل المجتمع حيال مدخني السيجار، لا حيال مدخني السجائر.

فهؤلاء الأخيرون، مرغمون على التكدّس على الرصيف، أمام المباني الحكومية، متّحدين بتضامن مباشر ـ تنزل وتُخرِج علبة سجائرك، فيتقدم إليك، في الحال، مُدخّنٌ آخر، تعلو ابتسامة محرّضة شفتيه، ويقدّم لك الشعلة من قداحته؛ فلا تبالي الناس بذلك، بل ويستخفّون أحياناً، ولكنّهم يقولون في أنفسهم بأنّهم، في نهاية المطاف، لا يتسبّبون بأيّ ضررٍ (ومع ذلك تفكّر بعض الدول في حظر التدخين في الشارع طيلة النهار). ولا شيء يمكن مشاهدته مع مُدخّن السيجار، فهو يعرض غنيمته في أعقاب وجبة عشاءٍ أو أثناء «وليمة» ـ أي عندما يعرف بأن ذلك سيكون مسامحاً ـ وأنّ سلوكه لن يجرح أيّاً كان. وإذا ما شاء أحدٌ تدخين سيجارة، فخيرٌ له أن ينتظر ريثما يُخرِج بطلُنا سيجاراً، فيقلّد، على نحوٍ تقريبي، حركاته، بعد أن يتأكّد بأن صنيعه ذاك لن يثير أيَّ احتجاج.

لِمَ هذا التمييز؟ إن السبب الذي يجري التذرّع به أكثر من سواه – وهو أن السيجار أقل ضرراً لكوننا لا نبتلع دخانه– غير مقنعٍ وليس بكافٍ، لأن نفث الدخان لا ينفي الإدمان السلبي على التدخين، وعلى العكس، فإنه يزيد في تلويث الجوّ وتعكيره. فما الحقيقة إذاً؟

ها هو التفسير الذي يبدو لي أنّه أكثر إقناعاً. لقد شنّت السلطات

الكفاح ضد السيجارة واعتبرتها معركة في سبيل الصحة. وقد لاقت الحملة، إذ غدت السيجارة رمزاً للموت، صدىً مباشراً بين الطبقات الرفيعة. وإذ لم يعد هناك إقبال على التدخين في مطعم راقٍ، لا تزال مقاهي المنطقة الثانية أماكن للتدخين. لقد توقّف الجامعيون والمصرفيون وكبار الموظفين عن التدخين (على الأقل علانية)؛ ما زال السود والنساء ذات الأحوال المتوسطة والضعيفة والشيوخ والمتسوّلون يدخنون.

وهكذا، شيئاً فشيئاً، أصبح الاختلاف اجتماعياً. فالسيجارة هي خاصة بالفقراء والأقليات، وقد عرفت اليوم نوعاً من التبغ يُمضَغ كما كان الأمر في الأزمان الغابرة. ولم نعد الآن نمضغ، ليس لأن في ذلك مضرّة بالصحّة، وإنّما لأنّ ذلك يناسب شخصاً يدرّ اللعاب والبصاق، وتفوح منه رائحة كريهة.

هل تتخيلون رجلاً، يرتدي السموكينغ الفاخر من سكالا، وهو يمضغ بهدوء مضغته من التبغ؟ كلا، هذا لا يحدث، نقطة، وانتهى.

أما السيجار، فليس له أي مفهوم بروليتاري (إلاّ بالنسبة لعجوزنا الطيب توسكانو، المشوّه الفائح برائحة العُفَن). إنّه غال الثمن يتطلب وقتاً ومالاً، تربطه الأيْقَنة الشعبية برجال المال والأعمال والسلطة والنفوذ، فهو يقدَّم للإحتفال بحدثٍ هام، ولادة جديدة مثلاً. ولا تحلم باستلاف سيجارٍ: فإذا ما طلب منك شخص «أَ لديك سيجارة كلوب؟» تعطيه السيجارة دون تأسّفٍ أو ندم، بل أحياناً تترك له علبة الدخان كاملة، ولكن لا يمنحك ذلك التصرُّف وضعية الرجل الكريم أو الثري. أمّا إذا تناول أحدُهم عُلبته ليقدّم لك اربع سيجارات غالية الثمن، فستشعر وكأنّك تلتقي برجلٍ مقتَدَرٍ من سالف الزمان، يسحب خاتمه الزمرّدي ليمنحك اياه هديةً.

هو ذا السبب الذي من أجله تُدخِّن الطبقات الثرية السيجار،

ويتساهل المجتمع معه ويرتضيه. فبفضله تُهلك العافية، ولكن الأمر يتعلّق بانتحار من طراز رفيع، ولا شيء يُرى مع لفافة الفقير الحاملة للموت الرخيص.

أخيراً وليس آخراً "Last but not least". ما الذي يجرى، في أوجّ حملة مناهضة التبغ، في الولايات المتحدة المتمزّقة، بلد الرعاية الصحية، الذي كان أوّل من دوّن على علب السجائر التحذير المشؤوم لوزارة الصحة الذي يعدك بألف مرض وبالموت؟ حسناً، في ذلك البلد العجيب، تُباع لك السجائر في الصيدلية.

(1996)

كيفية إعادة كتابة «ذات القلنسوة الحمراء الصغيرة»

من المعلوم أن الأوامر التي فرضتها عنوة الـ "Politically Correct"[1] أدّت إلى إعادة كتابة حتى الحكايات التراثية، بغية ألاّ تضمر أيّ تلميح إلى أي شكلٍ من أشكال الانتقاص من قيمة الآخر أو النظر إليه بدونيةٍ، أو تنتهك أيَّ حقٍّ من حقوق أيّة أقلية. بما في ذلك الأقزام السبعة الذين يُسموْن، من الآن وصاعداً، «البالغون ذوو طول لا معياري». وتماشياً مع هذه المقتضيات، شرعت في التسلية بإعادة النظر في حكاية «ذات القلنسوة الحمراء الصغيرة»، مراعياً، بدقة فائقة، مجموع الخيارات الدينية أو السياسية أو الجنسية. ولكي تسير القصة في مناخ صحيٍّ سياسياً، أجريت عملية المراجعة تلك في الولايات المتحدة، البلد الغني بالغابات الآهلة بالحيوانات المفترسة. إذاً، فذات القلنسوة الحمراء الصغيرة كائنٌ بشريٌّ لم يبلغ، لحسن الحظ، سن

---

(1) تعني المضبوط أو السويّ سياسياً. -المترجم-

لمراهقة، وهي التي غامرت، ذات صباح جميل، في الغابة التي لم نقطف منها لا فطوراً، ولا فراولة، لأنّها تنتمي إلى جمعية الدفاع عن الطبيعة APLDDLN. ولأنّ طفلتنا عضوة في جمعية التفاعل الكُلي والمتعادل مع عالم الحيوان APLITEEALMA، فقد جعلها ذلك تتلهّف اشتياقاً للقاء الذئاب. ولحسن الحظ، إلتقت ذئباً ينتمي إلى جمعية الحيوانات المثلية ADAH، التي تشجّع العلاقات الجنسية الحرّة بين الحيوانات والبشر.

تواعدا في أقرب موتيلٍ[1]، حيث سينتظرها الذئب، مرتدياً مبذلاً فاخراً، استعداداً للمزاوجة. ولكنّ الجدّة، المتربّصة خفية، هي من كانت تسهر على الموعد متأرّقة. لقد أبقينا الجمعيات التي تنتمي إليها جدّة ذات القلنسوة الحمراء الصغيرة طيّ الكتمان، وما عليكم سوى أن تعلموا بأنّها نصيرة «البيدوفيليا»[2] وإرتكاب المحارم وأكل لحم البشر، وهي، علاوة على ذلك، ليست نباتية. ذهبت الجدّة، المتلهفة للقاء حفيدتها الصغيرة جداً، إلى الموتيل، وابتلعت الذئب وتقمّصت مظهرَه، لأنّها أيضاً عضوة في "CAI Caucus of Animal Impersonators"[3]، فوصلت ذات القلنسوة الحمراء الصغيرة، تنضح بالشهوة، وسارت نحو حُجرة العرس، معتقدة أن الذئب ينتظرها فيه. ولكنها تلاقت وجهاً لوجه مع الجدّة التي أغوتها في الحال وأكلتها، إلاّ أنها ابتلعتها دفعة واحدة، لأن الجدّة، وقد فاتني قول ذلك، تنتمي إلى جمعية دينية تُعنى بالصحة والحمية تقول بأن في مضغ الأغذية الحيوانية

---

(1) الموتيل: فندق على الطريق يستريح فيه المسافرون. ـ المترجم ـ
(2) الميل الجنسي من قبل البالغ حيال الأطفال. -المترجم-
(3) كَوكَس الشخصيات الحيوانية، والكَوكَس هو مؤتمر داخلي لجماعة تنتمي لنفس الحزب. -المترجم-

إثم و«غير كاشر»[1]، وبالتالي، تأمر بازدرادها لقمة واحدة، الأمر الذي لا يبدو لي أكثر غرابة من تحريم عمليات نقل الدم، أو فرض التعقيم عليها.

وبينما كانت ذات القلنسوة الحمراء الصغيرة ترقد في أحشاء جدّتها، حضر، فجأةً، اللاّصياد. وبما أنّه عضو في جمعية بيئية راديكالية، تقضي بقتل من يأكل اللحم الحيواني من البشر، وينتمي ـ ودوره الإنساني يفرض ذلك ـ إلى جمعية البندقية الوطنية الطويلة، التي تستند إلى تعديل دستوري (يمكن تأويله بطريقة سلسة جداً)، يجيز لكل مواطن حمل سلاح والاحتفاظ به. ولما تحقّق اللاصياد من هوية هدفه – الجدّة المفترسة للذئاب والمستبيحة، بالتالي، للحياة الحيوانية – رماها برصاصة فأرداها قتيلة، ومن ثم شطرها إلى نصفين (الواقع انّه يناضل في جمعية للحثّ على التبرع بالأعضاء)، فإذا بذات القلنسوة الحمراء الصغيرة تخرج سالمة من بطن جدّتها. وأيضاً الذئب، على ما أفترض، ولكن، لا مكان له في حكايتي.

أخذت الأم، مغتبطة، طفلتها في أحضانها، واجتهدت في حملها على نسيان تلك المغامرة المحزنة والمزعجة، بتأمين مستقبلٍ مشرقٍ لها.

في الواقع، قدّم اللاصياد برنامجاً عن الحيوان، مناهضاً للصيد، حظي بشعبية واسعة، ويعلم الجميع حجم الأمل الذي تُفعَم به الأمهات، عندما يقدنَ بناتهن، اللواتي لم يبلغن بعد، إلى مقدمي البرامج التلفزيونية، لتنعقد بينهم أواصر الصداقة وروابط الودّ، وتباشير عقود بالمليارات.

ومع ذلك، رفض اللاصياد، الذي سبق وأجْمَلنا أخلاقه النبيلة،

---

(1) كاشر : لحم حيوان مذبوح حسب التقاليد الدينية اليهودية ـ المترجم ـ

الدخول في علاقة غرامية مع ذات القلنسوة الحمراء الصغيرة، لأنّه، في الواقع، ليس إلاّ صاحباً خليعاً لـ«روبن» الغابات.

تذكّرت الأم وابنتها، الحانقتين أشدّ الحنق، بأن اللاصياد كان، وهو يفتك بالجدّة، يدخن الغليون. فشكوه إلى السلطات العامة لإدمانه على التدخين وتحريضه على المنكر وتلويثه للبيئة وترويجه للعوامل المسرطِنة، وبالتالي سعيه إلى إرتكاب مذبحة.

ولـمّا كانت عقوبة الموت لا زالت سارية المفعول في تلك الولاية، فقد حُكِم على اللاصياد بالموت بواسطة الكرسي الكهربائي. وجّه البابا نداءً مؤثراً، ولكنّه بعثه عبر دوائر البريد الإيطالية، فوصلت متأخّرة لعدة شهور. ولأن التفريغات الكهربائية لا تلوّث الجو، لا يهتم أحدٌ بالاحتجاج ولا يتعاطاه. قضى اللاصياد، وعاش الجميع (سواه) في غاية السعادة والهناء.

(1996)

كيف تكون هندياً احمر

أمّا وقد بات مستقبل الأمة الهندية برمّته، من الآن فصاعداً، مرسوماً ومخطّطاً، فإن الفرصة الوحيدة المتاحة لشاب هندي طموح، للارتقاء الاجتماعي، تعتمد على أدائه دورَ الكومبارس في أحد أفلام الوسترن.

ولتحقيق هذه الغاية، لابدَّ من بعض التعليمات الأساسية التي ستتيح لصديقنا الشاب نيل علامة «هندي الوسترن» وحلِّ المشكلة المستمرة لاستخدام قسم محدود من هذه الفئة الاجتماعية - المهنية.

قبل الهجوم

1. الامتناع عن الهجوم الفوري، ولفت الأنظار من بعيد، لعدّة أيام قبل الهجوم، بإرسال إشارات دخانية شديدة الوضوح، لتُمنَح عربة الجياد[1] أوالحصن، الوقت لإخبار سلاح الفرسان.

2. الظهور، إن أمكن، في مجموعات صغيرة على الجبال المحيطة، ووضع المراصد في قمم جبلية منعزلة تماماً.

3. ترك آثار واضحة في الأماكن التي يتمُّ المرور بها، من قبيل آثار حوافر الخيل، ورماد النيران الذي يخلفه المعسكر، وأرياش وتمائم تتيح تحديد هوية القبيلة.

مهاجمة عربة جياد

4. لمهاجمة عربة الجياد، ينبغي متابعتها عن بعد أو الأحرى، محاذاتها جانبياً، لكي تكون دائماً في مرمى البندقية.

5. لجم الخيول البرية[2] الأكثر سرعة من الجياد التي تجرّ العربة، حتى لا تسبقها أبداً.

6. عدم إيقاف الخيل مرة واحدة بل واحداً واحداً، بحيث يُجرَح أحدها من قبل الحوذيّ ويُداس بالمِقْرن[3].

7. عدم اعتراض طريق العربة بالجملة: فمناورة كهذه ستنجح في إيقافها في الحال.

مهاجمة مزرعة معزولة للمواشي أو حلقة عربات

8. الامتناع عن الهجوم ليلاً، حينما يكون المزارعون أقلُّ تحسّباً له، ومراعاة المبدأ الذي يهاجم الهندي بموجبه نهاراً.

---

(1) دِليجنس: عربة جياد للمسافرين. ـ المترجم ـ

(2) مُسْتَنغ: فرس السهول الأمريكية البريّ. ـ المترجم ـ

(3) المِقْرن: ما يربط دابتين إلى بعضهما. ـ المترجم ـ

9. إطلاق صيحة الذئب الأمريكي مراراً وتكراراً بهدف الإشارة موقعه.

10. إذا ما أطلق رجلٌ أبيض صرخة الذئب الأمريكي، ينبغي ر الرأس في الحال، لتقديم دريئة سهلة المنال.

11. الهجوم حلقياً، دون تضييق الحلقة، بحيث يصاب الواحد الآخر.

12. عدم زجّ الرجال جميعهم في هجوم دائري، واستبدالهم يجياً كلما أُصيبوا.

13. حتى لو أنّ أحدهم كان يمتطي حصاناً بلا سرج، عليه أن ت قدمه بشدّة إلى عُدّة الحصان، بحيث، حينما يسقط، تجرجره ابة خلفها.

14. الحرص على استخدام بنادق (مشتراةٍ من مهرّبٍ غشاشٍ) هل استعمالها، وقضاء رَدحٍ من الزمن لإعادة حشوها.

15. عدم قطع الحلقة لدى وصول التعزيزات، وانتظار سلاح رسان، وعدم الاندفاع أمام الجنود والتفرّق في فوضى لدى الصدام وّل، بهدف إتاحة المطاردات الفردية.

16. في حالة مزرعة المواشي المعزولة، إرسال رجل في مهمة تطلاع، ليلاً. وسيتعيّن عليه الاقتراب من نافذة مُنارة، ومراقبة امرأة نماء في الداخل، مطوّلاً، إلى أن تلمح وجه هندي خلف الزجاج. .م محاولة الفرار إلا بعد صياحها والخروج الاستنفاري للرجال.

17. إنّ تسريح الجياد، ليلاً، مسألة جوهرية، ولاسيما عدم اولة سرقتها، وتركها تنتشر في المرج.

18. في حالة الاقتحام، تسلّق السور واحداً واحداً. رفع السلاح لاً، ثم الرأس، بهدوء والانتصاب في الوقت المطلوب، بعد أن

تكون المرأة البيضاء قد أخبرت مُطلق نارٍ بارعٍ عن حضورك. عدم السقوط أبداً داخل الحصن وإنما إلى الخلف، نحو الخارج.

19. في حالة تبادل إطلاق النار من مسافة بعيدة، التموقع في قمة جبلٍ، والانحدار متهاوياً نحو الأمام، للتهشّم فوق الصخور الموجودة في الأسفل.

20. في حالة المبارزة، أخذ الوقت اللازم للتصويب بدقّة وعناية.

21. في الوضعية ذاتها، عدم استخدام المسدسات التي ستُحلّ المشكلة سريعاً، والاكتفاء باستخدام السلاح الأبيض.

22. في حالة خروج بعض «رعاة البقر» Cow-boys، عدم الاستيلاء على أسلحة العدو القتيل، وعدم سرقة سوى ساعته فقط، والتريّث بالاستماع إلى دقّاتها، ريثما يصل عدو آخر.

23. في حالة أسر ذو «وجه شاحب»، لا يجب قتله على الفور. ويجب ربطه إلى عامود، أو تكبيله تحت خيمة، بانتظار أن يأتي رفاقه ويعتقوه في ضوء البدر المنير.

24. في كل الأحوال، السعي إلى التغلّب على العدو نافخ البوق حالما يرنّ، من بعيد، ناقوس سلاح الفرسان. حينها، ينتصب نافخ بوق الحصن ويردّ، واقفاً فوق أعلى شرفة للأسوار.

حالات أخرى للتمثيل الصامت

25. في حالة مهاجمة قرية هندية، الخروج من المآوي فرائس للهلع العام. والجري في كلّ مكان، والبحث عن الأسلحة التي سبق وان صُفّت فوق بعضها في أماكن عصية على الدخول.

26. تفحّص نوعية الويسكي الذي يبيعه المهربون، والحرص على أن تكون نسبة حمض الكبريتيك ثلاثة إلى واحد.

27. أثناء مرور القطار، التثبّت من أن صائدَ هنودٍ موجودٌ على

متنه قبل محاذاة قافلة راكبة ملوِّحاً ببندقيته ومطلقاً الصيحات والتحيات.

28. الإستيلاء على السكّين الخاصّ لرجلٍ أبيض، بالقفز على ظهره، بحيث لا يتمّ جرحه، بغية إتاحة الفرصة للمجابهة، وامهال الرجل الأبيض حتى يلتفت إلى الوراء.

(1975)

كيفية الحديث عن الحيوانات

إذا لم تكونوا من المهووسين بالأحداث الراهنة، فإن هذه القصة جرت في نيويورك منذ زمن ليس ببعيد.

في حديقة الحيوانات، بسنترال بارك، كان ثمّة أطفال يلعبون بالقرب من حفرة لدببة بيضاء. تحدّى واحدٌ منهم أقرانه الآخرين، بالاستحمام والسباحة من حول الدببة؛ ولإرغام زملائه على الخوض في الماء، أخفى ثيابهم، فارتمى الصِبيان في الماء، يتخبّطون فيه حول دبٍّ ضخم ناعس ومسالم، يغيظونه ويخرُقون سكينته، فاستاءَ منهم الحيوان أيّما استياءٍ، ومد أحد قوائمِه، والتهم أو، بالأحرى، قضم طفلين منهما تاركاً أشلاءً صغيرة تتناثر، مُزقاً، هنا وهناك. هُرِعَت الشرطة وأسرع العمدة إلى المكان، وأُثير التساؤل فيما إذا كان ينبغي قتل الدبِّ أم لا، وقرّ الأمر على أن الذَّنْب لم يكن ذنبه، ثمّ كُتِبَت بعض المقالات في صحف الإثارة.

كان للطفلين، وكأنّها صدفةٌ، أسماء إسبانية: لقد كانا من البورتوريكيين، وربّما بديا كذلك بسبب لون بشرتهما، الوافدين حديثاً ولا شك، المعتادين على التّنافخ والتبجّح بالتأكيد، مثلما هو حال كل الغُلمان الذين يتنظمون في عصابات داخل الأحياء البائسة المعدَمة.

قدِّمت تأويلات مختلفة للحادثة، كانت بمعظمها صارمة ومتزمِّتة، سادها، الشفهية منها في الأقلّ، رد الفعل الصَلِف والبذيء: هناك من قال بنظرية الإصطفاء الطبيعي، فإذا كانوا من الغباء لدرجة أن يسبحوا بالقرب من دُبٍّ، فقد لاقوا ما يستحقون. فأنا، حتى حينما كان لي من العمر خمس سنوات، لما ألقِ بنفسي أبداً في أشداق ذئب.

تأويل اجتماعي: إنّ الناس في المناطق الفقيرة، للافتقار إلى التربية، هم، للأسف، كادحون مُستغَلون حتى في الطيش والعمل غير المنطقي.

أيُّ كلام هذا، عن أي افتقار إلى التعليم نتحدث، مادام حتى الطفل الأكثر فقراً يشاهد التلفاز، ويقرأ في المدرسة كتباً تروي أنّ الدببة تفترس البشر، وتظهر الصيادين وهم يقتلونها؟

وتساءلت في نفسي، ألا يكون السبب في أنّ المراهقَين قد دخلا حفرة الدببة، لأنهما شاهدا التلفاز وذهبا إلى المدرسة؟ لا ريب في أن ذينك الصبيين كانا ضحية سوء سريرتنا المستعادة عبر المدرسة ووسائل الإعلام.

لطالما كان البشر يعدمون الرفق بالحيوانات والإشفاق عليها، وحينما تبيّنوا خُبثهم الخاص، بدأوا، إن لم يكن في حبّها جميعاً (واستمروا في تناول لحمها بهدوء)، فعلى الأقل في الحديث عنها خيراً.

وإذا ما فكّر المرء بأن وسائل الإعلام والمدرسة والدوائر الحكومية تسعى للتكفير عن كمٍّ هائل من الانتهاكات المرتكبة ضد البشر، فإن السبيل إلى ذلك سيكون ـ من وجهة نظرٍ نفسيّة وأخلاقية ـ بتعظيم طيبة الحيوانات.

نترك أطفال العالم الثالث يموتون جوعاً، بينما ندعو أطفال العالم

، إلى الرفق باليعاسيب وصغار الأرانب، بل وبالحيتان والتماسيح
ابين.

إن فعلاً تربوياً كهذا، يعدّ في حدِّ ذاته، صحيحاً وقويماً، ولكن
طأ يكمن في التقنية المختارة: فللاعتراف بحق الحيوانات في
ء، لجأنا إلى أنسنتها وإضفاء براءة الأطفال عليها. لا نقول بأن من
ا أن تبقى على قيد الحياة، وإن كانت ، بحكم غرائزها، متوحشة
سرة، وإنما نجعلها جديرة بالاحترام من خلال إظهارها كمخلوقات
فة ومضحكة، وأطفال صالحين، ومخلوقات ملؤها العطف
كمة والفطنة.

فليس هناك من هو أكثر طيشاً من اللاموس، وأكثر كسلاً من
ل، وأكثر إسالة للّعاب من كلب في شهر آب، وأكثر نتانة من
ير، وأكثر هستيرية من حصان، ولا من هو قميءٌ أكثرمن أُرْفِيَّة[1]
ر لزوجة من بَزَّاق، وأكثر سميّة من أفعى، وأقل قدرة على الخيال
نملة وأقل قدرة على الإبداع الموسيقي من عندليب.

ببساطة: يجب أن نحبّ هذه الحيوانات، وإذا تعذّر علينا ذلك
، فعلى الأقل أن نحترمها هي وغيرها بما هي عليه. كانت أساطير
ن الغابر تُركّز على الشرير الكبير، الذئب، أمّا أساطير اليوم، فتبالغ
التركيز على صغار الذئاب الوديعة الطافحة لطافةً.

فلا ينبغي إنقاذ الحيتان لأنها جذابة وودودة، وإنّما لأنها جزء من
ة الطبيعية، وتسهم في التوازن البيئي وتحفظه. وعِوَض ذلك، تربّى
يتنا بمعونة دلافينِ ناطقة، وذئابٍ تنتمي إلى العالِميّين
انسيسكانيين، ولاسيما بمعونة تيدي بير على نحو أكثر. فالإعلانات
سوم المتحركة والقصص المصوَّرة تضجُّ بالدببة الملاطفة، الرفيقة،

جنس فراشات. -المترجم-

الطيبة طيبة الخُبز، والمراعية للقوانين. إنّه لمهانة لدبٍّ أن يسمع القول بأن له الحق في الحياة، لأنه جسيم وضخم، أبله وساذج. هذا هو السبب الذي يجعلني أعتقد بأن مراهِقَي سنترال بارك المسكينين ماتا، ليس لانعدام التربية والتعليم، وإنّما للإفراط فيهما، إنهما ضحيتا سوء سريرتنا.

فلكي، نجعلهما يتغافيان عن حجم ما يكتنزه البشر من الشرّ، روينا لهما القصص عن طيبة الدببة ولطفها، عِوَضَ أن نصارحهما، بصدق وحقٍّ، ما عليه البشر، وما عليه الدببة.

(1991)

كيفية تناول بوظة

في سنوات مراهقتي، كان باعة البوظة، الذين يدفعون، أمامهم، عرباتهم البيضاء ذات الأغطية المفضضة، ينادون على نموذجين من البوظة: البُرشانة ذات الفلسين، أو البسكويت ذو الأربعة فلوس. البرشانة التي بفلسين كانت صغيرة، وخاصة بالنسبة ليد طفل، وكانت تُعدُّ باستخراج الثلج من الوعاء بلوح خشبي خاص، وتكويمها فوق البُرشانة. وكانت جدّتي تنصحنا بألاّ نأكل منها سوى جزئها العلوي، ورمي الرأس السفلي، لأن يد البائع تكون قد مسّته (ومع ذلك، كان ذلك الجزء هو الأفضل بالنسبة لنا، والأكثر تقرّشاً تحت أسناننا، فكنّا نأكله خفيةً، وندّعي بأننا رميناه).

أمّا البسكويت الذي كان ثمنه أربعة فلوس، فكان مُعدَّاً بواسطة آلة خاصّة، مفضّضة بدورها، كانت تشدّ الوجهين الدائريين للبسكويت إلى بعضهما بدائرة إسطوانية من الثلج. وكنّا نمرّر لساننا إلى داخل الفجوة إلى أن يعجز اللسان عن بلوغ لبِّ الثلج، عندها كنا نأكلها تماماً، وقد

بحت البسكويتات طرية ومتشبِّعة برحيق الثلج وطيبه. ولم تكن جدّة نصيحة بشأنها ولا تحفّظ عليها: فنظرياً لا يمسُّ البسكويتات ي الآلة، أمّا عملياً فكان البائع يأخذها بيده ويناولنا إياها، ولكنه ن من المتعذّر تحديد أيّ منطقة منها مسّتها يده.

أمّا أنا، فكنت مسحوراً بمرأى بعض الصّبية المحظوظين، الذين وا في عمري، يبتاع لهم ذووهم، لا البسكويت ذو الأربعة فلوس، ما برشانتين من ذات الفلسين، وكنت أتحرّق غيرة إذ أراهم يسيرون ورين مثل آرتابان، وفي كلِّ يدٍ من يديهم برشانةٍ، يلوون رؤوسَهم، نةً ويسرةً، بمهارة وهم يلعقون الواحدة ثم الأخرى. وكان طقساً ذا، بيدو لي باذخاً أيّما بذخ، وباعثاً للغيرة، إلى درجة غالباً ما كنت الب بحق الاحتفال إقامته والإحتفاء به. ولكن عبثاً، فقد كان والداي وان عنيدين لا يلين لهما رأي: بوظة بأربعة فلوس، حسناً ولا مانع، ظتين من ذات الفلسين لا تُفكر بهما.

ها أنا ذا أحكمهم في الموضوع: فما كان للرياضيات ولا قتصاد ولا علم الحمية، ليبرّر لهم رفضهم، ولا حتى علم الصحة، ما أنّنا متّفقون على أنه، في النهايْة، سأرمي الرأس ألسفلي برشانات، فكانا يتذرّعان - وتلك حجّةٌ مُحزنة وخدّاعة - بأن الطفل مشغول بلفت أبصاره من بوظة إلى أخرى، يجازف بأن يتعثّر على حصى أو الأرصفة أوالبلاطات المكسورة. وكنتُ أخمن، بغموض، نّه كان هناك دافع آخر لذلك، دافع تربوي صارم، سوى أني لم وصل إلى إدراكه حينها.

اليوم، وقد أصبحت ضحية مجتمع استهلاكي تبذيري وأعيش فيه لأمر الذي لم يكن كذلك في الثلاثينات)، أدرك أن والداي مرحومين العزيزين كانا محقّين. فبوظتان من ذوات الفلسين عِوض بوظة واحدة من ذات الأربعة فلوس، كان تبذيراً واسرافاً من وجهة

نظرٍ لا اقتصادية وإنما رمزية. ولذلك كنت أرغب فيها: كانت توحي بالإسراف والتفاخر.

ولذلك كانا ينكران عليّ ذلك: فقد كانت غير لائقة، وإهانة حقيقية للبؤس والبؤساء، وتفاخر بإمتياز متكلّفٍ، ورفاهية وهمية. وحدهم الأولاد المدللون كانوا يأكلون تينك البوظتين، إنّهم نفس أولئك الذين عاقبتهم ،بحقٍّ، الحكايات الأسطورية، مثل بينوتشيو عندما ازدرى قشرة التفاحة ولبّها. أما الآباء الذين كانوا يحرّضون أولادهم المحدثي النعمة على ذلك الضعف، فقد كانوا يربّون، بذلك، أبناءهم على الشغف بالحيلة الغبية، بتعويدهم على «التّنافخ وادّعاء ما لا طاقة لهم به» وبإعدادهم – لتناول مثال راهن – للتقدّم إلى مكتب تسجيل الأمتعة في الصف المدرسي مع ڤويتون Vuitton مزيَّفٍ مبتاع من بائع متجول على شاطئ ريميني.

وتجازف هذه الخرافة بأن تبدو مفتقرة إلى الأخلاق، في عالم يحوّل حتى البالغين أطفالاً مدللين، حينما يعدهم دائماً بالمزيد والمزيد، بدءاً من الساعة الآلية داخل علبة مسحوق الغسيل، وإنتهاءً بالمنبّه الإشعاعي المقدّم برفقة الإشتراك بمجلة أسبوعية.

والمجتمع الإستهلاكي، مثله مثل أباء أولئك الشرهين الذين كانوا يأكلون باليمنى واليسرى، الذين كنت أحسدهم أشد الحسد، يلجأ إلى التصنّع بإعطائكم المزيد من ذلك، حينما يعطيك في الواقع لقاء أربعة فلوسٍ ما هو عِدْل أربعة فلوس. فترمي محوّلك الكهربائي القديم بعيداً، لتشتري محطة متعددة الوظائف بما فيها نظام النقل الذاتي، ولكن نقائص مُعْضِلة في تركيبته الداخلية تجعل ألا تصلح هذه المعجزة من آخر طراز سوى لعام واحد، ومن ثمّ تتعطّل.

أما سيارتك الجديدة، التي ستبدو جميلة بمقاعدها الجلدية الوثيرة، ومرآتيها العاكستين الجانبيتين اللتين يمكن التحكّم بضبطهما

ن الداخل، ولوحة القيادة المصنوعة من الخشب النفيس، فسوف صمد أقل بكثير مما صمدت سانكيسنتو المجيدة، التي ان كانت تعطّل، تستأنف إقلاعها بركلةٍ من قدم.

ولكن، في الماضي كان علم الأخلاق يرمي إلى أن نكون، جميعاً، إسبارطيين، أمّا اليوم فيرمي علم الأخلاق إلى أن نكون سيباريسيّن[1].

(1989)

---

(1) أي منغمسين في الملذّات، نسبة لسكان مدينة سيباريس الإغريقية التي اشتهرت بالثراء والتّرف، بخلاف مدينة إسبارطة. ـ المترجم ـ

كيف تحترسون من أراملكم

سيداتي الكاتبات، سادتي الكُتاب، قد تكونون استهنتم بمن سيخلفونكم مثلما استهنتم بأوّل قميصٍ ارتديتموه، ولكنني أشكُّ في ذلك. فكلّ شخص، وإن كان له من العمر ستة عشر عاماً، نسج قصيدة غنائية في الغابة المرعبة، أو كلّ من أدار صحيفة حتى مماته- وذلك ليكتب فيها أموراً شخصية تافهة من قبيل «اليوم ذهبت إلى طبيب الأسنان» - يأمل في أنّ تخلّده ذريّته بذلك. وحتى إذا كنّا نفضّل النسيان، فإن دور النشر، في أيامنا، تَمهَرُ في إعادة اكتشاف المؤلّفين الصغار، بما فيهم أولئك الذين لم يكتبوا سطراً واحداً.

والذُرِّيَّة، على ما نعلم، نهمةٌ وقليلة التأنُّق، المهمّ بالنسبة لها أن تكتب، فكلّ نصٍّ يصلح لأن يُؤخَذَ به. كذلك يا إخوتي الكتّاب احذروا من التصرّف بأعمالكم وإساءة استعمالها. وقد يكون من الأمثل عدم السماح بنشر أيٍّ من أعمالكم سوى ما كنتم قد قررتم نشره في حياتكم، وأن تتلفوا، يوماً بيوم، أيَّ أثرٍ آخر، بما في ذلك النُسخ الثالثة. وحدها المذكّرات لا غنى عنها للعمل، فالموت يداهم في أي لحظة ويحصد الأرواح ارتجالاً.

يكمن الخطر الأول في رؤية نصوص غير مطبوعة وقد نُشِرَت وجرى تداولها، واستُنتِجَ منها بأنّكم كنتم في منتهى الحماقة وأتمِّها- ولو أنّ كلَّ واحدٍ منّا سيقرأ ما خَرْبَشه على عجلٍ في مفكرته مساءً فإن

خطراً كهذا يكون كبيراً (في الواقع، من ميّزات المذكّرات أنها خارج لسياق).

وإن انعدمت المذكرات، فإن الخطر الثاني يكمن في رؤية لندوات تُعقَد بكثرة عن نتاجكم وبالكاد قد بَردَت جثّتُكم. فكلُّ كاتب يعلّل النفس بطموح أن يكون مشهوراً عبر أبحاث أو أطروحات أو طبعات جديدة للمؤلّف مرفقة بالشروحات والتفاسير، ولكن الأمر يتعلّق هنا بأعمال تتطلّب وقتاً وتفكيراً.

وتترك المناقشة المباشرة أثرين: فأولاً، تحثُّ حشداً من الأصدقاء والأخصائيين والمبتدئين الباحثين عن المجد على الإنتاج السريع لإعادة قراءات متقاطعة، الأمر الذي يؤدّي حتماً إلى نوع من الابتذال والاجترار المملِّ، وبالتّالي، يُتَوقّع على نحوٍ واسعٍ أنْ يضجر القراءُ سريعاً من الكتّاب وينفرون منهم.

الخطر الثالث، هو نشر الرسائل الشخصية. ومن النادر أن يكتب لكتّاب رسائلَ تختلف عن تلك التي لمعظم الفانين، إلاّ إذا لم يعملوا في مجال التَّراسل، مثل كوديرلوس دو لاكلوس. ليكتبوا «أرسل إليَّ بيكرولاكس» أو «أحبّك إلى حد الجنون، شكراً لوجودك»، لا شيء منا سوى ما هو عادي جداً، وإنّه لمن المؤثّر أن ينبش الورثة في هذه لشهادات ليستدلّوا بها بأنّ الكاتب كان أيضاً كائناً بشرياً. لماذا كان يعتَقد بأنّه كان إنساناً متفوقاً مجنّحاً؟.

ما السبيل لاجتناب هذه العقبات؟ فيما يخصُّ المذكرات لمخطوطة، أوصي بأن تودعوها في مكان لا يتوقّع أحدٌ بأنّكم ستخبّئونها فيه، وأن تدعوها تختلط في الأدراج الخاصّة بأنواع عديدة من بطاقات الإدّخار التي تؤكّد وجود هذه المؤلّفات، ولكن مع تعليمات مُطَلْسَمة يصعب فهمها. وقد نتحصّل بذلك على نتيجة مركّبة، لنخفي المخطوطات، ونثير فرضيات عديدة حول السبب الملغز لعدم

الوصول إلى تلك البطاقات المذكورة والعثور عليها.

أمّا بالنسبة للمؤتمرات، فيمكن الاحتفاظ ببعض الوصايا الواضحة التي تناشد باسم الإنسانية بأن يدفع منظّمو كلِّ ندوة تُعقد قبل الذكرى العاشرة، عشرين ملياراً هبة لمنظّمة اليونيسيف. فيغدو من الصعب جمع المؤلفات. أما نقض التوكيل، فسيتطلّب جرأةً مَهيبة.

مشكلة الرسائل الغرامية أكثر تعقيداً من سواها. وفيما يخصّ الرسائل التي ما زالت قيد التدوين، أنصح باللجوء إلى الحاسوب - فهو يضلِّل دارسي الخطوط - مثلما أنصح باستخدام أسماء ودودة محبّبة («قطّك الصغير، شوبانك الصغير العاشق، يا برغوثتي») تختلف باختلاف الشريك بغية أن يبقى تحديدهم غير مؤكّدٍ.

وسيكون من المناسب أيضاً، إدراج بعض التلميحات التي ستكون، مع أنها مشوبة بالعاطفة، محيّرة لمن ترسل إليهم (من نمط «أحب حتى استرواحاتك المتكرّرة») وستثنيهم عن النشر.

وبالمقابل من غير الممكن تصحيح الرسائل التي سبق وان كُتِبَت، وهي بمعظمها تعود إلى مرحلة المراهقة، وبالتالي سيتعيّن علينا أنا نعثر على المتلقّين، ونرسل إليهم برسالةٍ تستحضر باطمئنان وهدوء بالٍ، ماضٍ لا ينسى، ماضٍ خالد حتى بعد مماتنا، وأن نَعِدَهم بزيارات تبقي ذكرى كهذه متّقدة لا تخبو ولا تزول. وهذه الوعود لا تَصدق على الدوام، ولكنّ الوهم يبقى وهماً، فيقع المتلقّون للرسائل فريسة الأرق ويهجرهم النوم.

أخيراً، بوسعنا أيضاً أن ندير صحيفة وهمية، أو ربّما نوحي، من حين لآخر، بأنّ بعض الأصدقاء يميلون إلى الرِّياء والتدليس: «يا لها من خادِعةٍ فاتنة، فرانسيسكا هذه» أو «اليوم، عرض عليّ جان كلود رسالة مزيّفة لبيسوا، كانت مدهشة حقاً».

(1990)

كيف تبزر وجود مكتبة خاصة

منذ نعومة أظفاري، وأنا أحظى بنوعين من النزوات - وفقط عين-: «أنت (أنتم) مَنْ يجيب دوماً» و«أنت تردّد (أنتم ترددون) مدى أعماق الوديان». وقد اعتقدت، لزمنٍ طويلٍ، بأن كل من كنت تقيهم، وبصدفة غريبة، كانوا أغبياء. وبتقدّم السنّ بي، توصّلت إلى ين بأنه ثمة قانونين لا يمكن لأيّ كائن بشريٍّ الإفلات منهما: أوّلهما و أن الفكرة التي تخطر إلى الذهن أولاً، دائماً ما تكون هي الأكثر ضوحاً وجلاءً؛ ومن ثمّ حينما تكون لدينا فكرة واضحة، لا نفترض ن في وِسْعِ آخرين أن يسبقونا إلى إمتلاكها.

لديّ مجموعة من عناوين لأعمال نقّادٍ، منشورة بكلّ اللغات هندو- أوروبية، بدءاً من «صدى إيكو» إلى «كتابٌ صَنَعَ إيكو».

ولكن هنا، لا أعتقد بأن هذه هي الفكرة الأولى التي وردت إلى من رئيس التحرير، بل أرى أن هيئة التحرير قد اجتمعت بأكملها، تباحثت في ما يقارب عشرين عنواناً محتملاً، وفي النهاية، شعّ وجه ئيس التحرير وأطلق صيحة: «أيها الأطفال، لدي فكرة عبقرية!» هتف مساعدوه: «أيها الرئيس الموقّر، إنك جهنّمي، من أين لك كلّ ذه العبقرية؟ - هذه موهبة»، لاريب في أنّه قد أجاب.

ولكن انتبهوا، فليس في وارد القول بأن الناس مبتذلون سِخافٌ، الاعتقاد بأنّ بداهةً ما هي مستَحدَثة ومستوحاة من وحي إلهي ينمُّ عن نيوية ذهن أكيدة، وشغفٍ بالحياة وفجائيتها، وحبّاً للأفكار- وإن انت تافهة.

وسأتذكر أبداً لقائي الأول بذلك الرجل العظيم ايرفينغ غوفمان، قد كنت أعجب به، وأحب ما كان عليه من عبقرية وعمق، عرف بما، كيف يتناول ويصف أدقّ الفروقات في السلوك الاجتماعي، وما

عليه من مهارةٍ في الكشف عن قسمات متناهية الصغر، سهى عنها جميع من سبقوه. جلسنا، هو وأنا، على رصيف إحدى المقاهي، وبعد قليل، قال لي، وهو ينظر إلى الشارع: «أتعرف، أعتقد أن هناك، الآن، الكثير من السيارات في المدن.» لا شك أنه لم يكن قد فكّر بذلك من قبل، لانهماكه بأمور أكثر أهمية بكثير. قد راودته إشراقة مفاجئة، وكان يتوفّر على الألق الذهني ليعبر عنها. أما أنا، المقلِّد الصغير، المسموم بأفكار نيتشه في عمله «اللاراهن الثاني»، كنت لأتردّد في قول ذلك، وان كنت قد فكرت به.

الصدمة الثانية من البداهة، تُذهل عموماً أولئك الذين، مثلهم مثلي، يمتلكون مكتبة ضخمة، هي من السعة بحيث أن المرء، وهو يدخل البيت، لا يرى سواها، لأنّ ليس لنا في البيت سواها.

تقدّم الزائر قائلاً: «يا لها من كتب! وهل قرأتها جميعاً؟!». في البدء، كنت أعتقد بأن رد الفعل هذا هو حكرٌ على الناس الذين قلّما يألفون الكتاب، والمعتادين على الرفوف الصغيرة التي تتبوأها خمس روايات بوليسية وثلاثة مجلدات من موسوعة للأطفال. فيما علّمتني التجربة بأن رد الفعل هذا هو، أيضاً، لأشخاص، لا يمكن أن تحوم حولهم شبهة.

ستقولون لي بأن الأمر يتعلق بأناس، تُعتَبَر المكتبة بالنسبة إليهم مستودعاً للكتب المقروءة، لا وسيلةً وعدّةً للعمل. ولكن هذا لا يكفي لتبرير ردِّ الفعل ذاك.

أعتقد أنّ، حيال فيضٍ من الكتب، يأخذ قلق المعرفة بأيٍّ كان ويأسر لبّه، فينزلق حتماً نحو السؤال الذي يعبّر عن آلامه وحسراته.

المشكلة هي أن المرء يتجاوز، في نزوة: «أنت من يجيب دوماً»، الحَرَج بابتسامة صغيرة أو، إذا شاء أن يكون ظريفاً، بالقول «إنّ تلك

طيّبة للغاية!». أمّا بالنسبة للكتب، فأنت مرغم على الإجابة، بينما تشعر بتشنّجٍ يلمُّ بفكّيك، وبعرقٍ باردٍ يسيل على طول عمودك الفقري.

في السابق، كنت أؤثرُ الإزدراء بالسائل، فأردُّ: «كلا، لم أقرأ أيّاً منها، وإلا لماذا سأحتفظ بها هنا؟» ولكن الجواب ذاك كان خَطراً، لأنّه كان يثير ردَّ فعلٍ ظاهراً: «حسناً! وأين تضع تلك التي قرأتها؟» وربّما يكون أفضل الردود هو ذاك الردّ المعياري الذي يردُّ به روبرتو ليدي: «لقد قرأتُ جُلَّها، يا سيدي، جُلَّها»، الذي يصعق الغريم، ويغرقه في حالة من الاحترام والخَدر. سوى أنني وجدت ذلك الجواب قاسياً عديم الشفقة ويبعث على الضيق والحصار. اليوم أتشبّث بالتوكيد: «كلا، هذه هي التي يتعيّن عليّ أن أقرأها هنا بأقرب وقت، والبقية سأودعها الجامعة»، جوابٌ يوحي، من جهة، باستراتيجية مهيبة لتنظيم الشغل تنظيماً منطقياً، ويستدرج الزائر، من جهة أخرى، إلى الاستعجال في لحظة الاستئذان بالانصراف.

(1990)

كيفية تنظيم مكتبة عامة

1. ستكون الفهارس مقسمة كحد أقصى: إذ سيرُاعى فصل فهرس الكتب عن فهرس المجلات، وهذه الأخيرة عن الفهرس حسب المواد، وكذلك فصل الأعمال حديثة الاقتناء عن قديمها، وإذا أمكن، سيكون إملاء هذين الفهرسين الأخيرين مختلفاً: فعلى سبيل المثال، ستأخذ كلمة Hierarchi، الحرف H مبتدأً لها في المقتنيات الحديثة، والحرف I في المقتنيات القديمة؛ ففي المقتنيات الحديثة ستُكتَب كلمة Tchaïkovski بالحرف Č، بينما ستكتبه المقتنيات الحديثة بالفرنسية بـ Tch.

2. ستُحدَّد المواد من قبل أمين المكتبة، ولن تحمل الكتب على غلافها الظاهر بياناً عن المواضيع التي فُهْرِسَت الكتب تحتها.

3. ستكون أرقام الكتب غير قابلة للنسخ ولا متناهية، إن أمكن، حتى لا يجد القارئ أبداً، المكان في بطاقته ليدوّن البيان الأخير الذي يعتقده غير ذي أهمية؛ فيعيد أمين المخزن إليه البطاقة ناقصة البيانات لإملائها من جديد.

4. سيكون وقت الانتظار في حالَتي طلب الكتب وإعادتها طويلاً جداً ومملاً.

5. لن يُعطى المرء أكثر من مؤلَّفٍ واحدٍ في آن واحد.

6. لن يكون متاحاً نقل الكتب المطلوبة بواسطة بطاقةٍ والمستردَّة من قبل أمين المخزن، إلى القاعة الاستشارية، وبذلك سيكون على المرء أن يوزّع عمره بين وقتين أساسيين، وقت القراءة ووقت الاستشارة. ولن تشجِّع المكتبةُ قراءةَ عدّة كتب في آنٍ واحدٍ، ما يجازف بحدوث حَوَلٍ خطير في عَينَي القارئ.

7. ولكثرة العمل وزحمته، ستتباهى الناسخات الفوتوغرافية بعدم توافرها؛ وفي حال وجِدَت واحدة منها، فإن الوصول إليها سيكون مشروعاً طويلاً وشاقّاً، وستفوق كلفتها كلفة صناعة الورق، وستكون كلُّ طبعةٍ محصورة بصفحتين أو ثلاث.

8. سينظر أمينُ المكتبة إلى القارئَ على أنّه عدوٌ، أو كسولٌ خاملٌ (وإلاّ لكان في عمله) أو سارقٌ محتمل.

9. سيكون من المتعذّر على القراء بلوغ مكتب الاستعلامات.

10. وسينهمك الجميع في سبيل صَرف القارئ عن الإقبال على الإعارة.

11. وستكون الاستعارة البينية مستحيلة على المكتبات، أو أنها، في كل الأحوال، ستستغرق شهوراً. ومن الأفضل ضمان إستحالة معرفة ما تحتويه المكتبات الأخرى.

12. ونتيجةً لكل ما سبق، ستسهل السرقات وتتيسّر.

13. وستتطابق جداول مواعيد فتح أبواب المكتبة تماماً مع ساعات العمل، وهي تتحدَّد باتفاق مسبَق مع النقابات: إغلاق تام في يومي السبت والأحد، وفي المساء وأثناء ساعات تناول الطعام. ألدُّ أعداء المكتبة هو الطالب الأجير، أمّا أفضل أصدقائها، البحاثة المحلي، فهو من يملك مكتبة خاصة، وبالتالي لا يحتاج للذهاب إلى المكتبة، والذي سيورث، بموته، كلَّ كتبه للمكتبة.

14. سيكون من المتعذر، أياً كان الأسلوب، إجراء أيِّ تجديد أو ترميم داخل المكتبة، وكذلك خارجها، دون نقل جميع الكتب المستلَمة على سبيل الإعارة، بحيث أننا سنكون مرغمين على استردادها بعد أن نكون قد احتسينا فنجاناً من القهوة.

15. سيكون من المتعذّر على المرء استيقاء كتابه لليوم التالي.

16. سيكون من المتعذّر معرفة من استعار الكتاب الناقص من المكتبة.

17. لكثرة العمل وزحمته، لن يكون هناك مغاسل أو حمّامات.

18. مثالياً، كان ينبغي أن يكون من يستعمل الكتب محروماً من المكتبة؛ وأن القبول بإتاحة دخوله إليها- منتفعاً، على نحوٍ نزقٍ وسمجٍ، بحق مكتَسَب بمقتضى مبادئ 89، والذي لا يزال غريباً عن الوعيِ الجمعي- لا ولن يستوجب أبداً ، في أيِّ حال من الأحوال، سوى العبور السريع في الصالات الاستشارية، والتوجّه إلى خفايا رفوف المكتبة.

ملاحظة: سيكون مجمل الكادر الوظيفي ممّن يشكون من نقص جسدي، إذ من واجب القطاع العام تقديم وظائف للمواطنين المعَاقين (حالياً تُجرى دراسة توسيع هكذا واجب، ليشمل مركز الإطفائيين)، قبل كل شيء، لابدّ لأمين المكتبة المثالي أن يعرج، لكي يطول الوقت الذي تستغرقه عملية أخذ بطاقة طلب الكتاب، والنزول بها إلى السراديب ومن ثمّ العودة منها. أما الموظَّف المكلّف بالصعود إلى السلالم المؤدية إلى الرفوف العُلوية، والتي يبلغ ارتفاعها ثمانية أمتار، فتجدر النصيحة باستبدال يدهم المبتورة بواحدة اصطناعية مزوّدة بكلاّب صغير، وذلك لدواعي الأمان الجليّة. أمّا الموظف المحروم من الأعضاء العلوية تماماً، فسيعيد المؤلَّفَ إلى موضعه على الرفِّ، آخذاً به بين أسنانه (إلاّ أنَّ تدبيراً كهذا يجازف بمنع إعادة المجلدات، التي تقع أمكنتها في الرفوف العلوية، إلى موضعها السابق).

(1981)

إدراك التقاليد

يف تصبح فارساً مالطياً[1]

تسلّمتُ رسالة تحمل عنوان الأخوية السامية العسكرية للقديس حنا المقدسي- فرسان مالطا- الدير المسكوني لسانت ترينيتيه في بديو - مركز قيادة ڤاليت- دير كيبك، تعرض عليّ أن أصبح فارساً طياً. ولو كان لي الخيار، لفضّلت رسالة بابوية من شارلمان؛ أمّا ـ حصل وتبلّغت تلك الرسالة، أطلعت، في الحال، أولادي على ر، ليعلموا أنّ الأوان لم يحن بعد ليُزاح والدهم جانباً ويُهمَل. ثم ثت في مكتبتي عن كتاب شافانجون وغاليمار فلاڤيني، الأخويات أخويات المضادّة للفروسية، باريس 1982، الذي نشر قائمة خويات المنتحلة للصفة المالطية، المنشورة من قبل الأخوية السامية سكرية والاستشفائية الرسمية للقديس يوحنا في القدس ورود لطا، التي مقرها في روما.

هناك ست عشرة أخوية مالطية أخرى، لجميعها تقريباً، الاسم سه مع اختلافات طفيفة، وكلها تعرف بنفسها وتتنكر لنفسها ناوب.

في سنة 1908، أسس بعض الروس أخوية في الولايات المتحدة، ت إلى عهد قريب تُدار من قبل صاحب السمو الملكي الأمير روبرتو

«فرسان مالطا»: أخوية شهيرة. -المترجم-

الثاني باتيرنو آيرب أراغونا، دوق بيربينيان، رئيس البيت الملكي لآراغون، الطامح إلى عرش آراغون وباليار، والمعلّم الأكبر لأخويات إكليل القدّيسة آغاتا لباتيرنو والتاج الملكي لباليار. ولكنّه دانمركي انفصل عن هذه الأرومة، سنة 1934، وأسّس بدوره أخوية أخرى وسلّم خاتمَها إلى الأمير بيير أمير اليونان والدانمارك.

وفي الستينات، أسس منشقٌّ عن الآرومة الروسية، هو بول دوغرانيه دو كاسانياك، أخوية في فرنسا واختار راعياً لها الملك بيير الثاني ملك يوغسلافيا.

وفي سنة 1965، تخاصم الملك السابق ليوغسلافيا بيير الثاني مع كاسانياك وأسّس في نيويورك أخوية أخرى، كان رئيسها الكبير حينذاك الأمير بيير أمير اليونان والدانمارك، والذي سيهجرها لاحقاً للانضمام إلى الأخوية الدانماركية.

وفي سنة 1966، ظهر، كمستشارٍ للأخوية، روبرت باسارابا فون بانكوفان كيمشياشفيلي، والذي أُبعد بعدها، فراح يؤسس أخوية الفرسان المسكونيين لمالطا، والتي سيكون، فيما بعد، راعيها الامبراطوري والملكي، الأمير هنري الثالث قسطنطين دو ڤيغو لاسكاريس أليراميكو باليولوغ دو مونتفيرات، وريث عرش بيزانس، أمير تيسالي، الذي سيؤسس لاحقاً أخوية مالطية أخرى، وهي الدير الأمريكي، بينما حاول باسارابا عبثاً، في سنة 1975، تأسيس أخويته مع دير ترينيتيه دو ڤيليديو، الأخوية التي اتصلت بي.

وبقراءتي المتتابعة، صادفت محمية بيزنطية؛ أخوية أسسها الأمير كارول، أمير رومانيا الذي انفصل عن زُمرة كاسانياك؛ دير عظيم كان كبير قضاتها طونا- بارتيه، بينما أمير يوغسلافيا أندريه - الذي كان في السابق المعلم الكبير للأخوية التي أسسها بيير الثاني - هوكبير المعلمين

دير روسيا (ولكن الأمير انسحب لاحقاً وغيّرت الاخوية اسمها إلى لدير الملكي الكبير لمالطا وأوروبا)؛ أخوية أُسّست في الستينات من نبل أحد بارونات شوابير، وكذلك من قبل ڤيتوريو بوسا، الأسقف لأرثودكسي متروبوليتان بياليستوك، بطريرك الجالية الغربية والشرقية، رئيس جمهورية دانزيغ، رئيس الجمهورية الديمقراطية البيلاروسية، والخان العظيم لبلاد التتار ومنغوليا تحت اسم ڤيكتور تيمور الثاني، ودير عالمي كبير أُنشئ سنة 1971 من قبل المذكور سابقاً صاحب السمو الملكي روبرتو باتيرنو، مع بارون ماركيز آلارو، والذي أصبح شخص آخر من آل باتيرنو راعيها الكبير في عام 1982، هو رئيس البيت الإمبراطوري ليوباردي توماسيني باتيرنو في القسطنطينية، وريث الإمبراطورية الرومانية المشرقية، والوريث الشرعي المكرّس من قبل الكنيسة الكاثوليكية البابوية الأرثوذكسية البيزنطية، ماركيز مونتيابيرتو، والكونت في بلاط العرش البولوني.

وفي سنة 1971، برزت في مالطا أخويتي، وقد نجمت عن انشقاق من أخوية باسارابا، تحت الرعاية السامية لأليساندرو ليكاسترو غريمالدي لاسكاريس كومنين ڤانتيميل، أمير الامبراطورية المقدّسة الرومانية البيزنطية، دوق شاستر، الأمير السامي لديولس وماركيزها، والتي معلمها الكبير هو، حالياً، الماركيز كارلو ستيڤالا دو فلاڤيني، والذي اتّحد، في أعقاب موت ليكاسترو، مع بيير باسلو، الذي استرد ألقاب ليكاسترو، ومن ثمّ، ألقاب صاحب العظمة مطران- بطريريك الكنيسة الكاثوليكية الأرثوذكسية البلجيكية، المعلم الكبير للأخوية السامية العسكرية للمعبد المقدسي، والمعلم الكبير وخادم أسرار الأخوية الماسونية العالمية للطقوس الشرقية القديمة والأولية لممفيس وميسيرايم ريونيس.

أغلقت الكتاب، فلا شكَّ أنه يحتوي على معلومات خاطئة،

ولكنني في كلّ الأحوال، أدركت أنه يتحتّم على المرء أن ينتمي إلى شيءٍ ما، إذا لم يشأ أن يشعر بأنّه الدولاب الخامس للعربة. لقد تمّ حلّ المحفل P2 ، ويفتقر أوبوس دي إلى الكتمان لدرجة أن أسمك سينتهي إلى أن يكون على كل الشفاه، اخترت «الجمعية الإيطالية للمزمار»، فهي موثوق بها وقديمة، ومدهشة وتحظى بالموافقة. إنّها فريدةٌ من نوعها.

(1986)

كيفية كتابة عمل غير مطبوع لـ «غينون»

في غمرة المرحلة ما قبل الانتخابية، عندما كان يُعلن عن التجديد ليمينٍ متعاظم حتى في الأماكن التي كان لا يزال السُذج من كل جنس يفترضون بقاء يسار متضائل فيها، قررت ابتعاث واحدة من عاداتي، وهي عادة قديمة عندي ولكنّها ثابتة، ألا وهي إبداء نقدٍ متخيّل بين الفينة والأخرى (وأودّ كثيراً ألاّ يطالبني القراء - والناشرون- بإيضاحات بيبلوغرافية، مثلما فعلوا آنفاً). واليوم سأستحضر عملاً غير مطبوعٍ لـ ريني غينون، الذي أتمنّى ألا يفوت بصيرة الناشرين المهتمين بنشر الأعمال العظيمة للفكر التنجيمي، ولتناذر الشكّ الكوني.

النص هو بعنوان «التلقين الافتراضي» ويعود إلى الفترة التي أقام فيها المفكر الشهير بين جماعة من الدراويش الدوّارين- الصياحين في البوسفور؛ فإذ أُصيب بالزكام، ولجأ إلى الأقراباذين الشرقي، ارتضى أن يراجع طبيباً من الإرسالية البروتستانتية للقسطنطينية، والذي وصف له معالجةً يستذكرها عنوان المؤلف المذكور.

لقد خضع غينون، الذي كان الشديد الحذر حيال الحداثة ولكنه

كان لا يزال يعاني بشدّة من الآلام المفصلية والعضلية، للتسوية ولكنّه شاء أن يرى في هذا الموضوع تكثيفاً لتلميحات رمزية بارعة.

فالتحميلة الطبية تشتمل على فكرة مسيرة اضطرارية تقودهما، من لخارج - عالم الظاهر- نحو الداخل- عالم السريرة.

إذاً تبدو التحميلة وكأنها الرمز ذاته لعملية الاستبطان هذه، الخاصّة كلٌّ تلقين حقيقي (انظروا إلى العكس، نموذج الصوفي المتزهد، ونموذج أسطورة الكهف الافلاطونية). غير أنّ التحميلة (بما أن الحقيقة تكمن في التناقض) تبدو أيضاً كالوسيط بين عالم النجوم (السماء Ciel - كوالوس koilos - جوف creux - نصف الكرة العلوي للقبة الزرقاء) وعالم الأعماق (جوف creux - كوالوس Koilos حيث يلعب الكاتب على الجناس الظاهر الذي يقرن "c(ie)l" بـ "c(u)l").

وليس من قبيل الصدفة، يلاحظ رينيه غينون، أن للتحميلة شكل مسلّة وأن المسلّة "obélisque" تذكّر بالسرّة "ombilic": فالتحميلة تربط سرّة السماء إلى سرّة الجسد، بفضل رحلة إلى باطن الأرض، عبر شبكة من التجاويف، حيث تتّحد بالسائل الأولي، وتفرض، طيلة هذه الرحلة، الاغتسال (تحميلةٌ - حساءٌ - مَرَقٌ - عملٌ بالأسود[1]). يستدعي موضوع الاغتسال أن تكون المسلاّت الأولى قد شُيِّدَت في لوكسور، التي هي، في آنٍ واحد، فوهة النور (Lux + Os) واوروم (or) صابون لوكس.

أما ميتافيزيقيا الصابون، فتقودنا، من جهتها، إلى إسطورة «التسعة نجوم من أصل عشرة»، وقد استخدمت هذه الآلة البيضاء للاغتسال - وحسب إعلان قديم كان يتضمن مقتطفات من حكمة تقليدية (يذكر

---

(1) رواية للكاتبة الفرنسية الشهيرة مارغريت يورسنار-المترجم-

غينون، في المقطع، النجم العاشر، وهو الاسم الحركي للمنجّم الشهير إيليفاس ليفي، الذي لم يكن أبداً يستخدم الصابون).

إلاّ أن، للتحميلة أيضاً شكل صاروخ: وبما أن الحضارة الأرضية ولدت، كما هو معلوم، من سادة العالم القادمين من كواكب أخرى، وقد رسوا على قمة ماشوبيشو، فإن شعيرة إيلاج التحميلة تستدعي بطريقة شبه طقوسية الهبوط فوق أرض ملك العالم، وتغدو رمز المعرفة المفقودة (المفقودة في باطن الكهوف الجوفية لأغارتا) التي يتعيّن على الملقّن البحث عنها (دون أن يعثر عليها أبداً، لأنها ذابت منذ ذلك الحين في الهيل أو المادة التي يستحيل العثور عليها).

وكشعارٍ لِنور مفقود في أعمق أعماق الدياجير، ولسلام مخلّصٍ ولكنه يستحيل استعادته، ولقوّةٍ مؤثّرة في الداخل، ولكن ليس بوسعها أبداً أن تكون عائدة إلى لوكس الأصلية، تغدو التحميلة، إذاً، رمزاً للريبة والبحث.

ليس من قبيل الصدفة أنّ، في جميع اللغات، دائماً ما يأخذ التخمين والاستفهام والسؤال ومحاولة إعطاء جواب صعب الإدراك، صيغة: «أفترض أنّ (Je suppose, Suppongo, I suppose, ...) (وعبارة "Ich nehme an..." بالألمانية هي تذكيرٌ واضحٌ بالـ «الشرج: anus»).

ينبغي الاعتراف لـ رينيه غينون بامتلاكه فن تقديمه لكم فكراً لا يتجنّب لا الشكّ ولا النقد (وذلك في ضوء اليقينيات التي تتيحها له صلته بالعالم الجوفي).

في الواقع ينتهي هذ النص المشرق حول سؤالٍ لم يعرف المفكّر (أو لم يتجرأ على) الإجابة عليه، وعهد بحلّه إلى الملقّنين الآتين، ألا وهو: نظراً للصلات العميقة بين العلم المصري والمعارف السحرية

كهنة السلتيين، لماذا توجد تحاميل على شكل مسلاّت، وليس على كل دُلْمَنات؟[1]

(1992)

كيفية قضاء عُطْلة ذكية

باقتراب العطلة الصيفية، تدأب الأسبوعيات السياسية والثقافية - هو دأبٌ حسنٌ للمقيم- على أن تنصح، كحدٍّ أدنى، بعشرة كتب ذكية لقضاء عطلة ذكية بذكاء. فهي، فقط، لديها الهوس المزعج باعتبار قارئ أحمقاً: نرى أيضاً كتّاباً - أحياناً من المشاهير- ينهكون أنفسهم بقراءات، ربّما يكون أيّ شخصٍ على ثقافةٍ متوسطةٍ قد أتمّها خلال مرحلة الثانوية.

إذاً، يبدو لنا أو لمن هو أقلُّ نزوعاً نحو الأبوية، من المغيظ إهانة قارئ بإسداء النصيحة إليه، ربّما، بقراءة النسخة الأصلية الألمانية لـ«التجاذبات الانتخابية»[2] أو بروست في الكَوكَبة[3] أو الأعمال اللاتينية للشاعر الإيطالي بيترارك. لابدّ منْ اعتبار أنّ القارئ، نتيجة خضوعه المطوّل للكثير من النصائح الطيبة، قد غدا متشدّداً، ولكن ينبغي إهمال أولئك الذين، ولعدم تمكّنهم من أن يحظوا بعطلة كلفة، يجازفون بالخوض في تجارب شاقّة بقدر ما هي مثيرة.

وسأنصح أولئك الذين يتهيأوون لقضاء ساعات طويلة على

---

1) دُلْمَن: نصبٌ يعود إلى ما قبل التاريخ قوامه حجر كبير مسطح موضوع فوق عدد من الحجارة المنصوبة. -المترجم-

2) من أعمال الكاتب والسياسي الألماني جون فولفغانغ فون غوته. -المترجم-

3) الكَوكَبة Pléiade: جماعة من الشعراء او الكتاب او الفنانين المشهورين، وقد عرف الأدب مجموعتين من الشعراء بهذا الاسم -المترجم-

الشاطئ، بعمل الأب أتاناسيوس كيرشر Ars magna lucis et umbrae، العمل الساحر لمن يودّ، وهو تحت الأشعة تحت الحمراء، أن يتأمل في عجائب النور والمرايا.

كما يمكن العثور على الطبعة الرومانية لسنة 1645 عند بعض تجّار العاديات، لقاء مبلغ يقلُّ، بكل تأكيد، عن ذلك الذي ادّخرته المافيا في سويسرا. ولا أنصح باستعارتها من المكتبة، لأننا قد لا نتمكّن من العثور عليها إلاّ في السفن العتيقة والطوفانية، حيث تنقص أمناء المخازن فيها، عموماً، إمّا اليد اليمنى أو العين اليسرى، فيتهاوون من السلالم إذ يتسلّقونها في مسعى لبلوغ قسم «الكتب النادرة». وثمّة عقبات أخرى، كوزن الكتاب، وهشاشة الورق: فهي لا تصلح للقراءة عندما تصفق الريح المظلات الواقية وتطرحها أرضاً بعنف.

أمّا الشاب المتهيأ للتجوال في أوربا ببطاقة BIGE في قطارات الدرجة الثانية تلك، حيث يضطّر المرء فيها إلى القراءة واقفاً في الممرات المكتظة تماماً، ويده ممدودة من النافذة، فننصحه باصطحاب ثلاثة مجلدات من المجلدات الستة لـ Delle navigationi e viaggi (Einaudi) لـ جيوفان باتيستا راموزيو، إذ سيقرأها وهو يأخذ أحد المجلدات بيده، وآخراً تحت ذراعه، وثالثاً بين الأربية والفخذ. إن قراءة قصص الرحلات أثناء قيامك برحلة، لهي تجربة باهرة، ومثيرة أشدّ الإثارة.

وللشبّان الناجحين (أو الخائبين) في التجارب السياسية، والراغبين، رغم كلِّ شيء، في الاهتمام بمشاكل العالم الثالث، سأقترح عليهم تحفة صغيرة من الفلسفة الإسلامية. فقد نشرت دار أديلفي «كتاب النصائح» لمؤلّفه كايكعوس ابن اسكندر؛ ومن سوء الحظ، أنّ النسخة الإيرانية الأصلية لم تُراعَ بحيث أنّنا فقدنا نكهته تماماً.

بالمقابل، سأنصح، دون أدنى تحفظٍ، بالمؤلَّف المبهج «كتاب السعادة والسعد» لعبد الحسن الأميري، الذي نجد، في طهران، طبعة أصلية منه تعود إلى سنة 1957.

ولمّا لا يقرأ جميع الناس اللغات الشرق أوسطية بيسرٍ وطلاقة، فإن الذين يسافرون بالسيارة سيقرأون «مؤلّفات آباء الكنسية» الدائمة الفضيلة، للقس مين.

وأحذّر أشدّ الحذر من اختيار الآباء اليونانيين حتى المجمع الديني لفلورنسا لسنة 1440، لأنّه سيتعيّن حمل الـ 160 مجلداً من الطبعة الإغريقية – اللاتينية والـ 81 مجلداً من الطبعة اللاتينية، في حين أنها، مع الآباء اللاتينيين حتى عام 1216، تنحصر بـ 218 مجلداً.

أعلم أننا سوف لن نعثر على جميعها في السوق، ولكن بوسعنا اللجوء، دوماً، إلى النُّسخ الفوتوغرافية. ولأولئك الذين لديهم اهتمامات أقلّ تخصصية، سأنصحهم بقراءات جيدة (دوماً بالنسخة الأصلية) من التراث القبالي[1] (الذي لا غنى عنه لفهم الفلسفة المعاصرة).

ويفي عملان أو ثلاثة بالغرض : نسخة من «سفر يزيراه» ، و«زوهار» طبعاً، ثم موز كوردوفيرو واسحاق لوريا، والمدوّنة القبالية معدّة خصّيصاً لتتوافق والعطلة، لأنه لا تزال هناك أسطوانات أصلية ممتازة للأعمال الأكثر قِدماً، تستقر بهناء في قاع حقيبة تُحمَل على الظهر. وهذا عمليٌّ حتى لأولئك الذين ينتظرون، على الطرقات، سيّارة تقلّهم مجاناً.

فضلاً عن ذلك، تؤثّر المدوّنة القبالية تأثيراً بليغاً في «النادي

---

(1) القبلانية : العلم بباطن التوراة. – المترجم –

المتوسطي»: وقد شكّلت المنظّمات الحكومية G.O فريقين يتنافسان في سبيل إنتاج لو غولم[1] Le Golem الأكثر جاذبية.

وأخيراً، لأولئك الذين قد تستعصي عليهم العبرية، هنا دائماً، Corpus Hermeticum «المتن الهرمسي»[2] والكتابات الغنوصية، (من الأولى اختيار فالنتين، بما أن بازيليد غالباً ما يكون شديد الإطناب والتهيج). إذاً، لديكم كل ما يلزمكم لقضاء عطلة ذكية. وإلاّ، غنيٌّ عن الجدال، فاصطحبوا غروندريس والأناجيل المختلفة، دون أن تنسوا الأعمال غير المطبوعة لبيريس، المكتوبة على بطاقات مصفرَّة. على كلٍّ حال، لا يمكن التعامل مع أسبوعية ثقافية باعتبارها نشرة إعلامية مدرسية.

(1981)

كيفية كتابة تتمّة عملٍ أدبي

في سنة 1991، كتبت لورا غريمالدي «مسيو بوفاري»[3] روت فيها ما جرى لشارل بعد وفاة إيما، وحقّقت المدعوة ريبلاي (وهي على الأرجح إحدى شخصيات باتريسيا هايسميث) نجاحاً باهراً مع فيلم «سكارليت» وهو تتمّة «ذهب مع الريح». من أوديب إلى كولون في العشرين سنة التالية، اكتسبت التجربة رسالتها النبيلة.

وقد نصح لي جيامباولو بروني، الذي برهن عبر عمله «مشكلة الحاسب آسيا» على أنه كان يجيد اختراع آلات حابكة للعمل الأدبي، أن أقدّم بعض التتمّات لروايات شهيرة.

---

(1) فيلم سينمائي حقّقه بول فيجنر، 1920-المترجم-.

(2) أو المدوّنة الهرمسية. -المترجم-

(3) إشارة إلى أنّها تتمّة لرواية الأديب الفرنسي فلوبير الشهيرة «مدام بوفاري» - المترجم-.

مارسيل مَنْ ؟

بعد أن أنهى عمله الميسوم بـ «الزمن»، قرر راوي بروست، الذي أضناه الربو وأنهكه، أن يستشير عالِماً شهيراً في علم الاستهداف من الشاطئ اللازوردي الذي قصده بسيّارته. ولعدم خبرته في قيادة السيارة، وقع ضحية لحادث مروّعٍ، فقد في اثره ذاكرته بشكلٍ شبه كامل، جرّاء ارتجاج دماغي. وقد عولِجَ من قبل الكسندر لوريخا الذي حثّه على تطوير تقنية المونولوج الداخلي وتنميتها. ولمّا لم يَعُد للراوي أيُّ إرثٍ ذاكريٍّ يناجي نفسه حوله، وبما أنّه لا يحسن تمييز الإدراكات الحسيّة الراهنة، نصح إليه لوريخا بأن يتمرّن على المونولوجات الباطنية في «أوليس» لجويس.

وبصعوبة بالغة قرأ الراوي، الرواية الشاقّة التي لا تطاق، وابتنى (أنا) وهمية، واسترجع ذكرياته انطلاقاً من اللحظة التي زارته فيها جدّته في مجمع كونغلوز وود Conglowes Wood. واستعاد قابلية مدهشة وبارعة في الحسّ المتزامن[1]، وذكّرته الرائحة الوحيدة لدهن الخروف لشيبردز باي بأشجار فونيكس بارك، وبجرس كنيسة شابيليزود. مات سكّيراً، مزوّداً بسجلٍّ غينيس أمام بابِ لإكليز ستريت.

مولّي

عندما استيقظت مولّي بلوم من رقادها القلق، صبيحة 17 حزيران 1904، وجدت ستيفان ديدالوس، في المطبخ، يعدّ القهوة. فانصرف ليوبولد بلوم للانشغال بشؤونه الغامضة، وربمّا أراد أن يتركهما لوحدهما سويّاً. كان وجه مولّي منتفخاً من الرقاد، ولكن ستيفان، الذي هام بها في الحال، رآها كحورية بحر مذهلة. ألقى عليها قصائد

---

(1) synesthésie – حِسٌّ متزامن: تداعٍ تلقائي بين إحساسات مختلفة، يبدو أنها تتداعى فيما بينها من مثل عطرٍ معيّنٍ يذكّر بلونٍ معيّن-المترجم-.

بعشرة فلوس، فارتمت مولّي بين ذراعيه. قرّرا الفرار معاً إلى بولا ومن ثم إلى تريبست، يلاحقهم باستمرار بلوم المتنكّر في هيئة رجل يرتدي المعطف مكنتوش.

نصح إيتالو سفيفو في تريبست، ستيفان بأن يكتب قصّته ومولّي، وقد شجعته مولّي الطموحة أشدّ الطموح على ذلك. وعلى مرّ السنين، كتب ستيفانو روايته «تيليماك» المدهشة. بعد أن أنهى كتابة الصفحة الأخيرة، هجر نصّه، وفرّ مع سيلفيا بيش. عثرت موللي على المخطوطة، فقرأتها واستغرقت فيها بكلّ كيانها، وأَلِفَت نفسها من جديد في النقطة التي انطلقت منها، تتقلّب قَلِقَةً في سريرها في دبلن، ليلة 16/ 17 حزيران 1904.

سارت مولّي، التي استشاطت غيظاً وجنّ جنونها، في أثر ستيفان إلى باريس، وفي شارع الأوديون، أردته بثلاث طلقات مسدّس على عتبة شكسبير أند كو، هاتفةً: "Yes, yes, yes!"، ثّم فرّت ودخلت، خطأً، في قصّة مصوّرة لهوغو برات واكتشفت في سريرها بلون الذي كان يمارس الحبّ- في آنٍ واحدٍ- مع آنا ليفيا بلورابيل، ولينين وسام سباد وكورتو مالتيز. فانتحرت هائجة ثائرة.

PLAY IT AGAIN SAM

فيينا، 1950، لقد مضت عشرون سنة، لكن سام سباد لم يتنازل عن احتجاز الصقر المالطي. والآن، هاري لايم هو صلة وصله، ويعكف الإثنان على تدبير مؤامرة محكمةٍ على براتر.

قال لايم: «لقد وجدت طريقة». نزل الإثنان وارتادا مقهى موزارت، حيث كان أحد السود يعزف في ركن قصيٍّ منها على قيثارته أغنية "as time goes by". بينما يجلس ريك، مقطباً تعتصره المرارة ويأخذ بين شفتيه سيجارة، إلى طاولة في عمق المقهى. لقد عثر على

ت بين الوثائق التي عرضها عليه اوغارت، وعرض على سام سباد رة لاوغارت: «إنّه كيرو!»، همس المخبر. فردّ لايم هازئاً: «أمّا فقد عرفته باسم بيتر لور».

تابع ريك: في باريس، التي كان قد دخلها مظفّراً خلف ديغول الكابتن رينو، كان قد أفصح عن وجود جاسوسة أمريكية تدعى دة شانغاي، والتي كانت المخابرات السرية قد أطلقتها لتتعقّب آثار قر. وكان يحكى أنّها كانت قد قتلت ڤيكتور لازلو في لشبونة. ن عليها أن تحضر بين الفينة والأخرى. انفتح الباب وظهر شبح ي. «ايليز! صرخ ريك. - بريجيد! هتف سام سباد. -آنا شميديت! خ لايم. - مِس سكارليت! صرخ الأسْوَد، مكفهراً وكأنّ الرجال وّنين وحدهم يعرفون الكائن عندما يَشْحَبون، ، ها قد عدّتِ! فلا ي إلى سيدي بعد الآن!».

بدرت من السيّدة ابتسامة غامضة مبهمة: «إذاً، لم يحزر أحدٌ م؟ ومع ذلك، فقد عرفتموني فيّ دبلن، حينما كنت أُدعى مولّي.»

«لقد خُدِعتُ للمرة الثانية»، تلعثم سباد وهو يكزُّ على فكّيه، في ن كان لا يزال مظهره ينمّ عن صرامة ورباطة جأش. «هٰذا شنيع، هاري لايم، إن الصقر، من الآن وصاعداً، في حوزة سيلفيا بيش. ئاساً من الكونياك» طلب ريك من النادل، ممتقع الوجه مقطب بين.

من عمق الحانة، برز شبحُ رجلٍ قصير وبدين، يمسك غليونا نانه ، ويرتدي مشمعاً رثّاً وقُبّعة متهالكة. «إذن، كانت مدام ميغريت ، حق، أنتِ هنا، هيا بنا يا تيريز ديكيرو، المكتب الثاني ينتظرنا في برى.»

كيفية الردّ على السؤال:
«كيف حالك»

إيكار: «أنا أَنتصب.» بروزيربين: «أنا في الدرك السادس والثلاثين.» تيزيه: «أعرِجُ قليلاً» أوديب: «المسألة معقّدة»، داموقليس: «يمكن للحال أن تكون أسوأ.» برياب: «أقف في الطابور»، اوليس: «أعود بالتّتالي.» هوميروس: «أرى الحياة كالحة.» هيراقليط: «لابأس، لابأس..»

بارمينيد: «الحال ليست على ما يُرام.» طاليس: «فمي مليء بالماء.» إيبيمينيد: «قد أكذب، إن أخبرتك عن حالي.» غورغياس: "Bof." ديموستين: «صع صع صعبٌ على القَ القول.» فيثاغورث: «كلُّ شيء بزاوية قائمة،» أبوقراط: «بمقدارِ ما لنا من الصحّة...» سقراط: «لا أعرف.» ديوجين: «حياةٌ كلبٍ.» أفلاطون: «الحال مثالية.» أرسطو: «في أحسن حال.»، بلوتين: «الحال بغاية الكمال.» كاتيلينا: «مادام الحال مستمرّة..» موسيوس سكافولا: «أحتاج إلى مساعدة.» ماركوس آتيليوس ريغولوس: «لا أساوي مسماراً.» كينتوس ماكسيموس فابيوس: «لحظة...» يوليوس قيصر: «انظروا إلى سحنتي المحمرّة.» لوسيفير: «يعلم اللّه ما عليه الحال.» جوب: «ليس لديّ ما أتذمّر منه.» جيريمي: «الحال مثيرةٌ للرثاء.» نوح: «هل تعرفون شركة تأمين جيدة؟»، أونان: «أَقنَعُ بالقليل»، مواييز: «أوه! حسبك!» القديس انطوان المعظّم: «حسب رؤيتي للأمور..»، كيوبِس: «ما دام لدينا

مكان صغير تحت الشمس...» شهرزاد: «سأقول لك ذلك باختصار...»

بويس: «نتعزّى قدر المستطاع.»، شارلمان: «كي أكون صريحاً، الحال على ما يرام.» دانتي: «أنا في السماء السابعة.» آفيرويس: «بخير، بسوء.» آبيلار: «لا تغلط!» جانّ دارك: «يا له من سعير!» القديس طوما الأكويني: «حاصل الكلام، بخير؟» غيوم دوكّام: «بخير، أَفتَرض.» نوستراداموس: «متى؟» إيراسم: «في أحس حال.» كريستوف كولومبس: «لم أعد ألمس الأرض.» ألبرتي: «لدي آفاق طيّبة» كوبرنيك: «بخير، بفضل السماء.» لوكريس بورجيا: «هل أقدّم لكم شيئاً تشربونه؟» جيوردانو برونو: «بمنتهى الخير.» لوران دو ميديسيس: «رائع.» ديكارت: «بخير، أظنّ»، بيركلي: «بخير، يبدو لي ذلك» هيوم: «بخير، أعتقد» باسكال: «وأنت؟ بخير، أراهن» هنري الثامن: «أنا بخير، زوجتي هي التي...» غاليليه: «الحال تدور دائرياً.» تورّيسيلّي: «أنا في يسر وعسر.» لو بونتورمو: «بخير، على أيِّ حال» ديديمون: «أَلاّ ترانا نختنق؟» ڤيڤالدي: «هذا يتوقّف على الفصول» لو غريكو: «كلُّ شيء يسير موارُبةً.» نيوتن: «سؤالكْ يسقط شاقولياً.» ليبنيز: «ليس بالإمكان أفضل ممّا كان.» سبينوزا: «إجمالاً، بخير.» شكسبير: «كما سيروق لك.» هوبس: «أتضوّر جوعاً.» فونتيل: «البعض بحال جيدة، والبعض بحال سيئة.» ڤيكو: «الأمر عندي دَوْري.» بابان: «الحال تسير بكلِّ سرعة!» مونولفيه: «أضغط!»، فرانكلين: «رائع!»، روبسبير: «لقد جنَنْتَ!» مارات: «اني أغرق!» كازانوڤا: «اللذّةُ كلّها لي» شيلمان: «الحقيقة، كلُّ شيءٍ على ما يُرام.» بيتهوڤن: «الحال بالكتمان.» شوبير: «أتحبُّ سمك التروتة؟» نوڤاليس: «جميلٌ جداً.» ليوباردي: «الحال في منتهى السوء.»، فوسكولو: «أكتب رسالتي الأخيرة.» مانزوني: «بفضل الله، بخير.»

ساشير- مازوخ: «بفضل الله، الحال سيئة.» ساد: «بخير، بشكل مثير.» دالامبير وديدرو: «من المستحيل الإجابة بكلمتين.» كانط: «سؤال حَرِج.» هيغل: «بالإجمال، بخير.» شوبنهاور: «ليست الإرادة ما نعدمها.» كامبرون: «أردُّ عليك بخمس رسائل...» ماركس: «ستكون الحال أفضل غداً.» بانياني: "Allergo ma mon troppo" غاريبالدي: «أفضل بألف مرة.» داروين: «نتكيّف.» ليفنغستون: "Will, I presume" نيشته: «ما بعد الخير، شكراً.» بروست: «لنعطِ من الزمن للزمن.» هنري جيمس: «هذا يتوقّف على وجهات النظر.» كافكا: «أعاني من السوداوية!» موزيل: «يغمرني القلق.» جويس: "Fine. yes, yes, yes" جيد: «سؤالٌ باطل.» مارغريت دوراس: «بخير، قسراً بخير.» نوبل: «يجري الأمر على ما يرام.» لاروس: «بكلمة، كما بمائة كلمة، الحال سيئة.» ماري كوري: «أنا مشعّة!» دراكولا: «وريدي يؤلمني.» بوول: «الحال، إمّا بخير، وإما سيئة.» ڤيتغنشتاين: «الأفضل ألاّ نتحدث عن ذلك.» كانتور: «على العموم، بخير.» بيكاسو: «هذا يتوقف على العصور.» لينين: «ما العمل في نيسان؟» هتلر: «ربّما وجدّتُ الحل.» سوتبي: «بخير، من قال أفضل؟» أرنست بلوخ: «بخير، آملُ ذلك.» غالوب: «سؤال لا يمكن سبره.» فرويد: «وأنت؟»، دانّونزيو: «الحال تسير بشهوانية.» بوبَر: «برهن على أنّ حالي سيئة.» لاكان: «بخير.» كاردوسّي: «ستكون الحال بخير.» اونغاريتّي: «بخير(في أول السطر) شكراً.» فيرمي: «أنا في مرحلة انشطارية.» فوكو: «مَنْ؟» سبيلبرغ: «هل لديك هاتف؟» كونو: «بخير شكراً، شكراً بخير، ببشر خكراً، خيرب، رشكاً، فشكيب، متضرّعٌ، محاطٌ بهالة.» كامو: «سؤالٌ عبثيّ.» ميشيما: «بطني فارغ.» ايشمان: «أُعيد قراءة فيلّون.» بيتان: «اوه! ها أنت هنا!» بيتيكانتروب: «ايريكتوس سوم.» ماتوسالم: «لا يستعيد المرء شبابه.»

ميتريدات: «نتعوّد على كلِّ شيء.» كريسيبّي: «إذا كان الوقت نهاراً، أكون بخير، ولمّا كان الوقت نهاراً، فأنا بخير.» أبوليه: «هي- هاه!» يوحنا المعمداني: «سأكون بخير، أراهن على ذلك بقطع رأسي» كليوباترا: «مرّة أخرى، سآخذ الصِلّ طواعية.» المسيح: «أبعَث من جديد.» لازار: «الحال تسير.» جوداس: «ممكن قُبْلة؟» بيلاطوس: «أين منشفتي؟» القديس بطرس: «لقد أضعتُ مفاتيحي.» القديس يوحنا: «آبوكاليبس ناو!» نيرون: «كلّي نار كلّي لهب.» فيليبيديس: «ألهث تعباً.» سان لوران: «أنا على جمرٍ متّقد.» قسطنطينن: «لقد رفعتُ صليباً.» محمد: «الحال سيئة، سأذهب إلى الجبل.» فردريك الأول بربروس: «أنا في الحمية.» سافونارول: «أفرطُ في التدخين.» جيروم بوش: «بخير، بفضل كلّ العفاريت!»، سيرانو: «تقريباً، بخير.» ڤولتا: «تقريباً...» جاكارد: «أقضيها ذهاباً وإيّاباً.» بو: «بخلاف العادة.» مالتوس: «أوْزِن أقوالك!» ڤينكلمان: «سؤال تقليدي.» نابليون: «أشعر أنني منفيّ.» ديغول: «اعذرني لدي مكالمة.» ديكنز: «الأوقات عصيبة ولكن لدي آمال كبيرة.» بيلليني: «الحال تسير بشكلٍ طبيعي.» داغير: «أنا في قلب التطور.» لوميير: «حذار!» أجاثا كريتسي: «خمّن.»، إينشتاين: «نسبياً بخير.» فيرجينا وولف: «آمل أن يكون الجو جميلاً غداً.» ماكلوهان: «وسط وسط.» إليوت: «أنا آسف.» هايدغر: «واز هيست غيهِن؟» أوستَن: «بخير، أقسم على ذلك.» سيرل: «هل هذا سؤال؟» بارنار: «أعمل بنشاط.» روبيا: «جسدياً بخير.» للإخراج: ليونارد، الذي اكتفى بأن ابتسم ابتسامة غامضة.

كيف سيكون بوسع المرء العودة إلى الوراء في المستقبل

لقد أعلنها علماء الاختصاص مراراً: من الممكن التنقّل، من الناحية النظرية في الأقلّ، في الزمن، بالرغم من الصعاب التقنية التي من المحتمل أن تعصى على التجاوز، والتي لا تزال تشكل عقبة كأداء في سبيل هذه المسألة. ولأنني لا أمتلك أيَّ كفاءة أو أهلية في هذا الموضوع، سوف لن أبدي رأيي في تصريحات العلماء هذه. ومع ذلك، ورغم جهلي بها، إلاّ أنّها لم تفاجئني حقاً، إذ إنني أتذكر أن هانس ريشنباخ، مثلاً، كان يتصدّى، منذ سنة 1956، في رائعته "The direction of time" لأبحاثٍ تُظهر بأنه من الممكن أن يتغير معنى الزمن الموَجَّه، على المستوى ما تحت الذرّي.

لا ريب في أنَّ التوكيد بأنّ بوسع الذرات التنقّل إلى الأمام وإلى الخلف داخل الزمن، لا يضمن لنا القدرة على فعل الشيء ذاته. ولكنه يمكّننا، على الأقلّ، من أن نحدس في فتحٍ محتَمَلٍ.

الرهان واضحٌ، ألا وهو أنّ الاهتمام ليس كبيراً لدرجة الذهاب لرؤية ما سيكون عليه عام 3000 (الأرض معرّضة لأن تكون في حال يُرثى لها، فكروا بـ هـ. ج ويلز) وإنما الأحرى للتنقّل بالعكس، وذلك، ليس لما للماضي من سحرٍ أكيد، وإنما لأن السير عكس الزمن يدع المرء يأمل في أنّ يكون بوسعه إرجاء الموت وتأخيره.

والحال هذه، لا يقوم التنقّل سوى بديلٍ: فإمّا أن أبقى الأنا

غادرة وأحفظ عمري، وفي هذه الحالة، وحتى أثناء العودة إلى لف، سأسير نحو انحطاطي الجسدي، وأجازف، إضافة إلى ذلك، لاقاة ذاتي السابقة، وهذا موقف مربكٌ إن حصل؛ وإمّا أستعيد ابي، أَجَلْ ولكن ليس كثيراً، تحت طائلة ألاّ يكون ذلك أكثر من تمال وراثي في الحمض النووي ADN لوالد جدّي. لنفرض أنني تُ، لنَقُلْ إلى سنة 1940: في هذه الحالة سأجد نفسي صبياً، ولكن عقلي آنذاك، بحيث أنني سأكون غير قادر على الاستفادة من الخبرة ي عشتها؛ دون الأخذ في الحسبان بأنّه في تلك الفترة الزمنية، لم ن التنقّلات في الزمن قد تطورت، وقد لا يعود بوسعي العودة نحو ستقبل (من جهة ثانية، ولمّا سأكون طفلاً غير واعٍ، فقد لا أرغب العودة إلى تلك النقطة التي لن أعود منطلقاً منها).

والخلاصة هي أنّ مسايرة الزمن، أيّاً كانت الجهة التي يأخذها رء، تنطوي على مخاطر جمّة.

لقد قرأتُ، لم أعُدْ أدري أين، محاكمة منطقية قد تكون حريّةً بحلّ ه العقدة المستعصية، تقول المحاكمة: اليوم، نحن على يقينٍ من م إجادة التنقّل في الماضي، غير أننا مُتأكّدون من أنهم لن يكونوا رين على ذلك لوقت أطول، وإن كان ذلك سيكون في المستقبل بعد. في الواقع، لو أنّ شخصاً ما كان يستطيع في المستقبل (كلاّ، ن قد استطاع، كلاّ، سيكون قادراً على، كلاّ، الأحرى أيضاً، يكون أصبح قادراً على- أوف! انظروا كم تختلط الأزمنة الفعلية هي ماً)، في المحصلة، اعذروا التعبير الجديد، ولكن لو أنَّ شخصاً ما ستطيع، في المستقبل، أن يتنقّل بشكل معاكس، قد نعرفه لأنه قد لا ل يكون هنا. وبالتالي، نحن أبداً لم نرَ متنقّلين باتجاه معاكس.

طبعاً أثارت تلك المحاكمة العديد من الاعتراضات من بينها عتراض التالي: على افتراض أن شخصاً ما استطاع، في عام

20000، أن يسير عكس سير الزمن، ولكن لألف عام فقط، فقد لا يعرفه (أو لم يعرفه) سوى من كان يعيش سنة 19000، وليس نحن من نعيش الآن. يمكن الإدلاء بفرضية آخرى، ألا وهي أن سكان المستقبل يعرفون (عرفوا) منذ زمن بعيد التنقّل في الماضي، وهم، فعلياً، بيننا منذ إنسان النياندرتال؛ ولكنهم، بأمر من سلطات المستقبل، ممنوعون عن هويتهم المستقبلية. إنّهم بيننا من قَبل، ولكننا لا نعرف ذلك. هل تتخيّلون رجوع التفاؤل الذي قد تسبّبه فرضية كهذه لهؤلاء السياسين والصحفيين المتربصين بأدنى مؤامرة وبدوافعها الخفية؟

تأتي مصائبنا كلّها من هؤلاء الزوّار السريين. وماذا لو كان أندريوتي وكراكسي وتابي من بينهم؟ ولكن هل سيكون بوسعهم فعل ما فعلوه (إذا ما فعلوه) وقد سبق وقرأوا في صحف المستقبل بأن كل شيء قد ينتهي بتقدّمهم؟ وماذا لو كانوا، على العكس، يبلغوننا من الماضي؟ وكيف سنعيّن لزوار المستقبل أخصائيين في الاستطلاعات، نظراً لأنّهم حتماً يخطئون؟ يُضاف إلى ذلك أنه سيكون على زوار المستقبل هؤلاء أن يعملوا على الدوام في سبيل الفضيلة الوحيدة للإنسانية: ففي الواقع، إذا كانوا يرتكبون أخطاء لا يمكن تصحيحها، فإنهم سيعدّون مستقبلاً (سيكون حاضرهم) شديد القتامة (لهم، وليس لنا).

الآن، ألجأ إلى الفرضية المتطرفة التي تقول: لقد كانوا دائماً حاضرين بيننا، وهم من كانوا يعرفون كثيراً من الأشياء. لا ريب في أن مخترع الفأس الصواني، سقراط وكوبرنيكوس وباستور وإنشتاين.. إلخ كانواً أكثر ذكاءً منّا: الأرض تدور، $E = Mc^2$، كلُّ هذا، تعلّموه في المدرسة حينما كانوا صغاراً، جهدٌ طيّبٌ! فربّما خفّف هذا الاعتبار من الغيرة والحسد بين الجامعات.

ثمة مشكل واحد فقط، وهو: لو أن جميع العبقريات تأتي من

مستقبل، ماذا سيفعلون (ماذا كانوا سيفعلون) ليصبحوا عباقرة، إذا ان لا أحد في الماضي، يساوي عِدْلَ مسمارٍ صدئٍ، وما كان من ممكن نقل أدنى خبرة جديرة بالاهتمام إليهم؟

(1995)

كيف يوظّفُ المرءُ وقته

إذا ما اتّصلت بطبيب أسناني لتحديد موعد في عيادته، وأكّد لي نه لم يعد لديه حتى ساعة واحدة، على مدار الأسبوع المقبل، يتفرّغ يها لي، سأصدّقه. فهو مهنيٌّ محترف جدّي يعرف قيمة الوقت أهميته. حينما أُدعى إلى مؤتمر، أو إلى طاولة مستديرة للبحث، أو دارة عمل جماعي، أو لكتابة بحثٍ، أو للمشاركة في لجنةِ تحكيم، أجيب بأنّه لا أتوفّر على وقتٍ أبذله لذلك، لا يصدّقني أحدٌ، وأتلقّى ردّ التالي: «هيا يا صديقي العزيز، إنَّ أمثالك يجدون دائماً وقتاً لذلك.» فطبعاً نحن من نشتغل على العلوم الإنسانية، لا نُؤْخَذ مأْخَذَ محترفين جادّين بل يُنظر إلينا كأناسٍ كسالى تنعم بالاسترخاء.

وإذ أجريت من جهتي عملية حساب للوقت الذي تقتضيه شغالاتي، وأدعو زملائي إلى أن يحاولوا ذلك من جهتهم، وأن خبروني، إن كان حسابي صوابٌ ودقيق أم لا. فالسّنة غير الكبيسة قدر بـ 8760 ساعة. وإذا ما اعتبرنا أني أقضي منها ثماني ساعات لنوم، وساعة للاستيقاظ والاستحمام، ونصف ساعة لارتداء البيجامة وضع زجاجة مياه معدنية على طاولة السرير، وأخيراً ساعتان لا أكثر وجبات الطعام، يصبح مجموعها: 4170 ساعة، وإذا ما أضفنا ساعتين، تستغرقه التنقّلات يومياً في المدينة، يساوي مجموعها 730 ساعة.

ومع ثلاثة دروس أسبوعية، مدّة كلٍّ واحد منها ساعتان، إضافة للوقت المخصّص، بعد الظهيرة، لاستقبال الطلبة، ومن ثمّ تأخذني الجامعة لما يقارب عشرين أسبوعاً، تستغرقها الدروس، و220 ساعة من التدريس، يضاف إليها 24 ساعة للامتحانات، و12 ساعة من المرافعة عن أطروحة ومناقشتها، و78 ساعة تمضي بين الاجتماعات والمجالس المختلفة. وبواقع ما يقارب خمس أطروحات سنويةً، تتألف كل واحدة منها من 350 صفحة، وتُقرأ كلّ صفحة، في الأقل مرتين، قبل وبعد المراجعة، وتستغرق قراءة الصفحة الواحدة، في الأقلّ 3 دقائق، أبذل لها 175 ساعة. ولأنني أترك البيانات للمعاونين يتكفّلون بها، سوف لن أحسب منها سوى أربعة في دورة امتحانية، كل واحد منها يتألّف من ثلاثين صفحة، تستغرق الصفحة الواحدة خمس دقائق بين القراءة والمناقشة التمهيدية، تمضي فيها 60 ساعة. ومن دون الأخذ في الحسبان الأوقات التي يحتاجها عملي البحثي، أُفضي إلى 1465 ساعة.

أُدير المجلة السينمائية VS التي تصدر منها ثلاثة أعداد في السنة، تضمُّ، إجمالياً، 300 صفحة سنوياً، دون الأخذ بالحسبان المخطوطات المقروءة والمكتوبة، بواقع عشر دقائق لكل صفحة (من تقييم، ومراجعة، واختبارات)، أقضي فيها 50 ساعة، وأهتم بمجموعتين متعلّقتين باهتماماتي العلمية. وبحساب ستة كتب سنوياً، تضم حوالي 1800 صفحة، وبواقع عشر دقائق للصفحة الواحدة، يصبح مجموع ذلك 300 ساعة. أمّا ترجمات نصوصي وأبحاثي وكتبي ومقالاتي وأعمال المؤتمرات التي شاركت فيها، وبحساب فقط اللغات التي يمكنني التدقيق فيها، قدّرتُها وسطياً بـ 1500 صفحة سنوياً، بواقع عشرين دقيقة للصفحة الواحدة (من قراءة، وتدقيق مع النص الأصلي، وحديث مباشر مع المترجم، عبر الهاتف أو الرسالة) فيأخذ ذلك 500 ساعة، وهناك الأعمال بنسخها الأصلية.

وإذا افترضنا أنني لست عاكفاً على تأليف كتاب، فإنّ الأبحاث والمؤتمرات والتقارير وإعداد المحاضرات.. إلخ، تأخذ من وقتي بسهولة 300 ساعة. بالنسبة لـ "Bustina di Minerva"، فبين العثور على الموضوع وأخذ الملاحظات، ومراجعة بعض المؤلفات، وكتابتها واختصارها إلى الحجم المناسب لها، ونسخها أو إملائها، أقدّر الوقت الذي أبذله، وهذا بتفاؤل، بثلاث ساعات، أضربها بـ 52 أسبوعاً، فيكون المجموع: 156 ساعة (دون المقالات الطارئة). وأخيراً، هناك البريد، الذي أخصّص له ثلاثة صباحات في الأسبوع، من الساعة التاسعة وحتى الواحدة ظهراً، دون أن أنجح في تَهْويسِهِ، فيأخذ مني 624 ساعة.

لقد قدّرت أنّه، من عام 1987، وبتلبية 10% فقط من العروض، وباقتصاري على مؤتمراتٍ حول العلم الذي أهتمُّ به، وعلى عروض أعمالٍ أُديرت من قبل مساعديَّ أو من قبلي شخصياً، وعلى إثباتاتِ حضورٍ لا تُحَدّ (احتفالات جامعية، اجتماعات تدعو إليها الوزارات المختصة)، قدّرت بأن مجموع ساعات حضوري الفعلي (أتغاضى عن الأوقات الضائعة) قد بلغ 372 ساعة، وبما أنّ معظم هذه الالتزامات كانت في الخارج، فقد قدَّرت الوقت الذي استغرقته الأسفار بـ 323 ساعة. يأخذ الحساب بالاعتبار أنّ رحلة من ميلانو إلى روما تستغرق أربع ساعات، بين التاكسي إلى المطار والانتظار فيه والسفر، ومن ثمّ التاكسي إلى روما، والإقامة في الفندق، والانتقال إلى مكان الاجتماع. أمّا الرحلة إلى نيويورك فتستغرق 12 ساعة.

تنجم عن ذلك حصيلة إجمالية مقدارها 8094 ساعة. وإذا ما حُسِمت من الـ 8760 ساعة، وهي إجمالي الوقت الذي تشتمل عليه السنة، فتبقى 666 ساعة، أيْ ساعة وتسعة وأربعون دقيقة لكلِّ يوم أقضيها كالتالي: الجنس، تبادل الأحاديث مع أصدقائي وعائلتي،

المشاركة في جنازات، معالجات طبية، تسوّق ورياضة ومسرح. وكما نرى، فانني لم أحسب وقت قراءة المطبوعات (الكتب، المقالات، القصص المصوّرة). وعلى افتراض أنني قرأت خلال تنقّلاتي، التي استغرقت 323 ساعة، بواقع خمسة دقائق للصفحة الواحدة (قراءة خالصة وبسيطة وحواشي)، فيكون لدي إمكانية قراءة 3876 صفحة، وهي ما توازي فقط 12,92 كتاباً، إذا كان الكتاب الواحد مؤلّفاً من 300 صفحة.

وماذا عن التبغ؟ إذا كنت سأدخِّن بواقع 60 سيجارة في اليوم، وأقضي نصف دقيقة في البحث عن العلبة، ومثلها في الإشعال والإطفاء، فهذا يساوي 182 ساعة، وبما أنني لا أتوفّر عليها سيكون علي التوقّف عن التدخين.

(1988)

كيفية التهيؤ للموت بصفاء وطمانينة

لست واثقاً من أنني أبدو على غرابةٍ كبيرة، عندما أؤكّد بأنَّ واحدةً من أمهات المسائل تتمثّل في مواجهة الموت. وإذا كانت المسألة عسيرة بالنسبة للكفرة (كيف سيواجهون العدم الذي ينتظرهم؟) فإن الإحصائيات تثبت بأنها تشمل الكثير من المؤمنين أيضاً. فإيمانهم بحياة تعقب الموت لا يمنعهم من أن يروا في الحياة التي تسبق الموت متعةً وهناءً، من المكروه هجرها. كما ويرغبون بكل جوارحهم في الالتحاق بجوقة الحوريات. ولكن بأقصى ما يمكنهم من التأخير.

ماذا يعني «الوجود-من أجل- الـ - موت» ذلك هو السؤال البديهي الذي يثار هنا. وطرحه، هو، بكل طيبة خاطر، بمثابة الإقرار بأنّ البشر فانّون. وهذا قول هيّنٌ ما دام الأمر يتعلّق بسقراط، ولكن، ما إن يتعلّق الأمر بنا، حتى يختلف تمام الاختلاف.

وأكثر اللحظات صعوبة ستكون تلك التي سنعرف، فيها، بأننا في هذه اللحظة موجودون، وبأننا، في لحظة تالية، سوف لن نعود موجودين أبداً. مؤخّراً، سألني طالب مهتمٌّ (يُدعى كريتون) :«كيف نتهيأُ جيداً للموت، يا أستاذ؟»

– «ثمّة حلٌّ وحيد، أن يكون المرءُ مقتنعاً بأنّ الناس جميعاً هم من البلهاء» أَجَبْت.

أمام ذهول كريتون، شرعت في تبرير رأي.

«هل ترى، كيف يمكنك السير إلى الموت، حتى وإن كنت مؤمناً، إذا كنت تفكّر، لحظة وفاتك، بأنّ شباناً من الجنسين يترعون بالجمال والشهوة، يرقصون في حانة ويتلهّون بجنون، وأنّ علماء اختصاصيين مستنيرين يكتشفون آخر أسرار الكون، وأن سياسيين نزيهين يجتهدون في خلق مجتمع أفضل، وأن صحفاً وأقنية تلفازية لا ترمي سوى إلى هدف وحيد هو إعطاء معلومات جديرة بالاهتمام، وأن مدراء مسؤولين عن مشروعات يبذلون جهوداً لعدم تلويث البيئة وليعيدوا إلينا طبيعة فيها جداول للمياه العذبة وجبالٍ مشجّرةٍ وسماوات نقية وصافية محميّة بأوزون سماوي، وغيوم عذبةٍ تقطر أمطار العام الماضي الناعمة؟ إذا قلت في نفسك بأنّ كُلّ هذه الأمور المدهشة تحصل بينما أنت تموت، فسيكون ذلك بالنسبة لك أمراً لا يطاق، أليس كذلك؟

ولكن حاول، لبرهةٍ، أن تتصور بأنّك، في لحظة مغادرتك لهذا الوادي، مُتيَقِنٌ بأن العالم (خمسة مليارات من البشر) مليءٌ بالبلهاء، فبلهاءٌ أولئك الذين يرقصون في الحانات، وبلهاءٌ أولئك العلماء الاختصاصيون الذين يعتقدون بأنهم اكتشفوا أسرار الكون، وبلهاءٌ أولئك السياسيون الذين يقدّمون ترياقاً لجميع مصائبنا، وبلهاءٌ أولئك الشخّاخون الناسخون الذين يملأون صحفنا بالثرثرات الحمقاء والتافهة،

وبلهاءٌ أولئك الصناعيون القذرون الذين يُخرّبون الكوكب، حينها في تلك اللحظة السعيدة، ألن تكون مرتاحاً وراضياً وأنت تهجر وادي البلهاءِ هذا؟»

آنذاك سألني كريتون: «يا أستاذ، متى عليّ أن أفكر هكذا؟ - ليس قبل الأوان، أجبته، لأن التفكير في العشرين أو الثلاثين من العمر، بأن جميع الناس بلهاء، هو بمثابة أن يكون المرء أبلهاً لن يبلغ الحكمة أبداً. يجب السير في ذلك رويداً رويداً، أن يبدأ المرء بالقول في نفسه بأن الآخرين أفضل منّا، ثم التحرّك شيئاً فشيئاً، وإثارة أولى الشكوك الخفيفة حينما يبلغ من العمر حوالي الأربعين سنة، ومراجعة حكمه بين سنيّ عمره الخمسين والستين، ومن ثم بلوغ اليقين في حكمه عندما يسير المرءُ نحو سنيِّ عمره المائة، على أن يعتبر نفسه جاهزاً للرحيل، وقد أصبحت جميع الحسابات تامّة ودقيقة، منذ تلقّي الدعوة».

ولكن ثمّة أمرٌ واحد: فإمتلاك اليقين بأن الخمسة مليارات من الأفراد من حولنا هم بلهاء، إنّما هو ثمرة فن دقيق وماهر لا يكون في متناول أوّل سيبيس Cébès قادمٍ بحلقٍ في أذنه (أو في أنفه). فذلك يتطلّب الموهبة والجهد الجهيد. ولا ينبغي التسرع في اتخاذ القرار، وإنما ينبغي الوصول إليه بهدوء، وفي الوقت المناسب، في سبيل الموت بصفاء وطمأنينة. ولكن ما يؤرقنا هو أنّه لا بدّ من التفكير أيضاً بأنّ ثمة كائن، يحوز على محبتنا وإعجابنا، ليس أبلهاً. وسيكون من الحكمة الاعتراف في اللحظة المناسبة - وليس قبل ذلك - بأنّه هو أيضاً أبله، حينذاك، فقط، سيمكننا أن نموت.

إذاً يتمثّل الفن العظيم في دراسة الفكر العالمي شيئاً فشيئاً، وتقصّي تطوّر الأخلاق، وتحليل يومي لوسائل الإعلام وتأكيدات الفنانين الواثقين بأنفسهم، والأقوال المأثورة للسياسين، وبراهين النقاد الرؤيويين، وحِكَم الأبطال الكاريزميين، عبر دراسة نظرياتهم

ومقترحاتهم ودعواتهم وصورهم وتجلّياتهم. حينذاك فقط، وفي خاتمة المطاف، ستمتلك هذه الرؤيا المقلقة، إنهم جميعاً بلهاء، وستكون مستعداً لملاقاة الموت. وسيتعيّن عليك أن تحتمل، حتى النهاية، هذه الرؤيا التي يصعب الدفاع عنها، والتشبّث بالاعتقاد بأننا نقول أشياء حصيفة، وبأن هكذا كتاب هو أفضل من سواه، وبأن هكذا قائد للشعب يريد حقاً المصلحة العامة.

هذهِ ميزةُ جنسنا، وهذا أمر طبيعي، إنه لموقف إنسانيٌّ الامتناع عن الاعتقاد بأن الآخرين من دون تمييز بلهاء. وإلاّ بماذا تكون الحياة جديرة بمشقّة أن تُعاش؟

ولكن في النهاية، حينما ستعرف كل هذا، حينذاك ستكون قد فهمت لماذا يحق لنا الموت، بل وبماذا تكون هذه جليلة.

نظر كريتون إليّ ثم قال: «يا أستاذ، لا أودُّ اتّخاذ قرارات متسرّعة، ولكنني أظنُّ أنّك أبلهٌ. أجبته: ها أنت ترى، إنّك الآن على الصراط المستقيم.»

(1997)

www.books4all.net
مشتريات سوق الأزبكية

III

مقاطع من كاكوبيديا

إلى إنجليو فابّري

www.books4all.net
مشتريات سوق الأزبكية

ملاحظة

في مطاعم البيتزا في بولونيا، بداية الثمانينات، كنّا قلّة من الأساتذة، تكفّلنا بالإعداد بعناية لمشروع ضخم، ألا وهو: الكاكوبيديا. وأثناء سيرنا في الطريق، توسّعت حلقتنا بانضمام زملاء آخرين، وبعض الطلبة، الذين كانوا بمجملهم ذوي دراية ومهارة في الموضوع. وقد نُشرت سلسة أولى من النصوص الكاكوبيدية في ألفابيتا Alfabeta 38–39، 1982 وفي لوشفال دو تروا (حصان طروادة) 3، 1982.

وكان لا بد للكاكوبيديا أن تعرض نفسها (والتي يقابل اشتقاقها اللغوي الواضح تربية منحرفة ومشوّهة بتربيةٍ دوريّة ومنسجمة) كحاصلٍ سلبي للمعرفة أو حاصلٍ للمعرفة السلبية- وما استطعنا قط أن نقول أيّ عبارة من هاتين العبارتين قد تشير بشكل أفضل وأدقّ إلى المقاصد المثيرة للإضطراب لمشروع كهذا. وكانت مهمّتها الإدراكية تعرض نفسها بكونها جرداً شاملاً للاّمعرفة.

وكانت كل افتتاحية للكاكوبيديا تقتضي المعايير التالية:

أ. الانطلاق من عنوان يُمثّل، قدر المستطاع، الانعكاس التناظري لافتتاحيةٍ موسوعةٍ عادية.

ب. بالاستناد إلى الاستدلالات المغلوطة، استنباط مقدمة منطقية

صحيحة من نتائج خاطئة، أو بالاستناد إلى الجدالات الشكلية استنباط مقدمة منطقية خاطئة من نتائج لا يمكن دحضها.

ج. في النهاية سيكون على الافتتاحيات أن تكوّن نسقاً، أو بالأحرى، لا نسقاً.

د. وسيكون عليها، للسنوات العشر القادمة على الأقل، أن تمنع، تحت تهديد الإرهاب والابتزاز، بروز نظريات علمية رصينة زوراً، أي الحرص على ألاّ يطوّر أيُّ شخصٍ موضوعةً كاكوبيديةً بعرضها كموضوعةٍ جديرةٍ بالثقة. وكما ترون، فإن هذا المعيار الأخير يُشدّد على الغاية الجمالية لمشروعنا وحرصه على حُسن الأفكار والموضوعات الوليدة.

وقد انهار المشروع لأسباب عديدة، أحدها كان يكمن في أنّه، عندما كنا نتقدّم أولاً بأول، كنا نتبيّن بأنّ الانعكاس الكاكوبيدي، في شتى قطاعات المعرفة، كان حافلاً - دون أي تهكّم - بينما لم يكن موجوداً قبل ذلك. فكّروا على سبيل المثال بالجسد بلا لسان، أو بالتأويل كسوء تفاهم أو بالنيوليبرالية الماركسية أو بالنيوماركسية الليبرالية.. إلخ.

قبل أن نعرض عليكم عيّنة من الافتتاحيات الكاكوبيدية، المنشورة وغير المنشورة، المكتوبة بخطٍّ يدي (على أنني كنت دائماً ما أناقشها بإسهاب مع مجموع الكاكوبيديين)، سنعرض لكم نبذة ببليوغرافية عن إفتتاحيات أو مشاريع افتتاحيات تعود لزملائي في المشروع.

انجيلو فابّري، «نظرية التقديم والتأخير»[1] (راجع ألفا بيتا op.cit)

---

(1) التقديم والتأخير: قلب الترتيب المألوف لكلمات الجملة تقديماً أو تأخيراً، وربما تعني أيضاً، في منظور الكاتب، قلب ترتيب مقاطع الكلمة الواحدة أيضاً، وبذلك قد تكون كلمة Cacopédie، نتيجة لعملية عكسٍ لمقاطع كلمة Pédagogie، التي تعني التربية، بشيءٍ من التحوير، خاصّة وأنّ الكاتب يشير بأنّ =

كنظرية الأشكال الهشّة، التي كانت قد وصِفَتْ فيها بدقّة رياضية متناهية، التقديم والتأخير في هيئة نقانقٍ وواقٍ ذكريٍّ ومعكرونة وأذنِ أرنبٍ ومصفاةٍ.

ريناتو جيوفانّولي «القواعد المجهِضَة» (راجع ألفابيتا op.cit): الحساب الخوارزميُّ الشومسكي صالحٌ لانتاج سلاسل صامتة مع شرح رائع بالأمثال حول لفظ أكل الكلبُ السّاعيَ.

ريناتو جيوفانّولي "tapuscrits inédits"[1] حول منطق التضمين الواسع (ويطبق هذا المنطق فقط عندما تكون المقدّمة صحيحة والنتيجة خاطئة، وكذلك في الحالات الأخرى) وحول «حدّ التعصب" "Modus Intollerans" و"Modus quodlibetalis" و«الحد غير المطروح» "Modus indisponens".

اومار كالابريسي «كاتامورفوز» "catamorphose" (راجع ألفابيتا op.cit): دراسة هذا الأُسلوب المهمَل عادة من قبل مؤرخي الفن، تتمّ بفضل عاكس النور، وهو عبارة عن عدسة كروية محدَّبة الوجهين يحدّها من الطرفين وجهان متراكزان بتقوّس مختلف. بحيث إنّ كلّ شعاعٍ ساقطٍ على الوجه الأكثر تقوساً، بعد أن تكون العدسة قد حرّفت اتجاهه، وانعكس عبر الوجه الآخر المفضّض، ينبثق مجدّداً، مرتدّاً على نفسه تماماً؛ فإذا كان المراقب يقف خارج عاكس النور، يكون من المستحيل عليه تمييز الصورة الأصلية عن الصورة المعكوسة بالنور، أمّا إذا نجح المراقب في الولوج إلى داخل الجهاز حينها تبدو كل صورة كنقطة منفردة بذاتها.

= الاشتقاق اللغوي لكلمة Cacopédie يشير إلى مقابلة تربية مشوّهة بتربية منسجمة -المترجم-

(1) Tapuscrit، هي تحوير لكلمة Manuscrit التي تعني مخطوطة، وقد استبدل الكاتب السابقة man التي تدلّ على اليد، بـ tap التي تعني كفّ. وهذا يأتي ضمن نهج الكاكوبيديا -المترجم-

كاتب غير مُعَيَّن، ومخطوطة غير منشورة Tapuscrit، «**علم الصفر**» "Zérologie": وهو حساب منطقي كامل قائم فقط على الصفر، وكان يطمح إلى حلٍّ مفارقة تقهقر اللغات الواصفة إلى ما لا نهاية، عبر قواعد الإضافة والطرح والضرب والقسمة، وكذلك جداول حقيقية، بحيث إن لغة منطقية يكون الصفر الوحيد بمثابة أصلٍ لها تكفي للحديث عن نفسها.

كاتبٌ غير مُعَيّن، و«**مخطوطة غير منشورة**» ونظرية «**ألعاب السلام**» Peace Games وهي ألعابٌ أكثر صعوبةٍ بكثير من «**ألعاب الحرب**» War Games، بحيث أن النتيجة المثلى مطابقة لوضعية من ليس له سوى خيار وحيد.

كذلك كان من المتوقّع أن تَثْجير ألعاب من شاكلة «**إتقافية في الأمم المتحدة**» و«**العم بيسكو والنقابة**» و«**كيف أضع العالم الثالث في خدمتك**» و "Je T'ai Cueilli La Main Dans Le Pot-de-Vin"، جيورجيو ساندريس و "Ars oblivionalis" (وهو عملٌ غير مُنجَز).

تولّيو دو مورو، ومشاريع عديدة من بينها «**دراسة الإستعارة الباطنية**» أسلوب بلاغي لـ reductio ad silentuim بكل استعارة ممكنة)، والآنوريك أو الهينوتيك، علم الأنظمة التي تفيد فقط في ألاّ يكون الأمر مفهوماً.

كان **باولو فابّري** يريد أن يُعدَّ نحو خمسين أسطورة من أساطير بورورو، تستند كل واحدةٍ منها إلى منزلقٍ، والمنزلقات كانعكاسات ثنائية كانت قد تعرّضت لانزلاق في النظام؛ فقد وجد الأماكن المنزلقة، الطبيعة vs احتكاكية، الذكر vs بالغ، المنبت vs أيسر، الحياة vs أسنانية، المحلية vs الطبيعة، التمثّلي vs فردي، القريب vs صيّاد، المنزلي vs مُقفِل.

وقد سبق أن نُشرت في ألفابيتا المذكورة، علاوة على ما سبق،

ساهمات إثنين من الكاكوبيديين المستقلين. وبما أنّهم كانوا كتّاباً، انوا يطرحون بعض عناصر الكالوبيديا Kalopédie.

كان **أنطونيو بورتا** يبحث في «الإيديوتريسمات» Idiotrismes (من idiotie الحماقة» + «البديهيات truismes» + «aphorismes حِكَمْ»، مثل "je panes donc j'essuie" و "Donner un coup de nain"[1] فكان لويجي ماليربا - وبحجة شرح أصول سرعة الصوت الضوء - يقدِّم أعمالاً مثيرة حول سرعة الظلام. وهناك مشاريع أخرى قيت في الحالة الجنينية مثل: كتابة «**معاداة جوكاست**»[2] و«**نظرية لوظائف السردية المتعثرة**» و«**بحث حول كَدَر النص**» و«**التبعات القانونية ـ هابيس انيمام**» و«**تعثُّر تنظيم الشّغل تنظيماً منطقياً**» و«**الحماقة لمصطَنَعة**» و«**آلات متزوجة**» و«**اقتصاد نقص القيمة**» و«**ميتافيزيقا الشيء خارج ذاته**» و«**أصول المحاكمات غير المدنية**».

وقد كان هناك من يهمس بأن الكاكوبيديا لم ترَ النور أبداً، لأن لبعض كان يؤكّد بأن «العمل في تراجع» work in regress بالفطرة، يأنّه سيكون على الكاكوبيديين، وهم يحرّرون الافتتاحيات الجديدة، ن يقوّضوا تلك التي كتبوها من قبل. ومعَ ذلك فإن حقيقة أن بعضَها كان قد نُشر تُبرهن كم كان لا محدوداً غرورُنا، وكم كانت ضعيفةٌ آدابنا لعلمية.

ولكن السبب الحاسم الذي جعلنا نتخلّى عن المشروع ونهجره

---

(1) العبارتان أعلاه هما تحوير للعبارتين: "je pense donc je suis"، «أنا أفكّر فأنا موجود» لديكارت، وقد جرى تحوير الفعل penser: يفكّر، إلى panser: يضمّد. والفعل être: يكون، إلى essuyer: مسح أو كابد.
أمّا العبارة الثانية فهي تحوير لعبارة: "donner un coup de main" التي تعني: أعان أو ساعد، إذ استبدلت كلمة main، التي تعني: يدٌ، بكلمة "nain" التي تعني قَزم، وهذا، أيضاً، يأتي ضمن نهج الكاكوبيديا. -المترجم-

(2) جوكاست هي أمُّ أوديب -المترجم-.

كان هو الاختفاء المأساوي والمفجع لواحدٍ من ألمع مُحرّكيه ألا وهو أنجيلو فابّري. فمن دون وجوده إلى طاولة مطعم البيتزا،لم تعد الرغبة تدفع أيّاً منّا نحو الاستمرار بالمشروع. ولذا أنشر هنا افتتاحيتين – هما صنيع فكرينا أنجيلو فابري وأنا– وموقّعتين باسمينا، وهذه طريقتي في تكريمه وإحياء ذكراه.

www.books4all.net منتديات سهول الأزبكية

ن استحالة رسم الخارطة 1 : 1 للإمبراطورية

« . . . في هذه الإمبراطورية، بلغ فن رسم الخرائط درجة من تقان بحيث إنّ خارطة إقليم واحد فقط، تشغل مدينة كاملة، وخارطة مبراطورية تشغل إقليماً كاملاً. وبمرور الزمن لم تعد تلك الخرائط ئاسعة الأطراف تنال الرضى، ورسمت مجمّعات رسم الخرائط ارطة للإمبراطورية تتطابق تماماً وأبعادها ومعالمها، نقطةً بنقطة.

ولأنّ الأجيال اللاحقة كانت أقلّ هياماً بدراسة فن رسم الخرائط، د فكّرت بأن تلك الخارطة الموسّعة دون حدود كانت غير مفيدة. د تركوها بشيءٍ من العقوق، عرضة للشمس والأمطار. وبقيت من خارطة نتفاً تالفة في صحارى الغرب، تأوي متسوّلين وحيوانات. ولم د هناك أثرٌ آخر للعلوم الجغرافية في البلاد برمّتها.»

("Viajes de Varones prudentes" لسواريز ميراندا، الجزء ابع، الفصل الرابع عشر، 1658، المذكور من قبل خورخي لويس رخيس، التاريخ الشامل للفضيحة، "Et cætera"، باريس، رجوا، 1985.)

. الشروط المطلوبة لـ خارطة 1:1

هنا، نبحث الإمكانية النظرية لخارطة 1:1 للإمبراطورية، منطلقين ن المسلّمات التالية:

1. أن تكون الخارطة فعلاً 1:1 وبالتالي متمادية مع أراضي الإمبراطورية ومتطابقة معها تماماً.

2. أن تكون خارطةً وليست ترسيماً: وبالتالي لا نأخذ في الاعتبار إمكانية أن تُغطّى مساحة الإمبراطورية بمادةِ بناءٍ قابلة للتصفيح ينجم عنها أدنى تضريسٍ نافرٍ؛ إذ في هذه الحالة لا نكون نتحدّث عن فن رسم الخرائط وإنما عن تغليف أو تبليط الإمبراطورية، وسيكون من الأجدر حينها الإعلان بموجب قانونٍ أنّ الإمبراطورية بذاتها خارطة، مع كلّ ما سيترتّب على ذلك من التناقضات السيميائية.

3. أن تكون الإمبراطورية التي نتحدّث عنها هي ذلك الـ x ذات nihil majus cogitari possit، وبالتالي أن يتعذَّر صنع الخارطة ونشرها في منطقة صحراوية لإمبراطورية ثانية X_2 حيث $X_1 < X_2$ (وكأنّنا رسمنا في الصحراء الكبرى خارطة 1:1 لإمارة موناكو). ففي هذه الحالة، ستكون المسألة مجردّة من كلّ أهمية نظرية.

4. أن تكون الخارطة مطابقة للإمبراطورية، وبالتالي أن تجسّد ليس تضاريسها الطبيعية فحسب، بل أيضاً التحوّلات الإصطناعية التي أُجريت عليها، وكذلك مجموع الرعايا (هذا الشرط الأخير هو أقصى شرط، قد لا يطبّق بالنسبة لخارطة افتَقَرتْ للمواصفات المطلوبة).

5. أن يكون المقصود خارطةً وليس أطلساً بأوراق جزئية: فلا شيء يمنع نظرياً من أن ننفِّذ في ردح معقولٍ من الزمن سلسلة من إسقاطات جزئية على أوراق منفصلة تُستَخدَم بشكلٍ منفصلٍ للرجوع إلى أقسام جزئية للأرض. ويمكن تنفيذ الخارطة على أوراق منفصلة ولكن على أن يتمَّ إلصاقها بعضها ببعض بحيث تشكِّلُ الخارطةَ الكاملة أرض الإمبراطورية برمتها.

6. أخيراً أن تظهر الخارطة على أنّها أداة سيميائية، وبالتالي قابلة لأن تعبّر عن الإمبراطورية أو تبيح إحالات على الإمبراطورية، خاصّة

عندما لا تكون الإمبراطورية قابلة للإدراك بغيرها. هذا الشرط الأخير يستبعد أن تكون الخارطة شفّافة ومبسوطة بطريقة مستقرة على الأرض التي قد تكون تضاريس الأرض ذاتها مُسقطة عليها نقطة بنقطة، لأنّه في هذه الحالة سيكون أيُّ استكمالٍ من الخارج يُنفّذُ على الخارطة، سينفّذ في الوقت ذاته على الأرض من تحتها، وستفقد الخارطة وظيفتها البيانية الحياتية الكبرى. إذاً، لا بد أولاً: ألاّ تكون الخارطة شفافة، أو ثانياً: ألا تتمدّد على الأرض، أو ثالثاً وأخيراً: أن تكون قابلة للتوجيه بحيث تنطبق نقاط الخارطة على نقاط الأرض غير تلك المرسومة.

وسيتبيّن لنا بأنّ كلَّ حلٍّ من الحلول الثلاثة يقود إلى صعوبات عملية وتناقضات نظرية لا يمكن التغلب عليها.

2. طرائق صُنع الخارطة:

2-1. خارطة معتمة مبسوطة على الأرض.

لأنّها معتمة، ستكون هذه الخارطة مُدرَكة، إن لم يوجد إدراك حسيٌّ للأرض السفلية، ولكنها ستُشكِّل قاصلاً بين الأرض والأشعة الشمسية أو الهواطل، وبالتالي ستُفسد التوازن البيئي للأرض المعنية، بحيث إن الخارطة ستمثّلُ الأرض بخلاف ما هي عليه فعلياً. وسيتعذّر هنا التصحيح المستمر للخارطة، الممكن نظرياً بواسطة خارطة معلّقة (راجع 2-2)، لأن تبدُّلات الأرض ليست مُدرَكة نظراً لعتمة الخارطة. وبالتالي سيستخلص السكان استدلالات حول أرض مجهولة انطلاقاً من خارطة مشوّهة غير دقيقة.

أخيراً، إذا كان المطلوب أن تُظهِرَ الخارطةُ السكّانَ أيضاً، فإنها قد تكشف بذلك، مرّة أخرى، عن تشوّه ولا دقّةٍ، لأنها ستمثّلُ إمبراطورية مأهولة برعايا، هم في الحقيقة سكان الخارطة.

2-2. خارطة معلّقة:

تُنصَب على الأرض عُمُدٌ بطولٍ يساوي أكثر تضاريسها علواً. ويُنصَب على تلك العمد سطحٌ من الورق أو من الكَتَّان، وتُسقط على هذا السطح من الأسفل علامات الأرض وتضاريسها.

وسيكون ممكناً استخدام الخارطة كعلامة دالّة على الأرض، بما أنّه ولفحصها، لا بدّ من الإلتفات نحو الأعلى، عند إدارة الأبصار من الأرض المناظرة لها.

ومع ذلك (وهذا شرط قد يلائم أيضاً الخارطة المعتمة المبسوطة، إن لم يكن قد بات متعذّراً لاعتبارات آخرى لا تُدْحَض) قد يتعذَر الاطّلاع على كل جزءٍ من أجزاء الخارطة المأخوذ بشكل منفصل، إلا إذا أقام المرء على الجزء من الأرض المناظر لذلك الجزء من الخارطة، حتى أن الخارطة لن تتيح استخلاص معلومات عن تلك الأجزاء من الأرض، المختلفة عن تلك التي يتم الاطّلاع عليها.

وقد يمكن تذليل التناقض بتحليق الخارطة عالياً: ولكن يضاف إلى ذلك: [(آ) صعوبة الخروج بواسطة طائرات ورقية أو مناطيد مقيدة، من أرضٍ مغطاة بالكامل بسطح ورقي أو كتّاني؛ (ب) المشكلة المتمثّلة في جعل الخارطة مقروءة ومرئية من الأعلى ومن الأسفل؛ (ج) حقيقة أن النتيجة الإدراكية ذاتها قد تُدرك بسهولة بالتحليق فوق أرضٍ بلا خارطة] وكل أنسان سيحلّق فوق الخارطة، وبالتالي يهجر الأرض، سيجعل الخارطة تلقائياً مشوّهة وغير دقيقة، لأنّها ستمثّل أرضاً، يفوق عديدُ سكانها، على الأقل بشخص واحد، عديدَ المقيمين الفعليين في لحظة الرصد. وبالتالي لن يكون الحل ممكناً إلاّ في حالة خارطة ضعيفة مفتقرة للمواصفات، لا تمثّل الرعايا.

وفي نهاية المطاف، إذا كانت الخارطة الممدّدة معتمة، ستبرز

الملاحظة نفسها التي تخص الخارطة المنشورة: فبمنع ولوج الأشعة الشمسية والهواطل ستفسد التوازن البيئي للأرض، وبالتالي جُعِلَتْ تمثيلاً مشوهاً وغير دقيقٍ لها.

وسيتمكن الرعايا من تدارك هذه العقبة بطريقتين: إمّا بصنع كلِّ جزءٍ من أجزاء الخارطة الموثوقة جميعها إلى الأعمدة، في لحظة واحدة وحيدة في كلِّ علامة من علامات الأرض، بحيث تكون الخارطة دقيقة على الأقل لحظةَ إكمالها (وربما لساعاتٍ متتالية): أو بإجراء تصحيح مستمر للخارطة، انطلاقاً من التحوّلات التي تجري على الأرض.

ولكن في الحالة الثانية هذه، قد يُرغِمُ النشاطُ التصحيحي الرعايا على تنقّلات غير مدوّنة على الخارطة فتصبح بذلك، مرّة أخرى، مشوّهة وغير دقيقة، إن لم تكن ضعيفة ومفتَقرة للمواصفات.

علاوة على ذلك، لن يكون بوسع الرعايا، لانشغالهم بتصحيح الخارطة، السيطرة على التقهقر البيئي للأرض، وقد يقود نشاط تصحيح الخارطة إلى انقراض الرعايا وبالتالي الإمبراطورية.

ولن تكون الحال مختلفة إذا كانت الخارطة مصنوعة من مادةِ بناءٍ شفّافة ونفيذة. إذ سيتعذّر الاستهداء بها نهاراً بسبب الأشعة الشمسية المبهرة، وكلُّ منطقة ملوّنة من الخارطة تحدُّ من الانبهار الشمسي ستحدُّ حتماً من تأثير الشمس على الأرض، مما يسفر عن تحولات بيئية، قد تكون طفيفة، ولكنها ستكون ذو تأثير حاسم على دقّة الخارطة.

أخيراً، أهملنا حالة خارطة معلّقة، قابلة للثني أو غير قابلة لذلك وفق توجيه مختلف. بالتأكيد سيزيل هذا الحلُّ العديد من الصعوبات المعروضة أعلاه، إلا أنّه، حتى وان كان مختلفاً تقنياً عن حل ثني

خارطة من النموذج الثالث، سيبدو مادياً أعصى على التطبيق، وسيتعرّض، على أيِّ حالٍ، لتناقضات الثني المطروحة من قبل خارطة النموذج الثالث، بحيث إن الاعتراضات المثارة بالنسبة لواحدة من الخرائط ستكون ملائمة لسواها أيضاً.

2-3. خارطة شفّافة، ونفيذة ومبسوطة ويمكن توجيهها:

هذه الخارطة المرسومة على مادة شفافة ونفيذة (من الغاز مثلاً) مبسوطة على السطح وينبغي أن تكون قابلة للتوجيه.

ومع ذلك، بعد رسمها وبسطها، إمّا يبقى الرعايا على الأرض تحت الخارطة، وإما أنّهم يسيرون فوق الخارطة. وإذا رسَمَها الرعايا فوق رؤوسهم، فإنهم لن يستطيعوا فقط أن يأتوا بأيّة حركة، لأن أيّة حركة ستُبدِّل مواقع الرعايا التي تصنعها (ما عدا اللجوء إلى خارطة ضعيفة مفتَقرة للمواصفات)، ولكنهم، بالحركة، سيتسبّبون باضطرابات للطبقة الغازية الرقيقة جداً، المنشورة فوقهم، وذلك يؤدّي إلى ضيقٍ شديدٍ، ويجعل الخارطة غير دقيقة، لأنّها قد تأخذ شكلاً طبولوجياً مغايراً، بإظهارِ مناطق وعرةٍ لا تتطابق وقياس مساحة الأرض. إذاً لا بدّ من الافتراض بأن الرعايا أعدّوا الخارطة ونشروها وهم فوقها.

في هذه الحالة، سيكون من المشروع ظهور العديد من المفارقات التي سبقت معاينتها بالنسبة إلى الخرائط السابقة: أي ستمثّل الخارطة أرضاً مأهولة برعايا، هم في الحقيقة يقيمون فوق الخارطة (ما عدا أنها ستكون خارطة ضعيفة مفقَرة)؛ فستبدو الخارطة غير جديرة بالرجوع إليها، إذ لن يكون بوسعِ أيِّ رعية رؤية سوى الجزء المناظر للأرض التي تقيم عليها الرعية والخارطة؛ وستنزع شفافية الخارطة وظيفتها السيمائية عنها، لأنها لن تقوم بوظيفة الدّال إلاّ بحضور المدلول؛ وبالإقامة على الخارطة لن يكون بوسع الرعايا الاهتمام بالأرض الخَرِبَة

لمهجورة، فيجعلون الخارطة غير دقيقة. إذاً، لا بدّ من أن تكون لخارطة قابلة للثني ومن ثم قابلة للنشر وفق توجيه مختلف، بحيث نستطيع كل علامة X من الخارطة تمثّل العلامة Y من الأرض أن تكون صالحة لمراجعتها، عندما تتوقف النقطة X على نقطة ما Z من الأرض، بحيث أن $Y \neq Z$.

أخيراً، تتيح قابلية الثني والنشر، عدم الرجوع إلى الخارطة لمدة طويلة وعدم تغطية الأرض، التي سيُمكنُ، بالتالي، حرثها وتهيئتها، بحيث يكون شكلها الفعلي مماثلاً لشكلها المعروض في الخارطة.

2-4. ثني وبسط الخارطة:

هذا يعني أنّه من الضروري طرح بعض الشروط التمهيدية:

(أ) ألا تعوق تضاريس الأرض تحركات الرعايا المكلّفين بثنيها.

(ب) أن تكون هناك صحراء مركزية شاسعة يمكن للمرء أن يفرش فيها الخارطة المطوية ويلفُّها بغية بسطها باتجاه مختلف.

(ج) أن تكون الأرض على شكل دائرة أو مضلّع متساوي الزوايا والأضلاع، بحيث أيّاً كان اتجاهها، لا تتجاوز حدودها (خارطة 1 : 1 لإيطاليا متدحرجة بـ 90 درجة قد تطفح على سطح البحر).

(د) أن يقبل المرء حينها بالشرط المحتوم الذي يؤدي إلى أن يكون هناك دوماً نقطة مركزية للخارطة، ستتمدّد دوماً على نفس الجزء من الأرض الذي كانت تمثّله.

وحينما تتوافر هذه الشروط ذات يوم، سينتقل الرعايا بالجملة نحو الحدود الخارجية للإمبراطورية لاجتناب أن تطوى الخارطة والرعايا في داخلها. ولحلٍّ معضلة تكديس كل الرعايا على أطراف الخارطة (والإمبراطورية)، لا بدّ من التماس إمبراطورية مأهولة برعايا لا يفوق

عديدها وحدات القياس للمحيط الكليِّ للخارطة، وحدة القياس المحيطة المناظرة للحيِّز الذي يشغله مواطنٌ واقف.

الآن، لنفترض أنّ كلَّ مواطن يأخذ بحافّة من حواف الخارطة ويثنيها تدريجياً متراجعاً إلى الوراء، فسنصل إلى مرحلة حرجة، حيث سيجد مجموع الرعايا أنفسهم وقد تمركزوا في مركز الأرض فوق الخارطة وهم يسندونها من أطرافها المطوية فوق رؤوسهم. وهو وضع مأساويٌّ ومفجعٌ، حيث يكون مجموع سكان الإمبراطورية حبيس جيب شفيفٍ في حالةِ وفاقٍ نظريٍّ وضيقٍ جسماني ونفساني خطير.

إذاً، سيكون على الرعايا، وهم يثنون الخارطة، أن يقفوا، أولاً بأول، خارجها على الأرض وأن يستمروا في ثنيها من الخارج، حينما لا يعود هناك أحدٌ داخل الجيب الداخلي. سوى أنَّ هذا الحلَّ سيخلق المشكلة التالية: عندما يُنجَزُ الثني، ستكون الأرض مكوّنة من موطنها الخاص وخارطة مطوية في مركزها الخاص، وبالتالي ستبدو الخارطة، إضافة إلى أنها لا تصلح مرجعاً، غير دقيق، لأننا سنعرف يقيناً بأنها ستمثِّل الأرض بدونها وهي مطوية في مركزها. ولا يرى المرءُ لماذا سيتعيّن بسطُ خارطةٍ للاستهداء بها، وهو يعرف مسبقاً أنها غير دقيقة. من جهة أخرى، إذا كانت الخارطة تمثّل ذاتها مطويَّة في المركز، فستصبح غير دقيقة كلما جرى بسطها.

لنفرض أن الخارطة خاضعة لمبدأ من مبادئ الالتباس، بحيث إن فعل البسط هو ما يجعلها دقيقةً، خارطة لم تكن دقيقة وهي مطوية. ووفق هذه الشروط، ولدقّة الخارطة، علينا تمديدها.

تبقى (ما لم يلجأ المرء إلى الخارطة الضعيفة القاصرة) مشكلة الموقع الذي سيكون على الرعايا أن يأخذوه بعدما ستكون الخارطة قد بُسطت وفُرشت وفق اتجاه مغاير. ولتكون دقيقة سيكون على كل فردٍ، بعد البسط، أن يأخذ الموضع الذي كان له لحظةَ التمثيل على الأرض

الفعلية. بهذا الثمن فقط سيكون مواطن مقيم على النقطة Z من الأرض، التي نفترض أن النقطة X2 من الخارطة تنطبق عليها، سيكون ممثَّلاً بدقة بالنقطة X1 من الخارطة، والتي تنطبق صدفة على النقطة L من الأرض، وسيكون بوسع كلِّ فردٍ أن يحصل، في آن واحد، على معلومات (انطلاقاً من الخارطة) حول نقطة من الأرض تختلف عن تلك التي كان يقيم عليها، وتضم فرداً مختلفاً عنه.

ومع أنّ هذا الحلّ يتطلّب عملاً شاقاً ومضنياً وهو غير عمليٍّ، إلاّ أنّه يتيح اختيار الخارطة الشفيفة النفيذة والممدّدة والقابلة للتوجيه كأفضل خارطة، اجتناباً للّجوء إلى الخارطة القاصرة والضعيفة، عدا عن أنّها هي أيضاً، وعلى غرار الخرائط السابقة، تستجيب للتناقض الظاهري للخارطة العاديّة.

3- مفارقة الخارطة العادية:

بدءاً من اللحظة التي نُصبت فيها الخارطة وغطّت كامل الأرض (ان كانت ممدّدة أو معلّقة) تميَّزت أرض الإمبراطورية بكونها مغطاة بالكامل بخارطة. ولم تقدّم الخارطة حساباً عن هذه الميزة، إلاّ إذا لم تكن تتموضع، فوق الخارطة، خارطةٌ أخرى تقدِّم الأرض زائداً الخارطة التحتية. ولكن ستكون العملية لا متناهية (برهان الانسان الثالث). وفي كلِّ حالٍ، إذا ما توقّفت العملية، فهناك خارطة نهائية تمثِّل كل الخرائط المُتَوَسّطة بينها وبين الأرض ولكنّها لا تمثِّل ذاتها، ندعو هذه الخارطة بالخارطة العادية. وخارطةٌ عاديةٌ، ستكون سريعة التأثُّر بالتناقض الظاهري لروسيل- فري[1]، وهو أنّ الأرض بالإضافة إلى الخارطة النهائية تمثّلان مجموعة عاديّة حيث لا تكون الخارطة

---

(1) روسيل وفري: عالمان في المنطق والرياضيات الأول بريطاني والثاني ألماني- المترجم-.

جزءاً من الأرض التي تحدّدها؛ ولكن لا يمكننا تصوُّر مجموعات عاديّة (وبالتالي خرائط لأراضٍ مع خرائط) حتى وإن كنا نعتبر مجموعات المجموعات بعنصرٍ وحيدٍ مثلما هو الأمر في حالتنا.

ينبغي أن تكون مجموعةُ مجموعات عاديّة مُدْرَكة على أنّها مجموعة غير عادية، حيث ستكون بالتالي خارطة الخرائط جزءاً من الأرض المرسومة على شكل خارطة، وهو ما ليس ممكناً.

ومن هنا تأتي النتيجتان الطبيعيتان التاليتان:

1. كل خارطة 1:1 تقدّم الأرض بطريقة مشوّهة وغير دقيقة.
2. لحظةَ تُنجز الإمبراطورية خارطتها تغدو غير قابلة لأن تمثَّل.

وسيكون بوسع المرء ملاحظة أنّ الإمبراطورية، مع النتيجة الثانية، تحقّق أكثر أحلامها طيشاً، بأن تغدو غير مُدْرَكَةٍ بالنسبة للإمبراطوريات المعادية، سوى أنّها، وبقوة النتيجة الأولى، ستغدو غير مُدْرَكَةٍ من ذاتها أيضاً.

وسينبغي التماس إمبراطورية تتوفّر على الإحساس بالذات وإدراكها بنوع من الإدراك المتميِّز المتعالي من جهازها النوعي الفعّال الخاص بها: ولكن هذا يقتضي وجود خارطة تتوفّر على الشعور التلقائيّ بالذات، وهي ستغدو في هذا الطور الإمبراطورية بعينها (إذا ما كانت مُدركة دائماً) بحيث إن الإمبراطورية ستتخلى عن سلطتها الخاصّة بها لصالح الخارطة.

نتيجة طبيعية ثالثة: كل خارطة 1:1 للإمبراطورية توافق على نهاية الإمبراطورية بما هي عليه، وبالتالي هي خارطة لأرضٍ هي ليست إمبراطوريةً.

الأنوبتيكون

الأنوبتيكون هو عمارةٌ مسدّسة الأضلاع تضم في داخلها خمس عمارات أخرى مسدّسة الأضلاع، بحيث تتشكل، بين جدران مختلف العمارات، فُرْجَة وحيدة صالحة للسكن، خمسة ممرات بمجرى مسدّسٍ، هذا بالإضافة إلى غرفة مغلقة مسدّسة الأضلاع.

يحقّق الأنوبتيكون مبدأ «السلطة مرئية من الجميع دون أن ترى أحداً».

عامل أنوبتيكون هو سجّانٌ يقيم في الغرفة المركزية المغلقة المسدّسة الأضلاع، والمنارة بثلاث كوّاةٍ مخروطية تسمح للضوء بالولوج من الأعلى، ولكنها لا تدع السجّان يرى أيَّ شيء سوى جزء دائري صغير جداً من السماء. ويجهل السجّان ما يجري في الممرّات الخمسة السداسية الأضلاع حيث يعيش المعتقلون بحرية.

ومن الممرّ ذي المحيط الأضيق، يمكن للمعتقلين أن يراقبوا السجّان من المنافذ التي هي أيضاً مخروطية، بحيث إن السجّان المراقَب لا يستطيع أبداً أن يعرف ما إذا كان مراقَباً، ولا متى ولا ممّن. الأنوبتيكون يسوّغ للسجّان عدم امتلاكه لأية سيطرة على ما تبقّى من السجن: إذ ليس بوسعه مراقبة المعتقَلين، ولا بوسعه منع فرارهم، بل ولا بوسعه معرفة إن كان لا يزال هناك سجناء، أو إن كان أحدٌ ما يراقبه، والسجّان، على فرض أن أحدهم يراقبه، ليس قادراً على معرفة ما إذا كان هو معتقَلٌ أم الزائر المُصَادف لآلة الإهمال هذه (راجع كذلك الآلات المتزوجة والعذراء التي ألبسها أزواجها الآخرون).

ويحقّق الأنوبتيكون المثال عن التجريد الكليّ للحارس من مسؤوليته، المصدّق بعقوبته، ويجيب على السؤال الأبدي: "Quis custodiet custodes?".

The Wom

1. تُحدَّد كآلةٍ كلّ علبة سوداء تأخذ مادة أولية حجمها x وتعود منتجاً حجمه y ، بحيث $y \neq x$.

1–1. كلُّ علبة سوداء تأخذ مادة أولية حجمها x وتعود مُنتجاً حجمه x ليست آلة وإنما إسطوانة مُحايدة.

1–2. يمكن التغاضي عن أن تكون آلة ما أوتوماتيكية تماماً (تُدار دون الحاجة إلى عمال ميكانيكيين خارجيين وحسب حركة مستمرة) أو أن تكون مُدارة من الخارج.

1–3. وبالتالي يمكن التغاضي عن أن تتأثر آلة ما بالمبدأ الثاني للديناميكا الحرارية أو لنقيضه (ليس محظوراً تصوُّر علبة سوداء تأخذ مادة أولية رديئة جداً وتعود منتجاً رفيعاً جداً، والتي ستولِّد عبر عملية استرجاع مواداً أولية رفيعة، بشكل قسري وهكذا إلى ما لا نهاية).

1–4. يمكن التغاضي عن معرفة منطَلق المادة الأولية ومستَقَر المُنتج (عدا الحالة المعروضة في 1–3 التي سبق وحُددت على أنه يمكن التغاضي عنها للأغراض الراهنة).

ولذا يمكن تمثيل الآلة على الدوام كالتالي:

2. الآن تطرح مشكلة، وهي معرفة ما إذا كان بوسع المرء أن يتصور و/أو ينتج ڤيمات Wims وڤومات Woms، أي «آلات بلا مادّة

---

(1) (i) هو اختصار input وتعني المادّة الأولية، و(o) هي اختصار output وتعني المنتَج، في حين أنّ (m) هو اختصار machine وتعني الآلة- المترجم.

ولِيّة» و«آلات بلا منتَج»[1]

3. من حيث المبدأ يمكن تصوّر ڤيم Wim بالمعنى الذي صوِّرت به، وبعبارات ميثولوجية ستكون الإله:

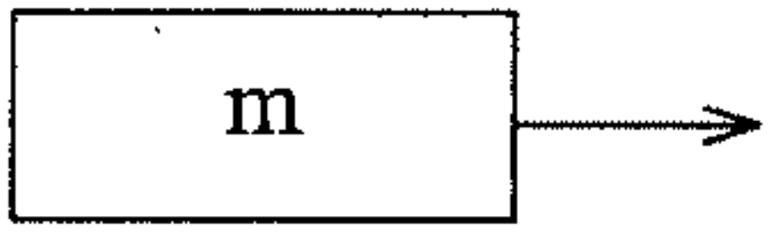

يُفكَّر بنموذج إله أفلاطون. فمبدأ الفرد المتعذّر بلوغه أو تحديده نصي، على الأقل بالعبارات النظريانية، مشكلة المادة الأولية. إن آلة هذه هي علبة سوداء بامتياز، يمكن تحديدها فقط بعبارات سلبية، التي لا نعرف سوى منتجاتها.

بالطريقة ذاتها، ليس لإله اللاهوت الكاثوليكي، الخالد والثابت ي ذاته ipsum esse أيةُ مادة أولية وبوسعه، من الناحية النظرية، أن نتج باستمرار منتوجات، فيما وراء خاتمة الأزمان (الأزمان كنتاج زدوج للنشاط الإلهي الذي يستمر فيما وراء خاتمة الأزمان، في توليد رؤية التطويبية وفي حال غياب ذلك، توليد الفكر). وبما أن العلبة سوداء تتصور ذاتها على أنها مُفكرة (وإن لم تكن مُدركة حسياً من قبل حد) فإن هذا إنتاج للنوس noûs (العقل) يشكِّل نتاجاً يمثّل شكلاً شاطياً كائناً ما يكون.

يضاف إلى ذلك، أن نشاط تصوُّر الذات نفسه ينتج باستمرار لانبثاق الثالوثي. إذاً سيكون الانبثاق الثالوثي الحاصل الدائم لآلة تعيد :خال منتوجها الخاص في ذاتها.

---

1) ڤيمات Wims هي اختصار لعبارة "without input machines" التي ترجمناها أعلاه بآلات بلا مادّة أوليّة، أمّا ڤومات Woms فهي اختصار لعبارة "without output machines" التي ترجمناها أعلاه بآلات بدون منتج، وعنوان هذا النّص The Wom أيضاً يعني الآلة بلا منتَج، ولكن آثرنا أن نتركه كما ورد في النصّ الأصلي باللغة الإنكليزية -المترجم-

صحيحٌ أن الله الواحد والثالوثي سيخلق منتَجاً باطنياً لذاته، ولكنه، بطريقة ما، سيشرك ظاهره أيضاً في ذلك، ما دام المنتَج سيمثّل النشاط الذي بواسطته تتحدّد العلبة السوداء بالنسبة إلى اللاوجود، أي بالنسبة إلى العدم، حيث سيكون هناك على الدوام، حتى مع فرضية انعدام الجحيم، أنينٌ وصريرُ أسنانٍ. إذاً سيكون مُنتَج آلةٍ كهذه نشاطَ تغذيته الذاتية، وبهذا المعنى ستكون الآلة فعّالة.

من جهة آخرى، إذا لم تكن هناك، على الأقلّ هذا الشكل من المُنتَج، فلن تكون الآلة الإلهية آلةً (بناءً على التعريف1) ولن تخصَّ مشكلة اللا آلة كهذه الجدلَ الراهنَ حول الآلات.

نؤكّد أنَّ القيمات إن لم تكن قابلة للإنتاج، فإنها في كل الأحوال قابلة للتصوُّر مثلما يؤكد القديس آنسيلم[1]: يمكننا تصوُّر esse cujus nihil maius cogitari possit ، فلتكن إمكانية تصوُّر هذا الكائن دليل وجوده أيضاً، مسألة قابلة للإهمال لأغراضنا الراهنة.

4. الآن، يؤكَّدُ بأنّه من المتعذر تصوُّر قُوم أيْ esse cujus nihil minus cogitari posit.

إن مشروع قُوم هو بالتأكيد مشروع علبة سوداء، والتي على الرغم من أنّها تتلقّى مادة أولية إلا أنها لا تطرح أيَّ منتَجٍ.

وبعباراتٍ آليّة، سيتعيّن تصوُّر علبة سوداء مربّعة الزوايا تُدرَكُ مادتها الأولية إلا أنّها، لدى الخروج من الآلة، لا تطرح أيَّ منتَج بمعنى «شيء» ولا أيَّ حاسّةٍ حرارية أو لمسيّة. وفي الحقيقة، لن يتعيّن عليها كذلك طرح إمكانيات الإدراك، وبالتالي سيتعيَّن عليها أن تكون غير قابلة للإدراك: إذ إنَّ قُوم قابلة للإدراك من قبل أي كائن آخر

---

(1) من أساقفة كانتيربري السابقين-المترجم-.

ستطرح، في النهاية، حقلاً من الإثارات يشكِّل إمكانية إدراك بيئتها خاصة، وبالتالي سيكون لها شكلاً حيوياً ما. وسيتعيّن على قُوم ناجزة ن تخفّف قدرتها الإنتاجية إلى حد التقويض الذاتي، . ومع ذلك، باختفاء العلبة السوداء التي تحدِّد المنتَج كمنتَج لهذه العلبة، لن تعود وم آلة بمقتضى التحديد1. وبهذا المعنى يكون تصوُّر القُوم ذاتي تناقض.

إذاً يبدو جليّاً أنّه بإمكاننا تعريف الثقوب السوداء على أنها ومات، أوّلاً لأنها قابلة للإدراك (وإن لم تكن بطريقة حسيّة وانّما استدلال المعطيات التجريبية الفائقة الترتيب)، ومن ثمَّ لأنها تعطي المنتَج كفاءة الجذب المتواصل لمادّة جديدة كمادة أوليّة خاصّة بها، أخيراً، لأنّه يُفتَرض أنّها تتبخّر، وأنّ التبخير، ما دام يحصل، فهو شاطٌ (منتَجٌ) للآلة، وبعد التّبخير التام، لن تعود هناك آلةٌ.

5. يُستَخلَص من ذلك النتيجة المؤقتة، أنّ القُوم لا يمكن إثباته أنه غير قابل للتصور (وذلك بالاستناد إلى الحجة الإنطولوجية سلبية)، ولكن بالمقدار نفسه لا يمكن إثبات عدمها.

ومع ذلك، وفي الحالة الراهنة لتطوُّر الفكر، لا يمكن كذلك ثبات لا قابلية التصوُّر، ما دامت، على لا قابلية تصوُّر القُوم، قد لبّقت كلُّ البراهين على لا قابلية تصوُّر أو قابلية تصوُّر النفي أو للاوجود.

فيما يخصُّ القُوم، لا يمكن عدم التصوُّر بأنها ليست قابلة لتصوُّر، ولكن بمقتضى قوانين زوال النفي:

(أ) يمكن التصوُّر بأنها ليست قابلة للتصوُّر .

(ب) لا يمكن تصوُّر بأن تكون غير قابلة للتصوُّر.

(ج) يمكن عدم التصوُّر بأن تكون غير قابلة للتصوُّر، ولكن لا يمكن القول بأنَّ بوسع المرء أن يتصوَّر بأنها قابلة للتصوُّر.

6. هذه الواقعة ستحثُّ على الاعتقاد بأن مجمل تطور الميتافيزيقيا الغربية يستند إلى فعل الكسل، ما دامت تطرح مشكلة المصدر نفسها باستمرار (أي مشكلة ثيم)، وهي المشكلة التي سبق حلُّها في البداية، دون أن تُطرح قط مشكلة النهاية (مشكلة ثوم)، والتي ستكون الوحيدة والفريدة الجديرة بالاهتمام.

هذا الكسل يعود، على الأرجح، إلى التكوين البيولوجي للحيوان العاقل. الذي امتلك، إن صحَّ القول، خبرة بدايته الخاصّة، وامتلك، عبر الاستقراء، اليقين بأنّ هناك بداية، ولكنّه لم يمتلك قط، سوى للحظةٍ وجيزةٍ، خبرةَ نهايته الخاصّة، والذي، في ذات اللحظة التي امتلكها، يكفُّ عن امتلاكها (وللحديث عن ذلك راجع مارتان إيدِن: «وعندما عرف ذلك، كفَّ عن معرفة ذلك»).

وبعبارات قانونية، هناك شهادات جديرة بالثقة حول البداية: («أنا قد بدأت. . .») أو حول بدايةٍ خالدة: («أنا ذلك الذي موجودٌ») ولكن ليست هناك أيّة شهادات جديرة بالثقة حول النهاية (حتى في تاريخ الديانات، لم يظهر قط كائن ليقول «لستُ موجوداً» أو «أنا ذلك الذي لم يعد موجوداً»). وعلى فرض أنَّه كان هناك كائنٌ قادرٌ على امتلاك خبرةٍ مباشرةٍ عن غياب كلِّ مادة أولية، فإنّه، إلى الآن، لم يُرَ قط كائنٌ قادرٌ على إمتلاك خبرةٍ مباشرةٍ عن غياب كلِّ منتَج (إنّ كائناً كهذا، إن كان موجوداً، سيكون الثوم، ولكنها، تعريفاً، لن تستطيع صياغة تعريف ذاتها، لأن صياغة تعريفٍ كهذا سيكون منتَجَها، وبهذا النشاط، ستتقوّض ذاتياً بما هي ثوم.

7. إذاً، إنّ مشروعَ فكرٍ يختار الثوم كهدفً خاصٍ به، يمثّل

النموذج الأساس الجديد لفعل التفكير الذي يدشّنه المرءُ هنا؛ إذ بعدم القدرة على تصوُّر القوم بشكل غير مباشر، لن يكون بالإمكان سوى الانطلاق من نماذج غير ناجزة للقوم النوعي.

ذلك هو هدف الكاكوبيديا بما هي التحسين النهائيّ للفيزياء التوافقية التي عليها التحوّل من علمٍ للحلول الخيالية إلى علم للحلول التي لا يمكن تخيُّلُها.

فكر بينار الفالوز[1]

بينار الفالوز (بورا بورا 1818- بادِن بادِن 1919) هو مؤسس المدرسة التوتولوجية[2] التي حُدِّدَت مبادئها الاساسية في المؤلَّف الذي عنوانه هو: «أقول ما أقول» والذي يضمُّ : الوجود هو الوجود، الحياة هي الحياة، الحب هو الحب، من يُرضي يرضي، من يستطيع يستطيع، العدم يفني.

كان السيِّد يُظهر نفسه أمام الملأ، صارماً وقاسياً (يقول بعضهم دوغمائياً) حيال تلامذته الانحرافيين. كان بينار الفالوز يدافع بصلابةٍ عن ترجمة جوهرانية لفكره، بموجبها كان القول بأنّ «المرأة هي المرأة» يمثّل حقيقة صريحة تمام الصراحةِ، بينما، وعلى غرار ما يقوله

---

(1) نص من الميراث ما بعد الكاكوبيدي، منطلق من الحدس سريع لـ فوريو كولومبو حول حياة وأعمال الفيلسوف الهندوسي العظيم براشاموتاندا (والذي أصبح في اللغة الفرنسية الفيلسوف العربي بينار الفالوز)، وقد أُعدَّ فيما بعد في سبتمبر - أيلول 1989 في مطعم البيتزه الخاص بـ هارفارد سكوير، من قبل نخبة من المفكرين الأمريكيين والإيطاليين والذين لن أذكر من بينهم، اختصاراً، سوى باولو فابّري وأومار كالابريسي، وجيامباولو بروني وساندرا كافيتشيولي.

(2) التوتولوجية: هي تحصيل الحاص (لفظ زائد على أصل المعنى دون فائدة- المترجم-.

البعض، التأكيد بأنّ «المرأة هي إمرأة» سينطوي على انحطاط للنوع، خطيرٍ ومفاجئ (مع بعض فوارق النسبية الشكوكية).

في الواقع، نتذكّر حالة التلميذ المخلص الوفي غورو غور الذي، بعد أن أكّد بأنّ «الأعمال هي للعمل» كان قد فرَّ بصندوق الجمعية.

كان بينار الفالوز قد ادّعى التصادم مع الرواقية. إلاّ أنّ هذا الحدث كان قد رسم بداية نهايته، لأنه، على ما ذكره بعض المسبِّحين، كان قد سرَّب مبدأ «من يتعرض لأمرٍ يتباهى به» والذي كان يتعارض بكل وضوح مع المبادئ الجوهرية لمنطقه.

من حدثٍ كهذا (والذي سمّاه الأدب المنعطف أو البينار الفالوز-كيهر) ما كان من الممكن سوى ولادة المدرسة المنطقية المغايرة، وذلك بانعكاس جدلي داخلي، المدرسة التي كان مؤسسها البروفيسور **جانين شڤارزنڤايس**، المولود في بيرغتال سنة 1881، ومؤلِّف المجموعتين الصغيرتين المغايرتين منطقياً اللتين ظهرتا تحت العنوانين: «أنا يكون آخراً» (je est un autre) و«المستقبل السالف».

كان **شڤارزنڤايس** يؤكِّد، ولا شك أن قراءَنا سيكونون قد خمّنوا ذلك، أنّ الوجود هو العدم، الصيرورة تبقى، الروح مادة، المادة روح، الشعور لا شعور، الحركة جمود، وحتى إعلان المبدأ النهائي الشهير: «انتهت الفلسفة مع من سبقوا سقراط» ولم يفت هذه المدرسة من أن تعاني من بعض الانحرافات الاقتصادوية: «الرُّخص يكلِّف غالياً» دون نسيان تسمية نسبها بمدرسة ذرائعية مغايرة. («الرحيل، هو موت تدريجي، السكوتُ قَبولٌ، عدوٌ نافعٌ خير من صديقٍ مضرٌ»: حيث لا يعدم المرءُ، كان شڤارزنڤايس يحذر، رؤيةَ ظلِّ بينار الفالوز، المتوعّد).

وكانت مدرسة المنطق المغاير تتّهم التوتولوجيين بعدم الإيحاء إلاّ بأعمالٍ هشّة قليلة الأهمية فنياً مثل: «تورا تورا»، و«نيويورك نيويورك»،

و«نونو نانيت» و«ما سيكون سيكون». وكان المغايرون منطقياً يتباهون بالتأثير الذي كانوا قد مارسوه على روائع مثل «**الحرب والسلام**» و«**الأحمر والأسود**» و "Little big man"[1] و«**الفتاة الصغيرة الغنية الفقيرة**». بماذا كان تلامذة بينار الفالوز يردّون على القول بأنّ ليس لتلك الروائع شيء من المنطق المغاير لأنها كانت تستند لا إلى التناقض وإنما إلى الترابط المنطقي، وكانوا يؤكدون أن المغايرين منطقياً قد استطاعوا بذلك أن يطالبوا أيضاً بحقوق في الوسكي الأسود والأبيض Black and white.

حينما كان المغايرون منطقياً يريدون، في مجلة ألفا أوميغا - Alfa omega، أن يستحوذوا على المقولة الشهيرة: «أن نكون أو لا نكون» كان الحشويون يتهكّمون (وليس من دون مبرر)، عبر المحاججة بأنه كان هناك في أساس المونولوج الشكسبيري، مبدأ بينار الفالوز الذي يقول بموجبه «إمّا الوجود هو الوجود، وإما العَدم هو العَدم». وبإبداء رأيه قائلاً: «عزيزي هاملت: إنَّ هذا، إمّا هو هذا أو هو ذاك» كان التوتولوجي الكبير جان جان–جان الساخر قد تقيَّد بواحدةٍ من أكثر حِكَم السيِّد وضوحاً ألا وهي «الإفراط هو إفراط».

إلا أنّ الطرفين كانا، بالتّخريف في هذه الجدالات المدرسية، قد استُهلِكا، وشُلاَّ من قبل ما كان تجدر تسميته بالفكر المفكَّك.

وانطلاقاً من التوكيد المبهَم ظاهرياً بأن «من نهشته الحيّة حذَرَ الرَسن» كان أتباع التيار الجديد يؤسِّسون شرعيته على التناقضات المعروفة للعلاقة التضمينية المادّية، التي يُعتَبَر، بموجبها، الافتراض «إذا كنتُ أنا قطّي إذاً قطّي ليس أنا» افتراضاً صحيحاً في كلِّ عالمٍ عتيدٍ.

---

(1) فيلم سينمائي حققه آرثور بين –المترجم–.

كيفية الطّعن بالتزوير ضد هيراقليطس
(بالتعاون مع أنجيلو فابري)

لا ترمي التجربة التالية إلى إثبات بطلان الافتراض الشهير الذي يقول بأنَّ كل شيء يجري كنهر، وإنّما إلى إثبات بطلان الافتراض، المتمِّم للأوّل ظاهراً، والذي يقول بأنّه لا يمكن للمرء الاستحمام في النهر ذاته مرَّتين. وسيقوم البرهان على أن ثمَّة شروطاً مثالية، مثل أن كل شيء يجري، يمكن للمرء، بتوافره، الاستحمام دائماً في النهر ذاته. الحالة الأصلح على الإطلاق هي حالة السلمون الذي، وهو موثَّقٌ، يسبح وهو يصعد نحو أعالي التيار.

وأيّاً كانت السرعة التبادلية للنهر والسَلْمون، على أن يقسّم النهر إلى أجزاء يُرمَز إليها بـ X_1 . . . . . X_{10} بحيث تمثّل، كحدٍّ أدنى، عشرة أجزاء من النهر، وبافتراض أن النهر يجري من X_1 إلى X_{10}، وأنّ السَلْمون يسير نحو أعالي النهر من X_9 إلى X_1 (X_1 نحو أعلى النهر وX_{10} نحو سافلة النهر)، وبافتراض أنَّ السَلْمون يبدأ بالتقدم من X_9 إلى X_{10} وقد سبق للدفعة الأولى من الماء النهري (بعد فترة من النضوب) أن عبرت كل الأجزاء من 1 إلى 9، فمن البديهي أنّه، في اللحظة التي بلغ فيها السَلْمون النقطة X_8، في الزمن T_1، يجتاح النهر، أيّاً كانت سرعة تقدمه، الجزء $X_8 - X_8$ بدفعةِ مياهٍ مختلفةٍ عن تلك التي سبق لها وجرت من X_9 إلى X_{10}.

ويصلح هذا المبدأ للسَلْمون، وإن سلّم المرءُ بمفارقة زينون: إذ سيمضي السَلمون، على غرار آخيل، زمناً لا محدوداً لعبور أجزاء المكان اللاّ محدود الذي يفصل X_8 عن X_9، ولكنَّ النهر من جهته سيجري في الآن ذاته، (بعبارة آخرى، لا يستحمُّ المرء مرّتين في النهر ذاته، حتى وإن اتّخذه مسبحاً لأقدامه، وهو يلبث جالساً). وسيكون

الأمرُ مختلفاً إذا ما كانت مفارقة زينون صالحة للنهر أيضاً. لنهرٍ ساكنٍ، سلمونٌ ساكنٌ. ولكن في هذه الحالة سيجري النهر، الفائض بعد نضوب، أبدياً من X_1 إلى X_2، وسيمكث السلمون ساكناً في X_9، ليس بمقتضى مفارقة زينون، وإنما لأنه سيكون في انتظار أبدي للنهر المطلوب السير نحو أعاليه. في هذه الحالة ستكون الافتراضات «السلمون لا يسبح أبداً في النهر ذاته» و«يسبح السلمون دائماً في النهر ذاته»، مجردة من أيِّ قيمة حقيقية، ما دام ليس لكلمة «النهر» أيُّ دلالة مرجعية.

وحينها، سيغدو السلمون قسراً حيواناً برّياً (وبالتالي ستنمو، في مسار تطوُّرها، أطرافٌ تؤدّي الوظائف الحركية، ورئات كتلك التي للثدييّات).

من جهة أخرى، إذا كانت مفارقة زينون صحيحة، فلن يكون من الممكن أن توجد أنهار، ولن يكون هناك سوى ثلوج حبيبية تستغرق وقتاً لا محدوداً لتذوب، ولا تتحول أبداً إلى ماءٍ جارٍ- عدا أنه لن يكون هناك قط ثلوج حبيبية، وإنّما هواطل غير قابلة للجريان، وهكذا إلى ما لا نهاية.

وفق المبادئ المعروضة أعلاه، لا يستحم أبداً في النهر ذاته، مَنْ يبقى ساكناً وسط التيار، طبعاً على اعتبار أن النهر يجري، وأن الأمر، بالتأكيد، يتعلّق بنهرٍ وليس بِبِرْكَةٍ. فهيراقليطس لم يؤكِّد قط بأن المرء لا يستحم أبداً مرتين في البركة ذاتها.

الآن، لنتخيّل شخصاً راغباً في الغوص في نهرٍ والاستحمام باستمرار في الماء نفسه. للقيام بذلك سيتعيّن عليه تنفيذ خطّة ماو Mao، التي ترتكز على التحرُّك في النهر بسرعة تساوي سرعة الماء. فتكون البرهَنة على الطريقة التي يمكننا بها، بفضل هذه الخدعة،

الاستحمام دائماً في النهر ذاته، بَديهيّة. وكذلك تكون بديهيّة - بالرغم من أنها خاطئة - فكرة أن الشخص الذي سيسبح بسرعة V_j على أن تكون $V_j < V_y$ (و V_y هي سرعة النهر)، سوف لن يستحم، دائماً في النهر ذاته.

وستكون المشكلة، في المحصلة، هي معرفة: (آ) كيف سيحدِّد المرء سرعة النهر، (ب) وكيف سيحسب حركاته لتتوافق سرعته مع سرعة النهر، بفضل الصيغة التالية:

$$m\vec{a} = \vec{F} - K\eta\vec{v}$$

حيث m هي كتلة الجسم، و $\vec{a}$ هي التسارع، و $\vec{F}$ هي القوة التي يسبح الجسم تحت تأثيرها، و K عامل متعلق بشكل الجسم، و η عامل لزوجة مرتبط بالخواص الفيزيائية لماء النهر، (الكثافة، درجة الحرارة.. إلخ) و $\vec{v}$ سرعة الجسم.

وإذا فرضنا أن القوة $\vec{F}$ ثابتة، فإن التسارع سيسبِّب زيادة في السرعة ستقود الجسم إلى امتلاك سرعة تفوق سرعة النهر. وهو، في هذه الحالة، سيستحمُّ دائماً في مياه متغيّرة.

من جانب آخر، إذا كان الجسم يسبح ضد التيار في مقاومة لهذا التسارع، فإنه سيجازف بأن يلقى نفسه في وضع السلمون، الذي جرى بحث حالته أعلاه.

ومع ذلك، يقابل التزايدَ المتواصل للسرعة، تزايدُ الاحتكاك بالسائل، إلى حين تنتفي، في لحظة محدّدة، المعادلة $\vec{F} - K\eta\vec{v}$

حينها، يكون التسارعُ أيضاً صفراً، ولن يعود هناك تزايد السرعة، ما دام أن الاحتكاك بالسائل يوازَن تماماً بالقوّة المطبّقة.

ترتكز التقنية على ألاّ يسبح سوى من هو ملزَم بغية جعل سرعته

السباحيّة الخاصة به عِدْلَ سرعة النهر حسب الصيغة التالية:

$$\overrightarrow{V}_L = \frac{\overrightarrow{F}}{K\eta}$$

حيث $\overrightarrow{V}_L$ = سرعة جريان المياه = سرعة النهر.

نظرية الثمانمائة لون (بالتعاون مع أنجيلو فاتري)

في بداية سنوات السبعينات، واجهتْ مشكلة طبوغرافية لونية في غاية الأهمية حدَّةَ ذهن علماء المنطق في العالم أجمع، عُرِفَت تحت مسمّى «نظرية الخارطة ذات الثمانمائة لون» وكانتْ رداً على السؤال التالي: «هل يمكن إعداد خارطة لأوروبا المتجزئة في دول منفصلة باستخدام ثمانمائة لون مختلف، بحيث تكون كلُّ دولةٍ بلون يختلف عن الآخر، وبحيث ألاّ تكون هناك دولتان متجاورتان لهما نفس درجة الإشراق اللوني؟».

كان علماء الرياضيات يعتقدون بأن ذلك ممكن، إلا أنّهم لم يكونوا متيقنين من ذلك.

وللصعوبة القصوى لمسألةٌ تَقْعيد الاستنباط، كان ميلهم الفطري يرشدهم إلى إجراء أبحاث تجريبية. إلاّ أنّه كان من الصعوبة بمكان العثور على ثمانمائة درجة لونية مختلفة من الباستيل أو الفوتر، الأمر الذي كان يجعل المسألة أكثر صعوبة وعسراً. في سنة 1974، قدّم **مارتان ريندراغ**، وهو أحد زملاء البروفيسور **نيكولاس بورباكي**، منهجاً باهراً في ترميم الألوان، واقترح إعادة صياغة النظرية، لتقارب قول ما يلي: «هل يمكن رسم خارطة لأوروبا، المتجزئة في دول منفصلة ومرقَّمة من 1 إلى 800، بحيث يُشار إلى كل دولة برقم مختلف، وألاّ تكون هناك دولتان متجاورتان يشار إليهما برقم مماثل؟»

لم تفعل هذه الصياغة الجديدة سوى إرجاء عملية التلوين، دون أن تحلَّ الصعوبات اللونية للمشكلة؛ ومع ذلك، كانت تقدِّم منطلقاً ممتازاً لحلٍّ عقلانيٍّ للمسألة.

وعلى الرغم من أن الخارطة وأقلام التلوين كانت في متناول اليد، لم يكن أيُّ عالم رياضياتٍ قادراً على حلِّ النظرية، إلى أن نجح، سنة 1979، فريقٌ بقيادة البروفيسور **غوته** من "MIT"[1] في تقديم حلٍّ نظريٍّ جزئيٍّ يقوم على أساس الصياغة المعدّلة التي اقترحها ريندراغ: إذ نجح البروفيسور **غوته**، عبر برمجة آلة تورينغ Turing للدول غير المتحدة، في تقسيم أوروبا إلى 800 دولة قابلة للترقيم بحيث تلبي الشروط المنطقية للمشكلة.

وللحصول على هذه النتيجة، كان من الضروري أن تُعدّ المقاطعات السويسرية جميعها، والأقاليم الإيطالية والمحافظات الفرنسية، بما فيها كروز وكوريز وموز، وكذلك جُزُر فير كير وإلبا ولامبيدوزا، دولاً مستقلة.

حينها، ارتكزت المشكلة المبسّطة جداً، على منح كل رقم لوناً وحيداً وفريداً، ولكن الصعوبات العملية كانت واضحة: فلمّا نُمِّرَت العشرات من الدرجات اللونية المختلفة عن بعضها البعض اختلافاً جذرياً، طُرِحَت مسألة تسميتها ومماثلتها ومقارنتها.

وبعد اختبارِ حلٍّ عقلانيٍّ طبيعيٍّ قطعاً، مؤسَّسٍ على التمايزات اللونية، من نمط الأصفر الليموني والأصفر النمري والأصفر الكناري والأخضر البازيلائي، والأخضر الكاشف، والأخضر التنيني والأخضر الزمردي، والأخضر التفاحي والأخضر التبغي والأبيض القارني.. إلخ،

---

(1) وهي الأحرف الأولى من "Massashusetts Institute of Technology" «معهد ماسوشوسيت للتكنولوجيا». -المترجم-

كان لا بد من الإقرار بفشل التجربة بسبب اكتشافٍ جوهريٍّ: إذ إنّ ثمار الليمون تختلف عن بعضها في الكثافة اللونية إلى حد تغيير اللون تماماً، بسبب لا محدودية العوامل التي غالباً ما تكون غير مرئية – البيئة والمناخ والارتفاع عن مستوى البحر والضغط الجوي ودرجة النضج وحالة الحفظ واستخدام المواد الحافظة، ولا أتحدث عن المغامرات العجيبة الأخرى التي حدثت، والأمر نفسه بالنسبة لطيور الكناري، دون الحديث عن البازيلاء والتنانين والتبغ.

علاوة على ذلك، ولمّا كان بعض ثمار الليمون الصقليّة تُظهر تدرجية لونية شديدة الشبه بالتدرجية اللونية لطيور الكناري البرتغالية، فقد تبيَّن أنّ المنهج اللوني الطبيعي للمصطلحات اللونية لا يقدِّم أيَّ ضمانة علمية.

بالإضافة إلى ذلك، يجب الأخذ بالحسبان حقيقة أن الخارطة لن تكون صالحة كمرجع لا بالنسبة للأفراد الدالتونيين المصابين بعمى الألوان ولا بالنسبة لشّتى الأنواع والأصناف الحيوانية التي لأعضائها البصرية بنية خاصة، كالحمير مثلاً في الحالة التي تهمُّنا، ولكن أيضاً النُغل ونماذج أخرى من الخيليَّات.

تم اقتراح إقرار سلّم لونيٍّ يستند بطرحه إلى طول موجة أطياف الضوء الشمسي، بحيث يكون كلُّ لونٍ قابلاً لأن تتعيَّن هويته، دون أيِّ لبسٍ محتمل، عبر قياس الموجة وطولها.

وهكذا، سيكفي استبدال كل رقم من الأرقام الثمانمائة للخارطة برقم جديد، ومن ثمّ التثبُّت من أنّه ليس هناك أرقام متجاورة متشابهة.

وفي هذه الحالة، أيضاً يُحذَّر من إجراء أبحاث تجريبية، نظراً لصعوبة المقارنة بين ثمانمائة رقم مختلفٍ، رقماً برقمٍ.

في الوقت الراهن،لم يستطع أيُّ شخصٍ تقديمَ برهان تامٍ وشاملٍ على نظرية الألوان الثمانمائة، وللأسف بقي السؤالُ مفتوحاً.

مشروعُ جامعةِ للتَفاهة المُقارَنة

قسم الضدائد[1]

التمدين الغجري

علم صناعة الخمور الإسلامي

صوتياتُ فلمٍ صامتٍ

شرح الرموز البريلية[2]

المؤسسات الثورية

اللغات الفرانكو- جرمانية

اللغات الأورالو- ميلانيزية

اللغات الأوغرو- رومانية

الهيدروغرافيا السيلينيتية

علم القوى البارمينيدي

علم السكون الهيراقليطي

علم المحيطات التيبيتي

علم الكشف بالمجهر الفلكي

طب العيون المعدي

البيزنطانية السويسرية

شرائع الانحراف

---

(1) Oximorique، من oxymore، التي يترجمها عبدالسلام المسدي في قاموسه بـ ضديدة التي تعني تركيب للفظتين متناقضتين: «النهار المظلم» أو «الليل المضيء» (راجع، التأويل بين السميائيات والتفكيكية، أمبرتو إيكو، ترجمة سعيد بنگراد، المركز الثقافي العربي، 2000-المترجم-.

(2) طريقة بريل في الكتابة الخاصة بالعميان وهي تستخدم حروفاً نافرة-المترجم-.

المؤسسات الارستقراطية الجماهيرية
مؤسسات الأوليغارشيا الشعبية
تاريخ التقاليد المجدِّدة
الجدلية الحشوية
فن الجَدَل البولّيّ[1]

قسم آديناتا (أو أنبوسيبيليا)

ثراء اللغة الأترورية في القرون الوسطى[2]
علم كلمات المورس
تاريخ الزراعة في القطب الجنوبي
تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية في العصر الهلينستي
تاريخ فن الرسم في جزيرة باك
الأدب السومري المعاصر
مؤسسات علم التباري المونتيسوري[3]
نفسية المجانين في أقاليم الصحراء الكبرى
علم ظاهرات القيم اللونية لكفن السيد المسيح
تاريخ فن الرسم في العصر الحجري القديم
تاريخ الزراعة في العصر الجوراسي
تاريخ المؤسسات العائلية لدى الهيكليِّين
علم التشريح عند الكانغورو في بورغونيا

---

(1) نسبة إلى نظريات الرياضي جورج بول-المترجم-.
(2) نسبة إلى أترووريا التي كانت تقع قديماً غربي إيطاليا-المترجم-.
(3) نسبة إلى الطبيبة والمربية الإيطالية ماريا مونتيسوري-المترجم-.

الطوبعية الآشورية – البابلية
الفروسية الأزتيكية
تكنولوجيا العجلات في الإمبراطورية ما قبل الكولومبية
علم تطبيب بلع الهواء بواسطة الشنق
علم التراكيب المنطقية للقرقرة
علم الأصوات الكلامية للصمت
التاريخ العقلاني لطب الأسنان الدجاجي

قسم المنطق البيزنطياني

التذرير الدماغي الهيدروليكي
علم ظاهرات ضربة اللُسَين في التهيج الفموي الجيني الدانماركي
الفحص المجهري لما هو متعذر التمييز
الطب النفساني للجموع غير السوية
نظرية المنفصلات (في تتمّة لنظرية المجموعات)
علم الحساب الزهيد (في تتمة لعلم الحساب الجزيل)
الحساب المتناقض (في تتمّة للحساب المتكامل)
تاريخ بداهات زيرميلو
تقنية الثُلثِ المُدْرَج
المنطق اللا شكلي
آرس أوبليفيونااليس Ars oblivionalis
تاريخ الفلسفة ما قبل السقراطية
علم آثار معاهد الآثار
جغرافية الفاتيكان
تاريخ مستعمرات إمارة موناكو

قسم المفاعل الكهربائي الرباعي التشطير(*)

هيدروغراماتولوجيا

تبويل السلحفاة البحرية

بيروبيجيا

التقنية البرازية اللاحقة بالقول

القرع الأوركسترالي

فن اللواطة الحسية الحركية

تعظيم الهيلينية

وسيكون على الطلاب، لنيل إجازتهم في التفاهة المقارنة، اجتياز ثمانية عشر امتحاناً في مواد ليست بينها أي صلة متبادلة على الإطلاق، ولا أي علاقة مشتركة، والمراجع المطلوبة للامتحان ستتألف من ستين عنواناً لكلِّ مادة، كلُّها من قبل المرشح لنيل الإجازة.

ليس من الضروري أن يتلاءم العنوان مع نصٍّ ما، ولا أن يتلاءم النصُّ، إن وُجِد نصٌّ، مع العنوان. وستخضع المراجع للمعايير الافتتاحية لطبعة هارلوكان.

(*) على الرغم من التسميات التقنية (التي تُعزى هرمسيتها، من بين أسبابٍ أخرى، إلى أسباب لها علاقة بالحشمة) فإنّ العالِم في الاشتقاق، الملهَم سيجيد استنباط المحتويات منها، والتي هي بالترتيب: تقنية الكتابة على سطوحٍ مائيةٍ، فن التبوّل في آلةِ كمانٍ، تقنية كَيْ أرداف الآخرين، تحليل عباراتٍ من نمط «اذهب وانتَكِح»، فن انخفاق الخصيتين، فن نظم الولوج الاستدلالي، فن الذهاب للتراثي عند اليونانيين. وبالمفاعل الكهربائي الرباعي التشطير، نفهم بجلاء العلم الذي يتيح تشطير شعرةٍ واحدةٍ إلى أربع.

عناصر النقد الكمّي

إنّ أيَّ جدلٍ حول الكتب الأكثر رواجاً يكشف عن حدود سوسيولوجيا الأدب، التي تدرس العلاقات بين الكاتب والناشر (قبل صنع الكتاب) ومن ثم بين النتاج والسوق (بعد النشر)، مهملاً، بذلك، جانباً هاماً للمشكلة ألا وهو: البنية الداخلية للعمل الأدبي. ليس بمعنى، المبتذَل أشدّ الابتذال، قيمته الأدبية (فمسألة كهذه تستعصي على أي تحقيق علمي)، وإنّما بالمعنى، الأكثر مادية وديالكتيكية، لاقتصاد سوسيولوجي داخلي للنصّ السردي.

فلا بدّ، لكلّ رواية، من القدرة على حساب تكاليف التوريدات المترتبة على الكاتب في سبيل إجراء التجارب الأدبية التي يستحضرها: فإذا ما بدا الحساب يسيراً بالنسبة للروايات التي يكون فيها الراوي الشخص الأول (أنا) (تكون النفقات على حساب الراوي) فإنّه يتعقّد ويغدو مكلفاً، حينما يتوزّع راوٍ كليُّ العلم بين جميع الشخصيات.

وهكذا، سنجد أنَّ رواية همنغواي «**لمن تقرع الأجراس**» لا تكلّف شيئاً يذكر: رحلةٌ سريّة في قطارٍ للبضائع حتى اسبانيا، والمأوى والغطاء مقدّمان من قبل الجمهوريين، والمراة في كيسِ نومٍ، توفيرٌ مناسب على الفندق المشبوه. وتتخيّلون الفارق مع «**ما وراء النهر وتحت الأشجار**»، حينما يُفكَّر بسعر زجاجة مارتيني في هاريز بار Hary's Bar.

لقد كتب بابيون عمله «**المذكّرات**» على نفقة الحكومة بالكامل، ولم ينفق بوتور على «**التغيير**» سوى ثمن تذكرة قطار. بينما كلّفت «**الرحلة حول غرفتي**» دو ميسترَ أجور شهورٍ عديدة من الإيجار، بل شراء مسكن بمساحة 60 م2، يضمُّ مطبخاً ومرحاضاً وحماماً. وتتعقّد حساباتنا مع مجمل «**الملهاة الإنسانية**»: فلم نعد ندري تماماً مَنْ دفعَ

ماذا. ولكننا نعرف أنّ الرجل الطيّب بلزاك قد اضطرّ للقيام بهكذا مكيدةٍ من ميزانيات مزيّفة ومصاريف راستينياك الموظّفة تحت عمود نوسَنجَن وديونٍ وكمبيالات وأموال ضائعة وإثمارٍ بالنقود، وإفلاسٍ إحتيالي آخرٍ يستحيل أن يكون على بصيرة منه.

بالمقابل، قدَّم بافيسي حالةً لا تزال واضحة: بضعة ليراتٍ ثمناً لزجاجةٍ من الخمر في الروابي وتتمُّ الحيلة، بخلاف «**بين نساء وحيدات**»، حيث لديكم قوائم حسابات الحانات والمطاعم.

حقاً، الجنس ليس غالياً، فها هو «**روبنسون كروزوي**» **لدو فو**، لم يكلِّف سوى ثمن تذكرة الإيجار، إذ إنَّ، على الجزيرة، يُنفّذُ كلّ شيءٍ بمواد مستَرجَعة.

وبذلك، تكون لديكم روايات رخيصة، ظاهرياً، ولكنّها، بعد التدقيق والفحص، تتكشَّف على أنها باهظة التكاليف: ففي «**دودالوس جويس**»، لابدّ من حساب، كحدٍّ أدنى، إحدى عشرة سنة من العيش عند اليسوعيين، من كونغلوز وود إلى بيلڤيدير، وصولاً إلى أونڤيرسيتي كوليج، يُضاف إليها كلفة مجموع الكتب. أخيراً علينا ألا ننسى الأعمال الباهظة الثمن بشكلٍ واضحٍ ومكشوف.

فيما يخصُّ «**العد العكسي**»، سيكون احتساب التكاليف الخاصّة بأتباع **هويسمان**، بين معماريين ومهندسي ديكور وصاغة، وصانعي مجوهرات وخياطين، ومنحوتات الحيوانات الغريبة، وكتب قديمة، وطنافس شرقية، وجواهر نفيسة، وبروكار ذهبي، ونُسج حريرية، وجميع هؤلاء الأشخاص، سيكون لعبة الأخشاب المركّبة حقيقية، دون تجاهل ارتفاع سعر النقد. ثمة أمرٌ لا ريب فيه، وهو أنَّ المبلغ فلكيٌّ.

وكذلك ليس معلوماً كم هي الكلفة الإجمالية لـ «**البحث**»[1].

---

(1) فيلم سنمائي حقّقه مستر غودبار (1979)-المترجم

فلمعاشرة أهل غيرمانت ومصادقتهم لابدَّ من بذل الأموال. ولا تبالي باستئجار فراك[1]، ولا بإهمال الزهور والهدايا الصغيرة، دون حساب الفندق المزوّد بمصعد في بالبك، وسيارة الجدَّة، والدرّاجة للالتقاء بألبيرتين والذئب القديس. ولا أتجرأ حتى على مجرّد التفكير في ثمن دراجة في حينها.

ليس ثمة ما نشاهده فيما يخصُّ «حديقة آل فينزي-كونتيني»، حيث غدت الدراجات عملة متداولة؛ إذ بالنسبة لما تبقَّى، من مضرب تنسٍ، وقميص رياضي جديد، وقِدْر من الخشب الصلب وسواها من المصاريف، فقد حُدِّدَت من قبل العائلة المانحة الكريمة أشدَّ الكَرمِ.

أما فيما يخصُّ «الجبل السحري»، فالأمر أيضاً في غاية الجدّية: أجرة المصحّ، الفروة، قَلْبَق، وعدم الانتفاع بمشروع هانس كاستروب.

وما القول في «الموت في فينيسيا»؟ تخيّلوا فقط أجرة غرفة مع حمام في فندق من فنادق ليدو، ولا تنسوا بأنّه كان سيّداً مثل آخنباخ يبذل، لأسباب تتعلق باللباقة، ثروة صغيرة فقط كبخشيش في زوارق فينيسيا. وقد أتاحت أبحاث لاحقة أجريت أثناء الفترة الكاكوبيدية توليد أسئلة مقلقة أخرى: والحال هكذا، لنقارنْ بين المغامرات الخارقة لكونراد وڤيرن على الأرض وعلى البحر.

من الواضح أنَّ كونراد، بعد أن توظّف بموجب شهادته كقبطان للرحلات البحرية الطويلة، وجد في حوزته، مجّاناً كل مستلزمات عمله، بل الأحرى: كان الناس يدفعون له لقاء الإبحار بهم.

حالة جول ڤيرن مختلفة جداً، فهو، على ما نعلم، لم يسافر قط أو إلاّ نادراً، حتى أنّه اضطرَّ إلى أن يتنقَّل بين المكتبة الوطنية ولوازمه عند

---

(1) frac، لباس رسمي أسود وضيّق-المترجم-.

ائعي الأكسسوارات، التي دائماً ما كانت باهظة الثمن. ولكن لنتوقَّف عند الرحلة الوحيدة، ولنتناول عمله «جولة حول العالم في أربعة وعشرين يوماً».

إذا حسبنا بأنّه، يُطلَب منك، في أيامنا هذه، لقاءَ غرفة في فندق مقبول في سنغافورة 1000 فرنك للشخص الواحد، أي 2000 فرنك لشخصين، ستعرف الآن كلفة النزهة اليومية. ولنفترض أن استئجار كل وسائل النقل الممكنة والمتخيلَّة يكلِّف ما يقارب 2000 فرنك في اليوم، فيترتب علينا 4000 فرنك، وإذا ما ضربناه بـ 80 يوماً، ستكون النتيجة لمبلغ الزهيد 320000 فرنك من فرنكات أيامنا هذه.

تخيلّوا لبرهةٍ نزهة ڤيرن!.

وتوحي لنا المقارنة كونراد - ڤيرن بمقارنة آخرى : بين معركة واترلو في «شارتروز بارما» ومعركة واترلو في «البؤساء»، والفرق بينهما واضح للعيان، فقد استخدم ستاندال المعركة الحقيقية، وحقيقة أنَّ فابريس لم يفهم منها بدقة أيَّ شيء هي الدليل القاطع على أنها لم تكن مصنوعة بشكل مختلق.

على العكس من ذلك، ألّفها هوغو ex novo مثل خارطة لإمبراطورية نقطة بنقطة مع حركات جماهيرية واسعة، ومشاهد مأخوذة من الجو عبر الحوامات، وخيول ممسوخة وقصف مدفعي، أحياناً بشكل رشقات، على أن يسمعها غروشي دائماً من بعيد. الخدعة لرخيصة الوحيدة في رومارك الضخم هي «طُز» التي أطلقها كامبرون.

وفي الختام، ها هي مقارنة أخيرة. من جهة لدينا هذه العملية لمربحة جداً اقتصادياً، التي أنجزتها رواية الخطّيبون[1]- النموذج

---

(1) رواية أليسّاندرو مانزوني (Ipromessi sposi)، وقد ترجمها أرمان مانجو بعنوان: الخطّيبون-المترجم-.

الممتاز للعمل الأكثر رواجاً من حيث النوعية في المحصلة، والرائز حرفياً وفق مزاج الإيطاليين المعاصرين. فمن القصر الواقع على الرابية، إلى ساعِد بحيرة كومو Côme[1] مروراً ببورتا رينزا، كان مانزوني يتوفّر على كل شيء تحت تصرفه، ولن يفوتنا ذكر المهارة التي يُخرِج بها لكم الفتنة من منشور حينما لا يتوفّر على الفتنة التي يحتاجها، ويعرض الوثيقة ويعلن لكم باستقامة وصراحةٍ شديدتين، بأنّه لا يبني من بنات خياله، وإنما يعطيكم ما كان يمكنكم العثور عليه في المكتبة. ثمة استثناء وحيد، إنّها مخطوطة الكاتب المجهول، وهو الامتياز الوحيد لواضع إكسسوارات المسرح.

هذا يعني أنه في ذلك العصر، كان يجب أن تكون هناك في ميلان مكتباتٍ للآثار كتلك الموجودة في الباريّو غوتيكو في برشلونة، والتي بثلاث فرنكات وستة قروش تصنع لك شهادات جامعية مزوّرة كانت بمثابة عجائب خالصة. على النقيض من ذلك، هناك كذلك روايات تاريخية أخرى، زائفة مثل «**التروفيريّ**» Le Trouvère[2] ولكن أيضاً سادية تماماً، وكذلك الرواية السوداء.

ولا أتحدث عن النفقات الكمالية التي بذلها **وليام بيكفورد** على عمله «**ڤاتيك**» Vathek، لأننا وصلنا هنا إلى التبذير الرمزي، بشكلٍ أسوأ ممّا عليه نوشڤنشتاين، ولكن، صدّقوني، لن تلتقي القصور والأديرة ومدافن آن رادكليف أو ماتيو لويس أو هوراس **ڤالبول** تحت حافرِ حصان واحدٍ. الأمر يتعلق بأعمال باهظة الكلفة لم تسدِّد قط المبالغ المستثمَرة، وإن كانت قد أصبحت من أكثر الأعمال رواجاً.

---

(1) وهي أيضاً مدينة في شمال إيطاليا-المترجم-.

(2) Trouvère: شاعر غنائيّ من شعراء القرنين الثاني عشر والثالث عشر في شمالي فرنسا-المترجم-.

ولا يزال الورثة سعداء بأنّ كتّابهم نبلاءٌ ميسورون، وإلاّ لما قبلوا لحصول على حقوقهم بالتقسيط.

وبطبيعة الحال، يجدر بنا أن نضيف إلى هذه المجموعةِ من لروايات الباذخة المتكلِّفة تماماً، نتاج رابوليه «**غارغانتوا وبانتا غرويل**»، وأيضاً «**الكوميديا الإلهية**»، إذا ما شاء المرءُ أن يكون قاسياً.

عملٌ وحيدٌ يبدو وكأنّه يقف في منتصف الطريق، هو «دون كيشوت». ففي الواقع، يجوب الفارس مانشا عالماً هو كما هو عليه، حيث سبق وأن وجِدَت فيه الطواحين؛ ولكن وجب على المكتبات أن تكلّف ثمناً باهظاً، لأن كل روايات الفروسية هذه ليست بنسخها الأصلية، إذاً، والحالة هذه، قد يكون بيار مينار هو من أعاد كتابتها.

تكمن أهمية هذه التحقيقات والتدقيقات في أنها تتيح لنا فهم الاختلاف بين صيغَتيْ سردٍ، لا تملك لا اللغة الفرنسية ولا الإيطالية عبارتين واضحتين لهما، يعني the novel وthe romance.

أمّا the novel فواقعيٌّ وبروجوازي وعصري وذو كلفة زهيدة، إذ يستخدم الكاتب خبرة مجانية. بينما the romance خياليٌّ وأرِستقراطي، ومفرط الواقعية ومفرط الغلاء، لأنَّ كلَّ شيءٍ فيه بناءٌ وإخراج.

وكيف السبيل إلى إعادة البناء، إن لم يكن باستخدام موادّ متوفّرة مسبقاً لدى واضعي الإكسوارات؟

ذلك هو المعنى الحقيقي لعباراتٍ عسيرة على الفهم مثل «فن الحوار» و«التّناص» ما عدا أنّه لا يكفي صرف الكثير ولا إدّخار الكثير من الأشياء المُعَاد جمعها، حتى تكون اللعبة ناجحة. كذلك لا بدّ من معرفة ذلك ومعرفة أنَّ القارئَ يعرف ذلك، وبالتالي، لابدَّ من السخرية من هذا الحديث.

إنَّ شخصيتَي **ڤيسكونتي** و**يازوليني** – لودڤيغ وسالو، حزينتان، لأنَّ الكاتبين أخذا لعبتهما مأخذ الجد، وذلك مما لا شك فيه، لتسديد النفقات المترتِّبة عليهم. والحال أنَّ المال لا يُدفع إلاّ إذا تصرَّف المرءُ بلامبالاة السُلطان، على غرار سادة «**القوطيّ**» gothic.

ولذا فهم يسحروننا بتأسيسهم، على ما يقول ليسلي فيدلر، لنمطٍ أدبيٍّ ما بعد حداثيٍّ يذهب بنا إلى حدِّ الإلهاء والتسليةِ.

ولتطبيق منطق اقتصادي سليم ومتحرِّر من الاندهاش على الأعمال الإبداعية بشكلٍ منهجيٍّ، سيكون بوسعنا العثور حتى على الأسباب التي تدفع الكاتب، الذي يُدعى لزيارة قصور خيالية تجعلها الحيلة ذات مصائر متقاطعة، إلى التسليم، أحياناً، بلعبة الأدب وتذوُّقها.

طبعاً، إذا أردنا الظهور بمظهر لائق، لا ينبغي إعارة المصروفِ الاهتمامَ.

IV

إسكندرية
(بييمونت)

www.books4all.net
مشتريات سوق الأزبكية

البرابرة

لم يبدُ دانتي حنوناً مع مدينة إسكندرية (بييمونت)، مسقط رأسي.

فهو يؤكد في عمله "De vulgari eloquentia"، الذي يستعرض فيه مختلف لهجات شبه الجزيرة، بأن الأصوات الجشّاء المنبعثة من سكان بلدنا، ليست، في شيء، لهجة إيطالية، ما يجعلنا ندرك أنّه بالكاد يعتبرها لغةً. حسناً فليكن! نحن برابرة، ولكن هذا أيضاً قَدَرٌ لشعبنا.

فنحن لسنا من الإيطاليين (اللاتينيين)، أكثر من هذا، لسنا سلتيين. إنّنا ننحدر من القبائل الليغورية، الفظّة الطباع، الكثّة الشعور، وفي عام 1856، شرع كارلو آفال في كتابة مؤلّفه «تاريخ بيمونت» مستذكراً ما قاله فيرجيل عن تلك الشعوب الإيطالية ما قبل الرومانية، في الجزء التاسع من «الإلياذة».

«هنا، لا أتريديين[1]، ولا أوليس الخطيب البارع، وإنّما سلالة من آرومة فظّة قاسية. ما إن يولَد أبناؤنا حتى نشرع في إنزالهم إلى ضفاف الأنهار وتصليب عودهم بتأثير المياه والجليد القارس؛ وبينما

---

(1) Atrides: عائلة الميثولوجيا الاغريقية المعروفة بقدرها المأساوي، أشهر أفرادها آغاممنون ومينيلاس. - المترجم -

لايزالون أطفالاً، يقضون لياليهم بالصيد ويجوبون الغابات، لعبتهم ترويض الخيل وشدّ القوس ورمي النبال.» (Trad. fr., Paris, Les Belles Lettres, P.28)

وهكذا، يضيف آفال بأن هؤلاء البرابرة «على بدانة معتدلة ورشيقة، وبشرة ناعمة وعيون صغيرة وشعرٍ خفيفٍ، ونظرة ملؤها الإباء، وصوتٍ أجشٍّ رنان: بحيث إنهم لا يمنحون، للنظرة الأولى، فكرة دقيقة عن قسوتهم الخارقة...»

ويروى أنّ أمّاً: «بينما كانت تعمل في الأرض، داهمتها آلام الوَضْع، فتوارت، دون أن تدع شيئاً يكشف أمرها، خلف دغلٍ شائكٍ، وهناك، وبعد الولادة، غطّت الوليد بأوراق الشجر، وعادت إلى حيث كانت تحرث الأرض، دون أن يتنبّه أحدٌ إلى حالها. سوى أنّ الوليد الجديد صرخ باكياً، فأفشى سرّ والدته، التي لم تستجب لتوسّلات الأصدقاء والرفقاء، وأبت الخلود إلى الراحة إلى أن أرغمها ربّ العمل على ذلك، باذلاً لها المكافأة المجزية. من هنا ولِدَ القول المتداول بين المؤرخين، والذي يجزم بأنّ للنساء في بلاد الليغوريين قوة الرجال وبأسهم، وللرجال قوة الحيوانات المفترسة وضراوتهم».

وقد روى ذلك ديودور الصقلّي.

فوق حقول مارنغو

يُدعى بطل إسكندرية غالياودو. نحن في سنة 1168، وقد شيدّت الإسكندرية حديثاً دون الاعتراف بوجودها، وفي كل الأحوال لم تكن بهذا الاسم. ربّما كانت اتحاد قصبات مع قصر يكون مركزاً لها. كانت المنطقة مأهولة بفلاحين ولاشكّ ببعض «التجّار» الذين، كما سيقول كاردوتشي، سيدون للإقطاعيين الألمان كأولئك الخصوم غير المقبولين «الذين حزموا في الأمس بطونهم الشحيمة بسلاح الفرسان».

اتّحدت المدن الإيطالية ضد فردريك الأول بربروس، بتأسيس العُصبة اللومباردية، وقررت إقامة مدينة جديدة، عند ملتقى نهري التنارو والبورميدا، بغية صدِّ تقدم المحتَل الغازي. والأرجح، إن سكان تلك القصبات المتناثرة وافقوا على الاقتراح، لأنهم رأوا فيه مصلحةً لهم. يبدو أنهم لا يقيمون اعتباراً سوى لمصلحتهم، على أنّهم، لدى وصول فريدريك الأول بربروس، نظّموا المقاومة، وأوقفوا زحف الإمبراطور ومنعوا عليه العبور.

نحن الآن في سنة 1174، تنقضّ القوات الجرمانية على بوابات المدينة، وإسكندرية تتضوّر جوعاً، وحينها، حسب الأسطورة، يتدخّل صاحبنا غالياودو، الفلاح الماكرُ مكر ثعلبٍ. فقد تسلّم من وجهاء المدينة الكمية الشحيحة من الحنطة التي نجحوا في جمعها لماماً، وأعلفها لبقرته روزينا، ثم أخذها ترعى أمام جدار السور. بالطبع، استولى رجال الإمبراطور عليها، وبقروا بطنها، فذُهِلوا لمرآها متخمة بالحنطة. وروى غالياودو، الذي برع في التّظاهر بالغباء، لفردريك الأول بأنّ المدينة على وفرةٍ من الحنطة إلى درجة أنهم يقتصرون عليها علفاً للمواشي.

لنَعُدْ، لبرهة، إلى حكاية كاردوتشي، انظروا إلى ذلك الجيش من الرومانسيين الذين ينوحون أثناء الليل، وإلى أسقف سبيريا الحالم بالأبراج الجميلة لكاتدرائيته، والكونت في بلاط الإمبراطور، ديبولدو ذو الشعر الأشقر، اليائس أبداً من رؤية خطيبته، وهم جميعاً ينهشهم الإحباط وتنهكهم فكرة وجوب «الموت بيد التجار...». فطوت القوات الجرمانية خيامها وولّت الأدبار.

تلك هي الأسطورة، أمّا في الحقيقة، كانت الغارة أكثر دموية بكثير، إذ يُقال بأن الميلشيات المحلية لمدينتي لم تفقد كرامتها في ساحة المعركة، سوى أنّ المدينة فضّلت أن تعتبر بطلاً ذاك الفلاح

الداهية والمسالم، غير الموهوب كثيراً في الشأن العسكري، ولكنّه الموجَّه بيقينٍ ساطع: والآخرون جميعهم أكثر حماقة منه.

عيد الغطاس في سهل بو

أشعر بأنّه عليّ أن أعرض لهذه الذكريات بروح مفعمة بالإسكندرانية، لا أن أقبِل على إدراكِ تقديمِ ـ كيف لي أن أعبّر ـ يحفّ بأوابد إسكندرية ونُصُبِها. على العكس من ذلك، أرى أنّ المقاربة التذكارية خاطئة ومغلوطة إذا اعتُمد عليها في وصف مدينة سهليّة. ولذا أفضّل أن أسلك سبلاً أكثر تواضعاً: أن أصِفَ أعيادَ الغطاس. يرى جويس أنّ عيد الغطاس هو تجلٍ روحي مفاجئ، في مقالة أو حركة أو فكرة، يستحق أن تحفظه الذاكرة. إنّه حوارٌ، ساعة مدينة تنبعث من سحابة السماء، رائحةُ كرنبٍ متعطّنٍ، أمرٌ تافه يبرز بغتةً، تلك هي أعياد الغطاس التي يُوردها جويس في عمله الغامض «دبلن». وإسكندرية أشبه بدبلن من قسطنطينية.

كان ذلك ذات صباح من ربيع 1943، حين كان الناس، بعد تفكيرٍ عميق، يغادرون المدينة نهائياً، وطالما راودت أهلي الفكرة المدهشة في اللجوء إلى نيزّا مونفيراتو، بالقرب من آستي، حيث، من المؤكّد، أننا سنأمَن شرّ القصف، ولكن حيث سيكون عليّ، بعد بضعة أشهر، وقد وقعت بين النيران المتبادلة بين الأنصار والفاشيين، أن أتقن إلقاء نفسي في الخنادق، اتّقاءَ من رشقات الأسلحة الرشّاشة.

كان الوقت فجراً، وكنّا نتوجه نحو المحطة، والعائلة بأكملها تتكدّس في سيارة أجرة. هناك حيث كان منتزه «المائة مدفع» ينفرج على ثكنة «ڤالفريه» في تلك الفسحة الرحبة المهجورة في تلك الساعة، بدا لي وكأني لمحت من بعيد روسيني زميلي في المدرسة الابتدائية، فنهضت، مخلاً بتوازن المركبة، منادياً عليه بأعلى صوتي.

لم يكن هو. غضب والدي قائلاً لي بأنّي دائماً أتصرّف بطريقة ئشة، وبأنّه ما كان عليّ أن أتصرّف هكذا، وأصرخ كمجنون بردیني!». «روسّيني» كنت أصحّح. «روسّيني أو بيانشيني الأمر ان» كان يردّ عليّ.

بمضيّ بضعة أشهر، وبعد القصف الأول على الإسكندرية، مت بأن روسّيني كان قد قضى مع والدته تحت الأنقاض.

ربما ما كان عليّ، أن أشرح أعياد الغطاس. أمّا وقد فعلت ذلك، ّ تلك الذكرى تحوي فحوى ثلاث منها، على الأقلّ. في العيد وّل، كنت قد تذمّرتُ بسبب الاستسلام للحماسة المفرطة. وفي اني، كنت قد نطقت، عن طيشٍ باسم ما. في إسكندرية، تُمثّل ياً حكاية جيليندو، وهي حكاية رعوية عن عيد الميلاد Noël. ومع أحداث الحكاية تجري في بيت لحم، فإن جميع الرعاة يتكلمون هجة إسكندرية. وحدهم القادة الرومان والقديس جوزيف والملوك جوس كانوا يتكلمون بالإيطالية (الأمر الذي يجعلهم مثار السخرية).

في لحظة محدّدة، يلتقي ميدورو، وهو واحدٌ من خدم جيليندو، لوك المجوس وينطق، بلا حذرٍ، اسم سيده. حينما يعلمْ جيليندو ك ، يجن جنونه، ويشرَس ويستشيط غضباً، شاتماً لاعناً ميدورو.

فأولاً، لا يجوز قط إفشاء اسمه الخاصّ لأيٍّ كان، وثانياً، لا رَخ باسم كائنٍ من كان في الشارع حينما يُمكن للجميع أن يسمعوه. اسم حُرمةٌ وهوخاصّة صاحبه ينبغي صونها بعناية قصوى والتّعاطي ها باحتشام ورزانةٍ. إذا ما تحدّث عنك أمريكي، يزجُ اسمك في كل ملة معتبراً أنّه بذلك يرفع التكلّف بينك وبينه، بينما يمكن سكندرانيٌ أن يناقشك، ليومٍ كاملٍ، دون أن ينطق قطّ باسمك، حتى و يبادرك بالتحية، إذ يقول: «عم صباحاً» أو «إلى اللقاء»، ولا يُقول م صباحاً يا جوزيف».

أمّا عيد الغطاس الثالث، فهو أكثر غموضاً. أحتفظ في ذاكرتي برؤية تلك الفسحة المدينية الشاسعة كسترة أورثها الأب لابنه، التي لاح فيها الشبح الصغير، بعيداً جداً عن السيارة، وبذلك اللقاء الافتراضي بصديقٍ، أبداً لن أعود أراه ثانية. في قلب الفسحات المنبسطة والشاسعة لإسكندرية يتوه المرء ويضيع. فحينما تكون مقفرة تماماً، في الصباح الباكر، وفي هدأة الليل أو في عطلة نهاية الأسبوع ليوم 15 آب (ولكن أيضاً يوم الأحد حوالي الساعة الواحدة والنصف)، دائماً ما تكون هنالك الكثير من الدروب التي يمكن سلكها (في هذه المدينة الصغيرة غاية الصِّغر)، للذهاب من جهة إلى أخرى، ودائماً بشكل مكشوف، حينما سيتمكن أحدٌ ما، متلبّدٌ في زاوية شارع أو في سيارة مارّة، من رؤيتك ويخرق حرمة اسمك فيناديك به، ويفقدُك إلى الأبد. إسكندرية أكثر رحابة من الصحراء الكبرى، وتجوبها جنيات مورغان الشاحبة. هذا هو السبب في أن الناس قلّما يتكلمون، ويلجأون إلى الإيماءات المختَصَرة ويتوهون عنك، وذلك يؤثّر على العلاقات، علاقات الكراهية كما علاقات المحبّة.

من وجهة نظر مدينية، ليست للإسكندرية مراكز تجمّع (ربما ثمّة مركز وحيد، هو ساحة العُصبة)، وإنما «مراكز تفرُّق». كما لا يُعرف قط مَنْ هو الحاضر ومن هو الغائب.

تحضر ذهني حكاية، ليست عن إسكندرية، ولكن يمكنها أن تكون كذلك. فقد غادر سالڤاتوري، وهو في العشرين من عمره، قريته الأم مهاجراً إلى استراليا، التي عاش فيها منفياً طيلة أربعين سنة. ومن ثمّ جمع في سن الستين، مدّخراته وعاد إلى بلاده. وبينما كان القطار يقترب من المحطة كان سالڤاتوري يحلم: هل سيلتقي بزملائه وأصدقائه في الحانة التي كان يرتادها في شبابه. هل سيتعرّفون إليه؟ هل سيحتفون به ويطلبون إليه سرد مغامراته الخالية من الطرافة بين

الكانغورو والسكان الأصليين؟ وتلك الفتاة التي. . .؟ والبقّال الذي كان في نهاية الشارع؟ إلخ.

دخل القطار إلى المحطة المقفَرة، نزل سالڤاتوري إلى الرصيف تضنيه شمس الظهيرة. من بعيد، لاح رجلٌ نحيل محنيّ الظهر، إنه موظف السكك الحديدية، رمقه سالفاتور بنظرة، وتعرّف إلى الشبح رغم الأكتاف المتحدّبة والوجه المتغضّن بتجاعيد أربعين سنة: من المؤكّد أنّه جيوفاني، زميله القديم في المدرسة! أومأ إليه ودنا منه مرتجفاً، وأشار بيد مرتعشة إلى وجهه، وكأنّه يريد القول «هذا أنا».

تفرّسه جيوفاني وكأنّه لم يتعرّف إليه، ثم رفع ذقنه في حركة تنمّ عن تحية: «يا سالڤاتوري! ماذا تفعل هنا، هل تغادر؟»

في صحراء إسكندرية الشاسعة، تنمحق يفاعات محمومة. في سنة 1942، وأنا أمتطي درّاجة بين الساعة الثانية والخامسة من بعد ظهيرة أحد أيام تموز، أبحث عن شيء ما، انطلقت من القلعة نحو الحلبة، ثم من الحلبة نحو الحدائق، ومن الحدائق نحو المحطة، ثمّ ذهبت عبر ساحة غاريبالدي، وجُلْتُ حولَ السجن، فانحدرت من جديد نحو النهر، ولكن مروراً بمركز المدينة هذه المرّة. لم أصادفْ أحداً في الخارج، كنت أقصد مكاناً محدّداً، هو كشك المحطة، الذي عثرتُ فيه على كرّاسة من منشورات سونزونيو، ربّما تعود لعشر سنين، وتحتوي على قصّة مترجمة عن الفرنسية، بدت لي جذابة ومثيرة. كان ثمنها ليرة واحدة، ولم أكن أملك سواها في جيبي. كنتُ متردّداً، هل أشتريها أم لا؟ كانت المخازن الأخرى مقفَلة، أو أنها كانت تبدو لي كذلك، وزملائي يقضون عطلة. ليست إسكندرية إلاّ فسحةً، شمساً، حلبةً لدراجتي ذات الإطارات المثقوبة، وكانت كرّاسة المحطة هي الوعد السردي وبالتالي الواقعي، الوحيد.

وبعد سنين ليست بقليلة، ألمّت بي تقلّبات قلبية، نوعٌ من التواتر

بين صور سابقة وصور راهنة، وأنا أهبط من على متن طائرة مترنّحة، في سان جوسوس دا لابا وسط البرازيل.

لم تكن الطائرة تستطيع أن تحط في المطار، لأنّ كلبين ناعسين كانا يرقدان في وسط المدْرَج الإسمنتي ولا يتحرّكان؟ ما الصِّلة بين الأمرين؟ لا صلة، ولكن هكذا تجري أعياد الغطاس.

ولكن بقي ذلك اليوم، يوم الإغواء الطويل بين الكتاب وبيني، بيني وبين الكتاب، بين رغبتي والمقاومة الخانقة لفسحات إسكندرية- ومن يدري، فربّما لم يكن الكتاب سوى الستار والقناع لانفعالات أخرى، سبق لها أن أثارت جسداً وخيالاً في أرضٍ مستريحةٍ - وتلك الجولة الطويلة للحبِّ في جوف الفراغ الصيفي ، وذلك الهروب نحو المركز، بقيت تلك الأمور، على هولها، ذكرى مؤثِرة من العذوبة - ولنقل ذلك - من الكبرياء الإثني. لقد خُلقنا هكذا، على صورة مدينتنا.

وإذا أردتم معرفة نهاية الحكاية، فاعلموا أنني قرّرت شراء الكرّاسة، وما لم تخنّي ذاكرتي، فإنها كانت اقتباساً من عمل بيير بينوا «الأتلانتيد» إضافة إلى مقطع من جول ڤيرن. عند غروب الشمس، حبست نفسي في البيت، وعكفتُ على قراءة الكرّاسة، فكنت أهجر إسكندرية منذ زمن طويل، وانطلق أسبر أغوار البحار الصامتة، وأُبصر أشفاقاً وآفاقاً أخرى. حينما دخل أبي، أسرَّ إلى أمي أنني أقرأ كثيراً وبأنّه يتعيّن عليّ أن أُكثِرَ من الخروج. أمّا أنا، فكنت، على العكس، أنجو من انسمام الفضاء الرحيب.

لا تجب المبالغة أبداً

كانت الصدمة هي دخولي إلى جامعة تورَن، فالتورينيون فرنسيون، وليسوا برابرةً ليغوريين كما نحن . كان زملائي الجدد

يصلون إلى الكليّة في الصباح، بقمصان جميلة وربطات عنق أنيقة، فيبتسمون لي ويتقدمون نحوي ويصافحونني : «مرحباً،كيف حالك؟» ولم أكن قد اعتدتُ على شيءٍ كهذا.

ففي الإسكندرية، كنت ألتقي بزملائي وهم يستندون إلى جدار، فينظرون إليّ بعيون نصف مغمضة، ويقولون لي بمودّة واحتشام: «..حَبَاً أيها الغبي!» تسعون كيلو متراً من المسافة، وكانت تلك حضارة أخرى، ما زلت متأثّراً بها، لدرجة أنني أصرُّ على أنها حضارة راقية. فالناس هنا، عندنا، لا يكذبون.

في اليوم الذي أُطلِقَ فيه الرصاص على تولياتّي، هاجت المدينة. فأحياناً، تثور أعصاب الاسكندريين. اجتمعوا في ساحة الحرية، راتّازي سابقاً، وفجأة أعلن بلاغ إذاعي فوز بارتالي في «سباق فرنسا» للدرّاجات. كانت عملية رائعة لوسائل الإعلام، جرت، على ما قيل، في كل أنحاء إيطاليا، إلاّ أنّها لم تنطلِ على الناس في الإسكندرية، فنحن من الأذكياء ولا ننسى تولياتّي لقاء حكاية عن درّاجة.

ثمّ فجأة، حلّقت طائرة فوق مكتب العمدة. وكانت تلك هي المرة الأولى التي تخترق فيها طائرة إعلانية أجواء إسكندرية، وقد نسيت ما كانت تروّج له من خلال رايتها.

لم يكن ذلك خطّة جهنمية، وإنما محض صدفة، فالإسكندراني يبدو متوجّساً حيال الخطط الجهنمية ولكنه شديد التساهل مع الصدفة.

راقب الحشد الطائرة وعلّق على ذلك الاكتشاف النفيس (فكرة جميلة، هذا يخرج على المألوف بعض الشيء، ولكن أين سيبحثون عن خدعٍ كهذه، حقاً إنّهم يخترعون أيَّ شيءٍ). عرض كل واحد على حدة رأيه المشوب بيقين راسخ بأنّه سوف لن يكون لهذه الهنّة، مهما يكن من أمر، أي انعكاس على المسار العام للقُصور الحراري والموت

الحراري للكون – لم يعبّروا عن آرائهم بهذه العبارات بالضبط، ولكن هذا ما يضمره الإسكندراني في أدنى نصف كلمة ينطق بها.

ومن ثم عُدنا إلى البيت، لأن النهار لم يعد يخبئ المزيد من المفاجآت، فكان على تولياتّي أن يتدبّر أمره منفرداً.

أفترض أن تلك القصص التي رُويت سابقاً «أقصد، لغير الإسكندريين» يمكنها أن توقف الشّعْر رُعباً. من جهتي، وجدتها مهيبة توازي في مهابتها أعياد الغطاس الأخرى التي تقدّمها لنا حكاية مدينة نجحت في أن تشيّد ذاتها بفضل المساعدة المزدوجة للبابا والعصبة اللومباردية، والتي قاومت بعناد وصلابة فردريك بربروس، سوى أنّها لم تشارك في معركة ليغنانو. حكاية مدينة تروي أسطورتها أن الملكة بيدوك، القادمة من ألمانيا لمحاصرتها، زرعت، لدى وصولها، كروماً، وأقسمت بأنها لن ترحل قبل أن تشرب من نبيذ عنبها. ودام الحصار سبع سنوات. تقول خاتمة الأسطورة بأن الملكة التي دُحِرَت من قبل الإسكندريين، أدّت، هاذية، طقساً مسعوراً ومدمِّراً، ساكبةً على الأرض القاحلة خمر براميلها، في استحضار رمزي لتضحية دموية هائلة ووحشية.

عاقبت بيدوك الملكة الشاعرية والغريبة الأطوار، نفسها وأقلعت عن ملذاتها وانتشت ثملة بالمذبحة، كان ذلك رمزياً. . حضر الإسكندريون المشهد وراقبوا سلوك الملكة، فخلصوا إلى نتيجة وحيدة، وهي أنّ للإشارة إلى غباء شخص ما، سينبغي القول، في المستقبل: «إنّه بمكرِ بيدوك».

إسكندرية، التي مرّ بها القديس فرانسوا، وأهدى فيها ذئباً، مثلما يحصل في حكاية غوبيو، ما عدا أن غوبيو هي في الواقع، حكاية ما عادت تنتهي، وأنّ الإسكندرية قد نسيتها. ما الذي ينبغي أن يفعله قدّيس، إن لم يكن هَدي الذئاب؟ ثم كيف للإسكندريين أن يفهموا ما

له هذا الأومبري[1]، ذو الحركات المسرحية الهستيرية بعض الشيء، لذي يكلّم العصافير عوض الذهاب إلى العمل؟ والإسكندريون، إذ خذهم الإهتمام بتجارتهم، يجيدون العراك ويلجأون إلى الشجار لخصام.

في عام 1282، نزعوا سلاسل جسر بافيا ووضعوها في ديومو مباً تذكارياً، ومع ذلك حينما استولى عليه قندلفتّ، بعد فترة وجيزة، جهّز بها موقد مطبخه،لم يتبيّن أحد من ذلك، فنهبوا كازال وسرقوا ملاك المنصوب فوق برج الكاتدرائية، ولكنهم، إذا لم يحسنوا عامل معه، انتهوا إلى إتلافه.

إذا تصفّحتم «دليل إيطاليا الأسطوري السري الغريب الخيالي» سوغار) ستجدون، في أولّه، حيث تُظهر سلسلة من الخرائط توزّع كائنات الخرافية في إيطاليا الشمالية، أن إقليم الإسكندرية يتألّق فيه قائه وطهارته: فلا سَحَرة فيه، ولا شياطين ولا جنيّات ولا عفاريت لا مجوس ولا غيلان ولا أشباح ولا كهوف ولا متاهات ولا كنوز؛ هو يحافظ على الشرف بواسطة «عمارة عجيبة» سوى أنّكم ستسلَمون ن ذلك قليل.

الريبة من اللغز، والحذر من مفهوم الشيء في ذاته[2]. إن مدينة ' مَثَل أعلى لها، هي مدينة بدون عاطفة. في العصر الذي كانت فيه حاباة الأقارب فضيلة، طرد البابا الاسكندراني بي الخامس ذويه من وما، آمراً إياهم بأن يتدبّروا أمرهم لوحدهم؛ فلم تجد الإسكندرية، تي تسكنها، طيلة قرون، طائفة من اليهود الأثرياء، الطاقة الأخلاقية نغدو معادية للساميّة، وغفلت عن الخضوع لأوامر محاكم التفتيش.

---

1) أومبريا: إقليم وسط إيطاليا. ـ المترجم ـ
2) Noumène: مفهوم الشيء في ذاته، أو كما يبدو للعقل المحض، عند كانط. ـ المترجم ـ

ولم يتحمّس الاسكندريون قط لأيّ فضيلة بطولية، حتى إذا كانت تلك الفضيلة تُوصي باستئصال الآخرين المختلفين عنهم.

أبداً لم تشعر الإسكندرية بالحاجة إلى فرض «كلمة إلهية» بحدِّ السلاح: فهي لم تمنحنا نماذج لغوية لتقدَّم عبر أجهزة البث اللاسلكية، ولم تخلق أعجوبات فنيّة تُغذَق في سبيلها التبرُّعات، وأبداً لم يكنْ لديها أيُّ شيء لتعلّمه للناس، ولم يكن لديها أيُّ سبب لتكون فخورة بأبنائها الذين لم تهتمّ أبداً بأن تكون فخورة بهم.

آهٍ لو أنّكم تعرفون مدى ما يشعر به المرء من فخرٍ، وهو يكتشف انّه ابن مدينةٍ بلا بلاغة وبلا أسطورة وبلا رسالة وبلا حقيقة.

إدراك الضباب

الإسكندرية مدينة مفتوحة على فسحات رحبة خالية وغافية. ولكن، في بعض الأماسي الخريفية أو الشتوية، حينما تغطُ المدينة في الضباب، تختفي الفراغات، وعلى حين غرّة، تنبعث من العدم أركانٌ وزوايا وواجهات طارئة وفتحات معتمة، يرتسم عليها اكفِهرارٌ لبنيٌّ اللون تحت بصيص المصابيح، في لعبة جديدة لأشكال صُمِّمت بعناء، فتصبح الإسكندرية «جميلة». مدينة بُنيَت لتكون مرئية عند الشفق، وهو يلامس الجدران. لا ينبغي البحث عن هويتها في الشمس، وإنما في الضباب. ففي الضباب، نسير بهدوء، وعلينا معرفة الرسوم والمخطّطات لئلا نتوه في الشعاب، ولكننا دائماً ما ننتهي ببلوغ مكانٍ ما.

الضباب طيب القلب وحنون، يكافئ، باخلاص، من يعرفه ويحبّه. والسير في الضباب أدعى للبهجة من السير في الثلج ودوسه بأحذية جبلية، لأن الضباب لا ينعش جسمك من الأسفل فحسب، بل ومن أعلاه أيضاً، ولا نلوّثه، ولا نسحقه تحت أقدامنا، وهو يسري بمودّة من حولك، ويستعيد التئامه على بعضه بعد مرورك فيه، يملأ

تيك كتبغ ذي رائحة زكية، وله أريج فوّاحٌ وصحيٌّ، ويداعب جنتيك وينسلّ بين رقبتك وذقنك واخزاً عنقك، ويجعل أطيافاً تتراءى ك سرعان ما تتلاشى ما إن تقترب منها، أو تنبعث من تحت أنفك باخٌ، لا ترتاب في أنّها حقيقية، تجتنبك وتتلاشى في العدم.

للأسف، قد يتعيّن دوماً أن توجد الحرب وفقدان الشعور black- o ، لقد كان ذلك العصر هو العصر الذي يهب الأفضل من تلقاء سه، ولكن ليس بوسع المرء أن يتحصّل على كل شيء. في الضباب ون في مأمن من العالم الخارجي، وجهاً لوجه مع ضميرك Nebulat ergo cogi. ولحسن الحظ، حينما لا يكون هناك ضباب في سهول سكندرية، لاسيما في الصباح، يكون هناك «الطلُّ» brumille، وهو ع من الندى السديمي، عِوض أن ينوّر المروج، يتصاعد ليتوسّط أرض والسماء، ويبلّل وجهك بطراوة رقيقة. وبخلاف ما يفعله ضباب، تكون الرؤية شديدة الوضوح، سوى أنّ الصورة تبقى بلونٍ حيدٍ، ويتلاعب كل شيء بتدرّجية خفيفة للّون الرمادي، ولا شيء ر من العين.

يجب الخروج من المدينة، والسير بدرّاجة على الطرقات متقاطعة، أو بالأحرى، على الدروب المحاذية لنزعةٍ مستقيمة، لسير بدون وشاح، وقد دُسّت صحيفة تحت السترة لحماية الصدر. ق حقول مارنغو المستحمّة بضياء القمر، حيث سبق وتحقّق انتصاران ب عامي (1174و 1800)، تهيج وتئن غابة معتمة بين نهري بورميدا لتنارو. الجو منعشٌ.

سان باودولينو

كان باودولينو هو القدّيس الشفيع للإسكندرية («أيها القدّيس ودولينو – احمِ هناك في العُلا، في السماء – أبرشيتَنا ـ وشعبَها مؤمن»). وإليكم ما يرويه بول دياكر عنه:

«في عهد ليوتبراند، في مكانٍ يُدعى الفوروم، على ضفّة التنارو، كان يسطع نجم رجلٍ ذي قداسة مدهشة، قام، بنعمة من المسيح، بالعديد من المعجزات، وغالباً ما كان يتنبأ بالمستقبل ويبصر أشياء بعيدة وكأنها رهن عينيه . ذات مرة، وبينما كان الملك يصطاد في غابة اوزْبا، حدث أنّ أحد أتباعه، وهو يسعى لقتل أيلٍ، جرح بسهم ابن أخت الملك ذاته [. . .] وما إن رأى ليوتبراند، الذي كان يحبّ الصبي حبّاً جمّاً، ذلك حتى شرع في البكاء والنحيب للمصيبة، وأرسل في الحال أحد فرسانه إلى القديس باودولينو، يرجوه أن يتضرّع إلى المسيح في سبيل حياة الصبي السيء الحظ.»

أتوقّف هنا عن الاستشهاد لبُرهةٍ، ليستسلم القارئ لبعض التكهّنات. ما سيكون بوسعِ قدّيس عادي، أي ليس قدّيس إسكندرية، أن يفعل؟ حسناً، لنستأنف مجرى الحكاية، بإتاحة الكلام مجدداً لبول دياكر:

«بينما كان الفارس يقترب، مات الصبي. وإذ رآه العالم بالغيب يصل، خاطبه كالتالي: «أعرف سبب قدومك، ولكن ما تطلبه مني مستحيل، لأن الصبي قد مات.» ولما سمع الملك تلك الكلمات ورغم حزنه لعدم تمكّنه من نيل تأثير صلاته، إلا أنّه أقرّ، جهاراً، بأن الرجل الربّاني، باودولينو، موهوب بروحٍ نبوية».

أرى أنّ ليوتبراند أحسن التصرف واستوعب درس القدّيس العظيم، الدرس الذي يتخّلص بالتالي: في الحياة الواقعية، لا يمكن القيام بالمعجزات على الدوام. والإنسان الحكيم هو من يعي الضرورة. وقد قام باودولينو بمعجزة إقناع لومبارديٍّ ساذجٍ بأن المعجزات شيءٌ نفيسٌ نادرٌ للغايةِ .

الفهرس

مقدّمة 7

I ـ رتبْ وكواكب 11

II ـ طرائق الاستخدام 45

ملاحظة 47

السّفر 49

كيفية السفر مع سَلْمون 49

كيفية إسقاط حقيبة ذات عجلات 52

كيفية تناول الطعام في الطائرة 55

كيفية استخدام هذه الفناجين الرديئة 58

كيفية استخدام سائق سيارة أجرة 60

كيفية تجاوز الجمرك 64

كيفية السفر بالقطارات الأمريكية 66

كيفية زيارة خُلجان الغد 70

كيفية شراء أدوات كمالية 73

التّفاهم 85

كيفية استبدال رخصة قيادة مسروقة 85

كيفية القيام بجردٍ للموجودات 93
كيفية اتِّباع طريقة استخدام 96
كيفية قول الحقيقة، ولا شيء سوى الحقيقة 99
كيفية اختيار مهنة مربحة 102
كيفية تكذيب بلاغ يُكَذَّب 104
كيفية عدم الردّ بـ «بالتأكيد» 107
كيفية وضع نقط وقوف 108
كيفية كتابة مقدّمة 111
كيفية تقديم كتالوغ فنيّ 113
كيفية عدم الحديث عن كرة القدم 122
العيش في مجتمع الفرجة 126
كيف تكون مقدّماً في التلفاز 126
كيفية التعرف على أبله القرية في التلفاز 130
كيفية مشاهدة عملية شنق على التلفاز في بثٍّ مباشر 133
كيفية تحقيق سَبقٍ صحفيٍّ مع غاق شيتلاند 135
كيفية الاستجابة للوجوه المعروفة 139
كيفية التعرف على فيلم إباحيّ 141
البدايات والنهايات 144
مواجهة التكنولوجيا الحديثة 148
كيفية التحقّق من ديانة برمجيات 148
كيفية البحث عن الجنس على الانترنت 150
كيفية الاستعداد لانتصار التكنولوجيا الدقيقة 153
كيفية رمي البرقيات في السلّة 156
كيفية عدم استخدام الهاتف المحمول 159

كيفية عدم استخدام الفاكس 162
كيفية عدم معرفة الوقت 165
السويّ سياسياً 168
كيفية اجتناب الأمراض المعدية 168
كيف ترسل رسالة وأنت تدخّن السيجار 171
كيفية إعادة كتابة «ذات القلنسوة الحمراء الصغيرة» 174
كيف تكون هندياً أحمر 177
كيفية الحديث عن الحيوانات 181
كيفية تناول بوظة 184
استخدام الكتب والمخطوطات 188
كيف تحترسون من أراملكم 188
كيفية تبرير وجود مكتبة خاصّة 191
كيفية تنظيم مكتبة عامّة 193
إدراك التقاليد 197
كيف تصبح فارساً مالطياً 197
كيفية كتابة عمل غير مطبوع لـ «غينون» 200
كيفية قضاء عطلة ذكيّة 203
كيفية كتابة تتمّة عمل أدبي 206
كيفية الردّ على السؤال: «كيف حالك» 210
مواجهة المستقبل 215
كيف سيكون بوسع المرء العودة ألى الوراء في المستقبل ... 215
كيف يوظّف المرء وقته 217
كيفية التهيؤ للموت بصفاء وطمأنينة 220

III ـ مقتطفات من كاكوبيديا 225
ملاحظة 227
عن استحالة رسم الخارطة 1:1 للإمبراطورية 233
الأنوبتيكون 243
The Wom 244
فكر بينار الفالوز 249
كيفية الطّعن بالتزوير ضد هيراقليطس 262
نظرية الثمانمائة لون 255
مشروعُ جامعةٍ للتَفاهة المُقارَنة 258
عناصر النقد الكمّي 262
IV ـ اسكندرية (بييمونت) 269

www.boo... سور الأزبكية

أمبرتو إيكو

كيفية السفر مع سَلْمون

•

هذه نصوص تقوم على السخرية. صور ساخرة يقدمها امبرتو إيكو على طريقته.

وهي نصوص كُتبت للتسلية، ولكن أيضاً بدافع الاشمئزاز.

إنها مساهمة في تحليل الحماقة التي تغمرنا في ثقافتنا وفي حياتنا اليومية.

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

لوحة الغلاف: ماغريت

ISBN 9953-68-143-0

9789953681436

المركز الثقافي العربي
ص ب ١١٣/٥١٥٨ بيروت – لبنان
ص.ب 4006 – الدار البيضاء – المغرب
www.ccaedition.com